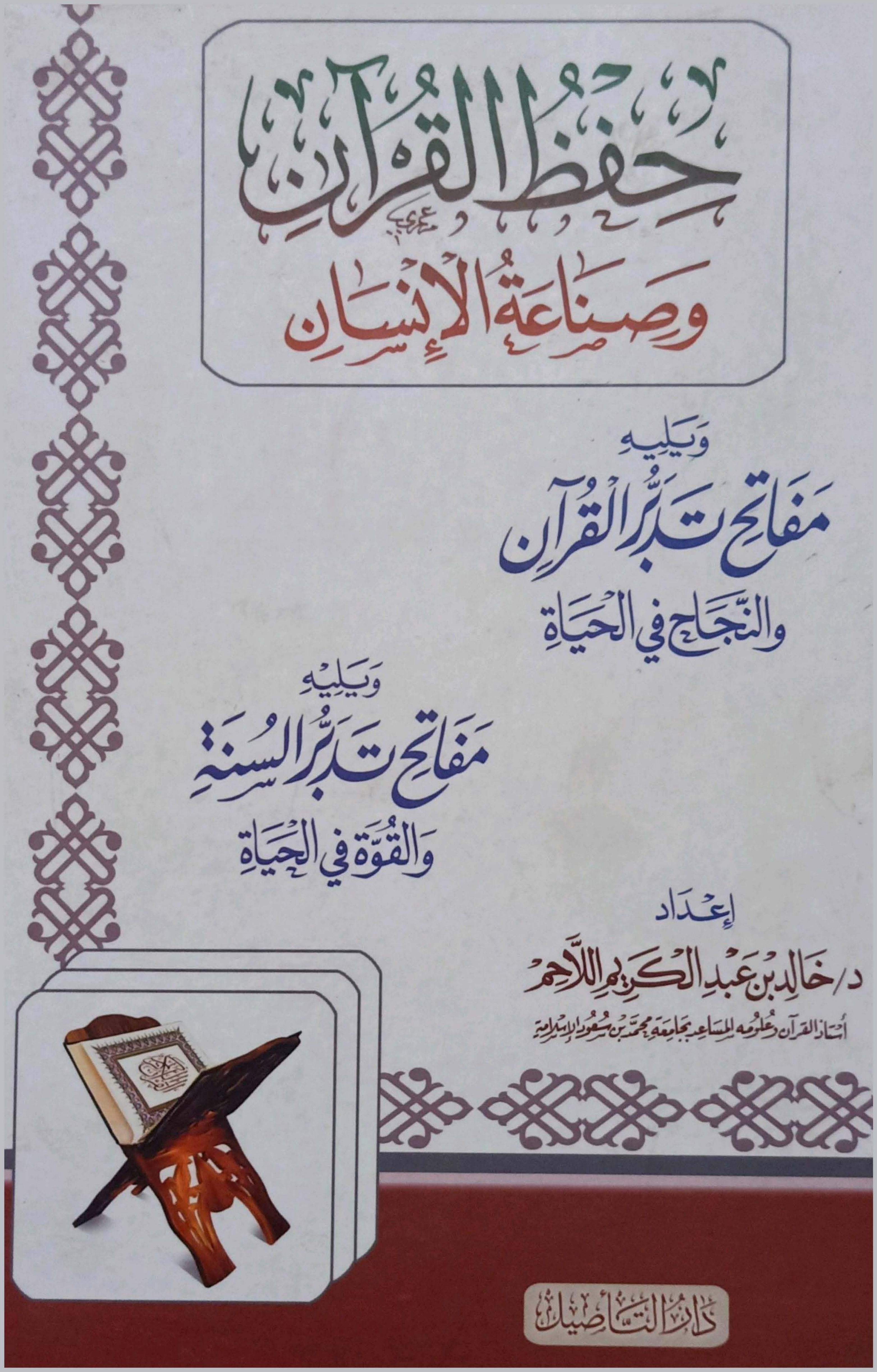


حفظ القرآن وصناعة الإنسان

ويليه

مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة

ويليه

مفاتيح تدبر السنة والقوة في الحياة

إعداد

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

أستاذ القرآن وعلومه المساعد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية

دار التأصيل



ويليه

مفاتح تدبر القرآن

والنجاح في الحياة

ويليه

مفاتح تدبر السنة

والقوة في الحياة

إعداد

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

أستاذ القرآن وعلومه المساعد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية



الطبعة الأولى

دار التأصيل

رقم الإيداع القانوني : ٢٠٠٨/١٦٣٠٣

دار التأصيل

المنصورة : عزبة عقل - ش الهادى - أمام جامعة الأزهر

0163842400 - 0101172141

سبب تأليف الكتاب

۞ بعد إحدى المحاضرات سألني أحدهم:

كيف يكون النجاح بالقرآن؟

فقلت له: هذا سؤال كبير، وخاصة هذه الأيام التي فُتِنَ الناس فيها بهذا الفن مستندين في معظم طرحهم على كتب حضارات غير إسلامية، وصار المتسيِّدُ للحديث فيه لا يملكه إلا من حصل على شهادات أو دورات هناك.

قلت له: هذا سؤال كبير وأخشى إن أجبت عنه إجابة سريعة أسيئ إلى القرآن، فلابد من البيان المتكامل الواضح الذي يربط المفاهيم والمصطلحات بالواقع، ويوضح أن الأصل في تحقيق النجاح هو القرآن الكريم كلام رب العالمين، وما عداه: فإما أن يكون تابعًا له، وإلا فهو مرفوض.

كان هذا السؤال هو سبب تأليف هذا الكتاب، الذي حاولت فيه أن أبين كيفية تحقيق القوة والنجاح بمفهومه الشامل المتكامل لكل طبقات المجتمع ولجميع جوانب حياتهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا -.

۞ أما بعد:

فإن الوسيلة الأولى لإصلاح النفس وتزكية القلب والوقاية من المشكلات وعلاجها هو العلم، ووسيلته الأولى القراءة والكتاب؛ لذلك نجد أن الله تعالى لما أراد هداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل إليهم كتابًا يقرأ، وفي أول سورة نزلت منه بدأت بكلمة عظيمة هي مفتاح الإصلاح لكل الناس مهما اختلفت الأزمان وتباينت البلدان إنها: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وعليه فمن أراد النجاح وأراد الزكاة والصلاح فلا طريق له سوى الوحيين (القرآن والسُّنة)؛ قراءةً وحفظًا وتعلُّمًا.

۞ إن الإحالة على كتاب يقرأ ويفهم ويطبق هي الطريقة العملية للتغيير والتطوير.

ولو تأملنا في حال سلفنا الصالح بدءًا من النبي ﷺ، وانتهاءً بالمعاصرين من الصالحين لوجدنا أن القاسم المشترك بينهم هو القيام بالقرآن وفي صلاة الليل خاصة، والعمل المتفق عليه عندهم الذي لا

يرون التهاون به في أي حال هو الحزب اليومي من القرآن، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»**[1]، إنه الحرص على عدم فواته مهما حالت دونه الحوائل، أو اعترضته العوارض؛ لأنهم يعلمون يقينًا أن هذا هو غذاء القلب الذي لا يحيا بدونه، إنهم يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن، ويشعرون بالنقص متى حصل شيء من ذلك، بعكس المفرطين الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها، أو مرضها وألمها، أما ألم القلوب وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم إلى الإحساس به.

۞ إن قراءة القرآن في صلاة الليل هي أقوى وسيلة لبقاء التوحيد والإيمان غضًّا طريًّا نديًّا في القلب:

إنها المنطلق لكل عمل صالح آخر من صيام أو صدقة أو جهاد وبرٍّ وصلةٍ.

لما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تكليف نبيه محمد ﷺ بواجب التبليغ والدعوة وهو حملٌ ثقيلٌ جدًّا؛ وجَّهه إلى ما يعينه عليه وهو القيام بالقرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ [المزمل: ١- ٧].

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ص٥١٥) (٧٤٧)، «صحيح ابن حبان» (٦/ ٣٦٩) (٢٦٤٣)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٩٥) (١١٧١)، «سنن النسائي الكبرى» (١/ ٤٥٨) (١٤٦٤)، «سنن أبي داود» (٢ / ٣٤) (١٣١٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٦) (١٣٤٣)، «سنن الترمذي» (٢/ ٤٧٤) (٥٨١).

لقد كثُر في زماننا هذا الحديث عن النجاح والسعادة والتفوق والقوة، وكثُرت فيه المؤلفات وكل يدعي أن في كتابه أو برنامجه الدواء الشافي، والعلاج الناجع، وأنه الكتاب الذي لا تحتاج معه إلى غيره، والحق أن هذا الوصف لا يجوز أن يُوصف به إلا كتاب واحد وهو القرآن الكريم.

ولعلاج هذه المشكلة - أعني انصراف الناس عن القرآن الكريم، واشتغال بعضهم بتلك المؤلفات بحثًا عن السعادة والنجاح - يجيء هذا البحث ليسهم في تبيين الحقائق وتوضيح الدقائق، ورسم الطريق الصحيح للمنهج السليم الذي ينبغي أن يتبعه المسلم في حياته.

إن العبد إذا تعلَّق قلبه بكتاب ربه فتيقن أن نجاحه ونجاته وسعادته وقوته في قراءته وتدبره **تكون هذه البداية للانطلاق** في مراقي النجاح وسلم الفلاح في الدنيا والآخرة.

هذا البحث يتحدث عن الوسائل العلمية التي تمكِّن - بعون الله تعالى - من الانتفاع بالقرآن الكريم، وهذه القواعد هي التي كان يسلكها سلفنا الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم، التي بسبب غفلة الكثيرين عنها أو بعضها أصبحوا لا يتأثرون ولا ينتفعون بما فيه من الآيات والعظات، والأمثال والحكم.

ومن أخذ بهذه الوسائل فإنه سيجد - بإذن الله تعالى - أن معاني القرآن تتدفق عليه حتى ربما يمضي عليه وقت طويل لا يستطيع تجاوز آية واحدة من كثرة المعاني التي تفتح عليه، وقد حصل هذا للسلف من قبلنا، والأخبار في هذا كثيرة مشهورة.

۞ قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله:

«لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه... وإنما يفهم **كلٌ بمقدار ما يفتح الله على قلبه**، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة»... اهـ(٢).

وهذا كلام صحيح والتجربة والواقع يشهد بذلك، فإن الناس يتفاوتون في فهمهم وإدراكهم لآيات القرآن الكريم، وتنزيلها على أمور حياتهم، وأيضًا فإن الشخص نفسه قد ينفتح له فهم لبعض الآيات ويتأثر بها، ويأتيّ في وقت آخر يقف أمام الآية وقد أغلقت دونه، يقف أمامها ويقول: لقد تأثرت بهذه الآية يومًا من الأيام، فأين ذاك التأثر؟ وأين ذاك الفهم؟

إن فهم القرآن وتدبره مواهب من الكريم الوهاب يعطيها لمن صدق في طلبها وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد، أما المتكئ على أريكته، المشتغل بشهوات الدنيا ويريد فهم القرآن فهيهات هيهات، ولو تمنى على الله الأماني.

مادة هذا البحث ليست مجموعة نظريات أو فرضيات توضع كحلول للمشكلة المراد علاجها، إنما هي خطوات عملية، تحتاج إلى تدرج وتكرار حتى يصل المتعلم فيها إلى ما وصف من نتائج وثمار.

---

(٢) «مقدمة تفسير البسيط» للواحدي (رسالة دكتوراه) (١/ ٤٣).

۞ قال ثابت البناني:

«كابدت القرآن عشرين سنة، ثم تنعمت به عشرين سنة...». اهـ.

وما قاله ثابت البناني حق، فقف عند الباب حتى يفتح لك؛ إن كنت تدرك عظمة ما تطلب، فإنه متى فتح لك ستدخل إلى عالم لا تستطيع الكلمات أن تصفه ولا العبارات أن تصور حقيقته، أما إن استعجلت وانصرفت فستحرم نفسك من كنز عظيم وفرصة قد لا تدركها فيما تبقى من عمرك.

كنت أحاول كتابة تفسير تربوي يركز في مضمونه على ما يقوي الإيمان ويزيد الخشوع دون استطراد أو خروج عن هذا المسار، ولكن بعد أن بدأت بالاشتراك مع الأخ الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري بوضع منهج لهذا التفسير، وتمت كتابة المرحلة النظرية للبحث، وبعد محاولة كتابة القسم التطبيقي له، تبين لي أني مهما كتبت، أو كتب غيري في هذا الميدان فلن يحقق المطلوب، والصواب في هذا الأمر أن كل إنسان لابد أن يغرف من المصب الرئيس، وأن ينهل من النبع مباشرة دون أية واسطة تبعده عن المقصود(٣)، تبين أن ما أبحث عنه هو منهج وقواعد لفهم القرآن الكريم مباشرة والتأثر والانتفاع به، فتأملت حال السلف رحمهم الله في هذا الأمر، ودرست منهجهم في تعاملهم معه، وقارنت بين حالنا وحالهم، فكانت مادة هذا البحث ومحتواه، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

---

(٣) وهذا في جانب تزكية القلوب، وتربية النفوس، أما الجوانب الأخرى من القرآن كالأحكام مثلًا فيحتاج القارئ معها إلى ما يفصلها ويوضحها.

۞ محور البحث ومشكلته:

نحن نؤمن ونصدق بقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١]، ونقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، فهذا هو القرآن، ونحن نقرؤه، ولكن ما أخبر الله تعالى عنه من تأثير فإننا لا نجده! فلماذا؟

القرآن هو القرآن، وقد وصل - والحمد لله - إلينا محفوظًا تامًّا مصونًا من الزيادة والنقص.

۞ أين الخلل؟ وأين المشكلة؟

في كل تأثير عندنا ثلاثة أركان: المؤثر، والمتأثر، والموصِّل.

فالمؤثر: وهو القرآن، أثره ثابت لا نشك فيه.

بقي الاحتمال في الأمرين الأخيرين: الموصِّل، والمتأثر.

المتأثر: هو قلب المتلقي القارئ، والموصِّل: هو القراءة والتدبر.

والبحث يحاول استكشاف الخلل في الجهتين، ويقترح الحلول المبنية على تجارب الناجحين في تحصيل التأثير والأثر.

أيضًا: حالة الفتح والفهم في وقت وإغلاقه في وقت آخر - وقد سمعت الشكوى من هذه الحال عند عدد من الأشخاص - تقرأ الآية في

وقت فتتأثر بها وتنفتح لك فيها معانٍ، ثم تعود إليها بعد فترة فتقف أمامها لا تذكر شيئًا من تلك المعاني، ولا تحس بذلك الأثر الذي حصل سابقًا! فما السر؟ وما الأسباب؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة أن تجيب عنه، وتشخصه، وتصف له العلاج المناسب بإذن الله تعالى.



خلاصة البحث

يتكون البحث من تمهيد وعشرة مفاتيح:

التمهيد: في معنى التدبر وعلاماته، وبيان خطأ في مفهومه.

والمفتاح الأول: خلاصته أن القلب آلة الفهم والعقل والإدراك، وأن القلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، يفتحه متى شاء ويقفله متى شاء، وفتح القلب للقرآن يكون بأمرين:

الأول: دوام التضرع إلى الله تعالى وسؤاله ذلك.

والثاني: القراءة المكثفة عن عظمة القرآن، وأهميته، وحال السلف معه.

والمفتاح الثاني: مضمونه أنه ينبغي أن نعرف قيمة القرآن وعظمته، وأن نستحضر الأهداف والمقاصد التي من أجلها نقرؤه، فدائمًا اسأل نفسك: لماذا أريد قراءة القرآن؟ ولتكن الإجابة واضحة مفصلة، وإن كانت مكتوبة فذاك أولى.

والمقاصد الأساسية لقراءة القرآن خمسة: [العلم، والعمل، والمناجاة، والثواب، والشفاء].

والمفتاح الثالث إلى العاشر: الحديث فيها عن إجابة سؤال مهم: كيف نقرأ القرآن الكريم؟ وكيف هنا متوجهة إلى: الأحوال والكيفيات التي تحقق أعلى قدر من التركيز والعمق في فهم القرآن الكريم، فكل واحد منها يعطي درجة في التركيز والفهم، وهذه المفاتيح هي: أن تكون القراءة في صلاة، في ليل، حفظًا، بترتيل، وجهر، وتكرار، وربط،

مع ختم المقدار الذي يقرأ ويُراد حصول تدبره كل أسبوع.

هذه خلاصة هذا البحث.

نسأل الله تعالى أن يحقق مقاصدنا، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المفاتيح العشرة

مفاتيح تدبر القرآن عشرة، مجموعة في قولك: (لإصلاح ترتجي).

[ل] **قلب**: والمعنى أن القلب هو آلة فهم القرآن، والقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، والعبد مفتقر إلى ربه ليفتح قلبه للقرآن فيطلع على خزائنه وكنوزه.

[أ] **أهداف، أو أهمية**: أي استحضار أهداف قراءة القرآن، أي لماذا تقرأ القرآن؟

[ص] **صلاة**: أن تكون القراءة في صلاة.

[ل] **ليل**: أن تكون القراءة والصلاة في ليل، أي وقت الصفاء والتركيز.

[أ] **أسبوع**: أن يختم القرآن كل أسبوع.

[ح] **حفظًا**: أن تكون القراءة حفظًا عن ظهر قلب؛ بحيث يصل التركيز التام وانطباع الآيات عند القراءة.

[ت] **تكرار**: تكرار الآيات وترديدها لتحقيق مزيد من التثبيت.

[ر] **ربط**: ربط الآيات بواقعك اليومي وبنظرتك للحياة.

[ت] **ترتيل**: الترتيل والترسل في القراءة، وعدم العجلة، إذ المقصود هو الفهم وليس الكم، وهذه مشكلة الكثيرين، وهم بهذا الاستعجال يفوتون على أنفسهم خيرًا عظيمًا.

[ج] **جهرًا**: الجهر بالقراءة؛ ليقوى التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلًا من واحدة؛ أي الصورة والصوت.

فهذه وسائل وأدوات يكمل بعضها بعضًا في تحقيق وتحصيل مستوى أعلى وأرفع في تدبر آيات القرآن الكريم، والانتفاع والتأثر بها.

وإن مما يتأكد التنبيه عليه عدم قصر وحصر النجاح في تدبر القرآن على هذه المفاتيح، فما هي إلا أسباب والنتائج بيد الله تعالى يعطيها من شاء، ويمنعها من شاء، فلا يعني - مثلًا - إذا قلنا: من مفاتيح تدبر القرآن: أن تكون القراءة في ليل؛ أن قراءة النهار لا تفيد وملغاة، وإذا قلنا: أن تكون القراءة في صلاة؛ أن القراءة خارج الصلاة لا تحقق التدبر، فالحصر والقصر غير صحيح، بل القرآن كله مؤثر، يؤثر في كل وقت، وعلى أي حال، متى شاء الله ذلك، وما أقوله إن هي إلا وسائل بحسب الاستقراء من النصوص وحال السلف؛ وهي أسباب يسلكها كل مريد للانتفاع بالقراءة بشكل أكبر وأعمق وأشمل، وهي أسباب نُذكِّر بها من حرم من تدبر القرآن وهو يريد؛ نقول له: اسلك هذه الأسباب، لعل الله إذا رأى مجاهدتك في هذا الأمر وعلم منك صدقك أن يفتح لك خزائن كتابه تتنعم فيها في الدنيا قبل الآخرة.

إن التلذذ بالقرآن لمن فتحت له أبوابه لا يعادله أي لذة أو متعة في هذه الحياة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

۞ دعوة للتواصل عبر موقع: القرآن والحياة:

حينما كتبت هذا البحث حاولت الاختصار، والإيجاز قدر الإمكان، لئلا أخرج عن مقصوده، فأصرف القارئ عن الانتفاع به، وقد تضمن عددًا من القضايا المهمة التي تحتاج إلى نقاش وحوار، ومن أجل ذلك فإني أقترح أن يتم التواصل بين الجميع في النقاش العلمي الهادف عبر موقع:

(القرآن والحياة) على الرابط (www.Quranlife.com).

أتمنى من الاخوة الكرام أن يتكرموا ببيان رأيهم في القضايا التي تضمنها هذا الكتاب ليستفيد منها الجميع، وليكون الرأي أقرب للصواب.

وكتبه

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

بريد إلكتروني/ lahim@Quranlife.com



تمهيد: في معنى التدبر وعلاماته

۞ المسألة الأولى: معنى التدبر:

قال الميداني: «التدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة...» اهـ(٤).

ومعنى تدبر القرآن: هو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه، والمراد منه.

۞ المسألة الثانية: علامات التدبر:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

---

(٤) «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ» (١٠).

بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣]، ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فتحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي:

١- اجتماع القلب والفكر حين القراءة، ودليله التوقف تعجبًا وتعظيمًا.

٢- البكاء من خشية الله.

٣- زيادة الخشوع.

٤- زيادة الإيمان، ودليله التكرار العفوي للآيات.

٥- الفرح والاستبشار.

٦- القشعريرة خوفًا من الله تعالى ثم غلبة الرجاء والسكينة.

٧- السجود تعظيمًا لله ﷻ.

فمن وجد واحدة من هذه الصفات، أو أكثر؛ فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكر، أما من لم يحصل أيًا من هذه العلامات، فهو محروم من تدبر القرآن، ولم يصل بعد إلى شيء من كنوزه وذخائره.

۞ قال إبراهيم التيمي رحمه الله:

«من أوتي من العلم ما لا يُبكيه، لخليق ألا يكون أوتي علمًا؛ لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا

﴿١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩]»[٥].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا قُرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم»[٦].

إن كل يوم يمر بك ولا يكون لك نصيب ورزق من هذه العلامات، فقد فاتك فيه ربحٌ عظيمٌ، وهو يوم حري أن يبكى على خسارته.

۞ المسألة الثالثة: مفهوم خاطئ لمعنى التدبر:

إن مما يصرف كثيرًا من المسلمين عن تدبر القرآن، والتفكر فيه، وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة؛ اعتقادهم صعوبة فهم القرآن، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن، وانصراف عن الغاية التي من أجلها أنزل، فالقرآن كتاب تربية وتعليم، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين، كتاب قد يسَّر الله تعالى فهمه وتدبره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧﴾ [القمر: ١٧].

۞ قال ابن هبيرة رحمه الله:

«ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقعٌ عند التدبر، فيقول هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا»[٧].

۞ وقال الشاطبي رحمه الله:

«فمن حيث كان القرآن معجزًا أفحم الفحصاء، وأعجز البلغاء أن

---

(٥) «الزهد» لابن المبارك (٤١)، «حلية الأولياء» (٥/ ٨٨).
(٦) «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٤٩).
(٧) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٣/ ٢٧٣).

يأتوا بمثله، فذلك لا يخرجه عن كونه عربيًّا جاريًا على أساليب كلام العرب، ميسرًا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى». . اهـ[٨].

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من قال: إن له تأولًا لا نفهمه، ولا نعلمه، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه، ففي قلبه منه حرج». . . اهـ[٩].

۞ ويقول الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن من قرع سمعه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠] فهم معناه دون أن يعرف أن ﴿مَآ﴾ كلمة شرط، و﴿تُقَدِّمُوا۟﴾ مجزوم بها؛ لأنه شرطها، و﴿تَجِدُوهُ﴾ مجزوم بها لأنه جزاؤها، ومثلها كثير. . . فياليت شعري!! ما الذي خَصَّ الكتاب والسُّنة بالمنع عن معرفة معانيها، وفهم تراكيبها، ومبانيها. . . حتى جعلت كالمقصورات في الخيام. . . ولم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها. . .». اهـ[١٠].

۞ إن الصحيح والحقيق في هذه المسألة:

أن القرآن معظمه واضحٌ، وبيِّنٌ وظاهرٌ لكل الناس، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»[١١]، ومعظم القرآن من القسمين الأولين.

---

(٨) «الموافقات» (٣/ ٨٠٥).
(٩) «التبيان في أقسام القرآن» (١٤٤).
(١٠) «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» (٣٦).
(١١) «تفسير الطبري» (١/ ٧٥)، «مقدمة ابن تيمية» (١١٥).

إن عدد آيات الأحكام في القرآن (٥٠٠ آية)، وعدد آيات القرآن (٦٢٣٦ آية).

إن فهم الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والعلم بالله واليوم الآخر؛ لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة، من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية. فمعظم القرآن بيِّنٌ واضحٌ ظاهرٌ، يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والأمي.

فحينما سمع الأعرابي قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣]، قال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم.

وحينما أخطأ إمام في قراءة آية النحل: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]، قرأها: (من تحتهم) صوَّب له خطأه امرأة عجوز لا تقرأ ولا تكتب!!!.

إن القرآن بيِّنٌ واضحٌ ظاهرٌ، وفهمه وفقهه وتدبره ليس صعبًا بحيث نغلق عقولنا، ونعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير، فنعمم حكم الأقل على الكل فهذا مفهوم خاطئ وهو نوع من التسويف في تدبر القرآن وفهمه.

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به.

وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والمنطق والحزم والحكمة أنك إذا أُشكل عليك معنى آية أن تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها لا أن تغلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة.

المفتاح الأول

حب القرآن

۞ المسألة الأولى: القلب آلة الفهم والعقل:

الكلام في هذه المسألة - بإيجاز - من وجهين:

الأول: أن القلب هو آلة الفهم والعقل.

الثاني: أن القلب بيد الله وحده لا شريك له.

فأما الوجه الأول: فقد دلَّ على ذلك نصوص كثيرة، الآيات القرآنية منها تزيد على مائة آية، وسأكتفي في هذا المبحث بذكر ثلاث منها مما هي صريحة الدلالة على المسألة، وهي: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

وليس هذا مقام بسط هذه المسألة وتأصيلها، وإنما المقصود التذكير بأن القلب آلة الفهم والعقل والإدراك، ومن ذلك فهم القرآن وتدبره.

وأما الوجه الثاني: القلب بيد الله وحده لا شريك له، يفتحه متى شاء، ويغلقه متى شاء، بحكمته وعلمه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ

ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقد جعل لذلك أسبابًا ووسائل، من سلكها وُفِّق، ومن تخلَّف عنها خذل، ويأتي بيان ذلك في المسائل التالية.

فتذكر وأنت تحاول فهم القرآن أن القلوب بيد الله تعالى، وأن الله يحول بين المرء وقلبه، فليست العبرة بالطريقة والكيفية، بل الفتح من الله وحده، وما يحصل لك من التدبر فهو نعمة عظيمة من الله تعالى تستوجب الشكر لا الفخر، فمتى أعطاك الله فهم القرآن، وفتح لك معانيه، فاحمد الله تعالى واسأله المزيد، وانسب هذه النعمة إليه وحده، واعترف بها ظاهرًا وباطنًا.

۞ المسألة الثانية: علاقة حب القرآن بالتدبر:

من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئًا تعلَّق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، واجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التدبر المكين، والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعبًا، وانقياده إليه يكون شاقًّا لا يحصل إلا بمجاهدة ومغالبة، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر.

والواقع يشهد لصحة ما ذكرت، فإننا مثلًا نجد أن الطالب الذي لديه حماس ورغبة وحب لدراسته يستوعب ما يقال له بسرعة فائقة وبقوة، وينهي متطلباته وواجباته في وقت وجيز، بينما الآخر لا يكاد يعي ما يقال له إلا بتكرار وإعادة، وتجده يذهب معظم وقته ولم ينجز شيئًا من واجباته.

۞ المسألة الثالثة: علامات حب القلب للقرآن:

حب القلب للقرآن له علامات منها:

١- الفرح بلقائه.

٢- الجلوس معه أوقاتًا طويلة دون ملل.

٣- الشوق إليه متى بعد العهد عنه وحال دون ذلك بعض الموانع، وتمني لقائه والتطلع إليه ومحاولة إزالة العقبات التي تحول دونه.

٤- كثرة مشاورته والثقة بتوجيهاته والرجوع إليه فيما يُشكل من أمور الحياة صغيرها وكبيرها.

٥- طاعته، أمرًا ونهيًا.

هذه أهم علامات حب القرآن، وصحبته، فمتى وُجدت فإن الحب موجود، ومتى تخلفت فحب القرآن مفقود، ومتى تخلف شيء منها نقص حب القرآن بقدر ذلك التخلف.

۞ إنه ينبغي لكل مسلم أن يسأل نفسه هذا السؤال: هل أنا أحب القرآن ؟

إنه سؤال مهم وخطير، وإجابته أشد خطرًا، إنها إجابة تحمل معاني كثيرة.

وقبل أن تجيب عن هذا السؤال ارجع إلى العلامات التي سبق ذكرها لتقيس بها إجابتك وتعرف بها الصواب من الخطأ.

إن بعض المسلمين لو سُئل هل تحب القرآن؟ يجيب: نعم أحب القرآن، وكيف لا أحبه؟ لكن هل هو صادق في هذا الجواب؟

كيف يحب القرآن وهو لا يطيق الجلوس معه دقائق، بينما تراه يجلس

الساعات مع ما تهواه نفسه وتحبه من مُتع الحياة؟...!!

۞ قال أبو عُبيد:

«لا يسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن، فإن كان يحب القرآن، فإنه يحب الله ورسوله»[١٢].

إننا ينبغي أن نعترف بالتقصير إذا لم توجد فينا العلامات السابقة، ثم نسعى في التغيير، وهو ما سيتم بيانه في المسألة التالية....

۞ المسألة الرابعة: وسائل تحقيقه:

۞ الوسيلة الأولى: التوكل على الله تعالى والاستعانة به:

الاستعانة بالله تعالى، وسؤاله سبحانه أن يرزقك (حب القرآن)، ومن ذلك الدعاء العظيم عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: **«أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»**[١٣].

---

(١٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/ ٤٨٥).

(١٣) «مسند أحمد بن حنبل» (١/ ٣٩١) (٣٧١٢)، «صحيح ابن حبان» (٣/ ٢٥٣) (٩٧٢)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٠) (٢٩٣١٨)، «المعجم الكبير» (١٠/ ١٦٩) (١٠٣٥٢)، «مسند أبي يعلى» (٩/ ١٩٨) (٥٢٩٦)، «مسند البزار» (٥/ ٣٦٣) (١٩٩٤)، «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٦)، «الدعوات الكبير» (١/ ١٢٤) (١٦٤)، وصحح إسناده العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٣٦) (١٩٩).

فيكرره كل يوم ثلاثًا، خمسًا، سبعًا، ويتحرى مواطن الإجابة، ويجتهد أن يكون سؤاله بصدق، وبتضرع، وإلحاح، وشفقة، وحرص شديد أن يُجاب، وأن يُعطى.

إن بعض الناس لا يعرف الإلحاح في المسألة إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردًا باهتًا، هذا إن دعا وسأل.

ومن الاستعانة بالله في حصول تدبر القرآن ما شرع لقارئ القرآن من الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن البسملة في أوائل السور، ففيها طلب العون من الله تعالى على تدبر القرآن عامة والسورة التي يريد قراءتها خاصة.

۞ الوسيلة الثانية: فعل الأسباب:

وخير الأسباب وأنفعها في هذه المقام العلم، ووسيلته: القراءة؛ أي القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسُّنة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له.

أقترح على كل راغب في تحصيل حب القرآن أن يضع له برنامجًا يتضمن نصوصًا من القرآن والسُّنة وأقوال السلف، فيها بيان لعظمة القرآن ومكانته، ويرتبها على مستويين: (متن، وشرح)، فالمتن يُحفظ ويُكرر، والشرح يُقرأ ويُفهم، ويتم ربط المعاني التي تضمنها الشرح بألفاظ المتن(١٤).

---

(١٤) ومثل هذا العمل لا ينوب فيه أحد عن أحد، بل على كل شخص أن يجمع لنفسه كل نصٍّ يتأثر به، ويرتب ما يجمع على الطريقة التي وصفتها، كما أن تكرار قراءة هذا الكتاب أيضًا يحقق لك هذا الهدف.

ويرجى - بإذن الله تعالى - لمن طبق هذا البرنامج أن يرزقه الله حب القرآن وتعظيمه، الذي هو المفتاح الرئيس لتدبر القرآن وفهمه، وكل كلام يقال في هذا الموضوع فهو متوقف عليه، وهذا السر في أن الكثير منا يقرأ في هذا الموضوع ولا يخرج بأي نتائج إيجابية.

فأكثر من القراءة عن القرآن، اقرأ باستمرار عن حال السلف مع القرآن وقصصهم في ذلك وأخبارهم.

ينبغي أن نعلم أن عدم حبنا للقرآن، وعدم تعظيمنا له سببه الجهل بقيمته، مثل الطفل تعطيه خمسمائة ريال، فيرفض ويطلب ريالًا واحدًا، فكذلك من لا يعرف قيمة القرآن يزهد فيه ويهجره ويشتغل بما هو أدنى منه.

لو أُعلن عن كتاب من يختبر فيه وينجح يمنح عشرة مليارات؛ فكيف يكون حرص الناس وتعلقهم بهذا الكتاب؟ وكيف يكون الطلب عليه، والاشتغال بمذاكرته؟

إن القرآن كتاب من ينجح فيه يمنح مُلكًا لا حدود له.

إن كثير من المسلمين تعظيمه للقرآن تعظيم مُجمل، فحد علمهم: أنه كتاب مُنزَّل من عند الله، تعبَّدنا بتلاوته في الصلاة، ونقرؤه على المرضى للشفاء، أما العلم التفصيلي بعظمة القرآن ومكانته وما يحققه من نجاح للإنسان في هذه الحياة فهو محل جهل عند الكثيرين...

۞ وأضرب لذلك مثالًا:

لما تسمع عن شخص عظيم له أثر في التاريخ يتكون لديك صورة إجمالية عنه، ويصبح له مكانة في نفسك، وعندما تقرأ كتابًا من (٦٠٠ صفحة) عن بطولاته وتضحياته وقصص كرمه وبره للناس، وما حققه

من إنجازات، وما قام به من مروءات، تعيش مع هذا الكتاب مدة شهر حرفًا حرفًا، فبكل تأكيد أن صورة هذا القائد أو المصلح ستزداد عُمقًا، ويزداد حبك وتعظيمك له، وهذا التأثر أمر مشاهد لا يمكن لأحد إنكاره، فلم لا نوظفه لزيادة حبنا وتعظيمنا للقرآن الكريم وتعلقنا به، فإذا فعلنا ذلك فإن هذا الكتاب العظيم سيزيد حبنا وتعظيمنا لله ﷻ، وبهذا نصل إلى مرتبة ودرجة أولياء الله المتقين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين لو أقسم الواحد منهم على الله لأبره، وحقق له أُمنيته.



المفتاح الثاني

أهداف قراءة القرآن

۞ **تمهيد: في التنبيه إلى استحضار أهداف قراءة القرآن:**

معظم الناس إذا سألته لماذا تقرأ القرآن؟ يُجيبك: لأن تلاوته أفضل الأعمال، ولأن الحرف بعشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، فيقصر نفسه على هدف ومقصد الثواب فحسب، أما المقاصد والأهداف الأخرى فيغفل عنها.

والمشتغل بحفظ القرآن تجده يقرأ القرآن ليثبت الحفظ، الهدف تثبيت الحروف وصور الكلمات، فتجده تمر به المعاني العظيمة المؤثرة فلا ينتبه لها، ولا يحس ولا يشعر بها؛ لأنه قصَّر همته وركز ذهنه على الحروف وانصرف عن المعاني؛ **فلهذا السبب تجد حافظًا للقرآن غير عامل ولا مُتخلق به.**

وجمع الذهن بين نيات ومقاصد متعددة في وقت واحد عملية تحتاج إلى انتباه وقصد وتركيز.

وفي أي عمل نعمله كلما تعددت النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجرًا وأكبر تأثيرًا على العامل، مثل الصدقة على ذي الرحم: صدقة وصلة، ومثل النفقة على الأهل: نفقة وصدقة.

وقراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد ونيات كلها عظيمة، وكل واحدة منها كافية لأن تدفع المسلم ليسارع إلى قراءة القرآن، ويكثر

الاشتغال به وصحبته، وأهداف قراءة القرآن مجموعة في قولك: (ثمَّ شعَّ): (الثاء): ثواب، (الميم): مناجاة، (الميم) مسألة، (الشين): شفاء، (العين): علم، (العين): عمل.

فمتى قرأ المسلم القرآن مستحضرًا المقاصد الخمسة معًا كان انتفاعه بالقرآن أعظم، وأجره أكبر، قال النبي ﷺ: «**إنَّمَا الأعمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى**»[(١٥)].

فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم، ومن قرأه يريد الثواب فقط أُعطي الثواب.

۞ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من تدبَّر القرآن طالبًا الهُدى منه تبيَّن له طريق الحق»[(١٦)].

۞ وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنيَّة صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يجب، وجعل في قلبه نورًا...» اهـ[(١٧)].

ومن قرأ القرآن يريد النجاح؛ يسَّر الله له النجاح.



---

(١٥) «صحيح البخاري» (١/ ٣) (١)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٥١٥) (١٩٠٧)، «سنن أبي داود» (٢/ ٢٦٢) (٢٢٠١)، «سنن الترمذي» (٤/ ١٧٩) (١٦٤٧).

(١٦) «العقيدة الواسطية» (١٠٣).

(١٧) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٧٦).

الهدف الأول

قراءة القرآن لأجل العلم

۞ المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد:

هذا هو المقصد المهم، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن، والأمر بقراءته، بل ومن ترتيب الثواب على القراءة، قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».. اهـ[١٨].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار»... اهـ[١٩]

وقال مسروق بن الأجدع رحمه الله - وهو من كبار تابعي الكوفة وأجمعهم لعلم الصحابة -: «ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا

---

(١٨) «مصنف» ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٦)، «المعجم الكبير» للطبراني (٩/ ١٣٦)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٣٣٢).

(١٩) «التبيان» للنووي (٢٨).

وعلمه في القرآن، ولكن قصر علمنا عنه»[٢٠].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد عشنا دهرًا طويلًا وإن أحدنا يؤتى الإيمان[٢١] قبل القرآن[٢٢] فتنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل».. اهـ[٢٣].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما أراد بها»[٢٤].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «عليكم بالقرآن فتعلَّموه وعلِّموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل»... اهـ[٢٥].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة، كثر هذا الضرب

---

(٢٠) «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/ ٢٣١).
(٢١) أي ما تضمنته الآيات من العلم بالله واليوم الآخر.
(٢٢) أي مجرد قراءة الألفاظ.
(٢٣) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٩١) (١٠١)، «سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ١٢٠) (٥٠٧٣).
(٢٤) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٦).
(٢٥) «كنز العمال» (٢٣)، «مشكل الآثار» للطحاوي (١/ ١٧١).

من حملة القرآن - لا كثرهم الله - وصنف **عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم**، فركدوا به في محاريبهم، وحنوا به في برانسهم، واستشعروا الخوف، فارتدوا الحزن، فأولئك الذين **يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء**، والله لهؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر»... اهـ(٢٦).

۞ قال أحمد بن الحواري رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إني لأقرأ القرآن وأنظر في آيه، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه فتلذذوا به واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحًا بما قد رزقوا»(٢٧).

۞ المسألة الثانية: العلم الذي نريده من القرآن:

ما العلم الذي نريده من القرآن؟ أهو علم الصناعة؟ أو الزراعة؟ الإدارة؟ علم الدين؟ علم الدنيا؟

يجيب ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسألة المهمة بأبيات جميلة يقول فيها:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآن

---

(٢٦) ابن الجوزي في «العلل» (١/ ١١٠)، والكبريت الأحمر: أي الذهب الخالص. [انظر: «لسان العرب» (كبر/ ٥/ ١٢٥)].
(٢٧) «لطائف المعارف» (٢٠٣).

إننا نريد العلم الذي يحقق لنا النجاح في الحياة، يحقق لنا السعادة، والحياة الطيبة، والنفس المطمئنة، والرزق الحلال الواسع، ويحقق لنا الأمن في الدنيا والآخرة، نريد العلم الذي يولد الإرادة والعزيمة، ويقضي على كل مظاهر الفشل والإخفاق في جميع مجالات الحياة، إنه: العلم بالله تعالى والعلم باليوم الآخر، العلم بالله تعالى أوله العلم المقتضي للاستغفار كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ٢٣]، فالعلم الذي يورث الاستغفار، ويدفع إليه هو العلم المؤدي للنجاح، وهذا العلم هو: علم لا إله إلا الله، على وجه يحقق المقصود لفظًا ومعنى.

قال ابن عباس ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]: «هم الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير».

ولفظ **العلم** مصطلح واسع جدًّا، وإطلاقاته كثيرة، وهو لفظ جذاب، وكل يصطفيه لنفسه ويعتبر ما عداه ليس بعلم، ومن ذلك: أهل العلوم الدنيوية يسمون معارفهم علمًا، ويسمون العلوم الأخرى - بما فيها علوم الدين -: أدبًا... إلخ، وكل ذلك يعتبر علمًا فكل معرفة علمًا، لكن مجالاته متعددة، ويقيد فيقال علم كذا، أما إذا أطلق العلم عند المسلمين وفي القرآن والسُّنة خاصة فيراد به ما ذكره ابن القيم، وأيضًا شاع بين الناس قصر هذا العلم على قسم واحد منه وهو العلم بالحلال والحرام، وهذا خطأ شائع، فيقصرون كل فضل وارد في العلم في القرآن والسنة على علم الفروع أي الفقه، أو المسائل الخلافية من علم الاعتقاد، أما الأصول المتفق عليها فيصرف اللفظ عنها، وقد تجد من يجادل في هذه الحقيقة، فالصحيح أن العالم حقًّا هو من يخشى الله

تعالى، وإن كان لا يعرف كتابة اسمه، كما قيل:

ورأس العلم تقوى الله حقًّا وليس بأن يقال لقد رئستا

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا»(٢٨).

۞ المسألة الثالثة: كيفية تحقيق هذا المقصد:

إن مما يعين على تحقيق هذا المقصد أن تقرأ القرآن كقراءة الطالب لكتابه ليلة الامتحان، قراءة مركزة واعيةً، قراءة من يستعد ليختبر فيه اختبارًا دقيقًا.

إننا في هذه الحياة مختبرون في القرآن، فمنا الجاد النشيط الذي يذاكر هذا الكتاب باستمرار، وأجوبته حاضرة وراسخة، ومنا المهمل المقصر اللاعب الذي إذا سُئل عن شيء في القرآن قال: هاه هاه... ! لا أدري.

أن تقرأ القرآن قراءة الإداري للائحة النظام التي تنظم عمله، وتحدد الإجابة عن كل معاملة، ويحتاج إلى الرجوع إليها يوميًّا، إنه من المقرر أن الإداري الناجح هو من يحفظ اللائحة ويفهمها فهمًا دقيقًا شاملًا، وبه يتفوق المتفوقون في الإدارة والقيادة.

إن القرآن هو الذي يجب الرجوع إليه في كل موقف من مواقف حياتنا، وعليه فمن أراد أن يكون شخصًا ناجحًا في الحياة، فعليه بحفظه وفهم نصوصه، ليمكنه الحصول على الإجابات الفورية والسريعة والصحيحة في كل حالة تمر به في حياته.

---

(٢٨) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١).

۞ وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الصور والنماذج لهؤلاء الناجحين:

من ذلك جواب النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه إذ هما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وجواب موسى عليه السلام لقومه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وجواب يوسف عليه السلام لما دُعي للفحشاء: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، إنها ردود سريعة وحاضرة وقوية في أصعب المواقف التي تمر بالإنسان، وتطيش فيها عقول الرجال، إنه الثبات والرسوخ ممن حفظوا كتاب ربهم، وفقهوا ما فيه.

۞ المسألة الرابعة: من تطبيقات مقصد العلم:

أن تضع في ذهنك معاني وأسئلة محددة تريد البحث عن جوابها في القرآن، مثلك في هذا مثل: من يسير في طريق وهو خالي الذهن؛ أو من يسير وهو يبحث عن هدف معين، إنه من المشاهد - مثلًا - أننا نمر بالشارع مرارًا وتكرارًا فلا ننتبه لوجود محل معين فيه إلى أن نحتاج إليه فنبدأ بالتركيز والبحث فنكتشفه، وقبل ذلك لو سُئلنا هل يوجد في الشارع الفلاني مكتبة؟ فنقول: لا، ونؤكد أنه لا يوجد، بينما هي موجودة، لكن لم ننتبه مع أننا مررنا بجوارها مئات المرات.

إن كل موقف أو حدث أو حالة تمر بك تسأل نفسك: أين ذكرت في القرآن؟ هل وردت في كتاب الله عز وجل؟

وكم قرأنا وسمعنا عمن يندهش لغياب معنى آية من القرآن وعن قلبه

(٢٩) ارجع إلى شريط (صيام قلب) للدكتور/ خالد الجبير، وفيه قوله: «آية كنت أقرؤها وأسمعها منذ أربعين سنة ولم أفهمها إلا اليوم».

فتجده يقول: أهذه آية في القرآن؟ كأني أسمعها لأول مرة[٢٩].

نعم إن قراءة معاني الآيات أمر يختلف تمامًا عن قراءة الألفاظ، ونسيان المعاني وغيابها أمر يحصل مع أن اللفظ موجود واللسان ينطق به ويكرره.

۞ المسألة الخامسة: القرآن والبرمجة اللغوية العصبية:

۞ **يقول الدكتور محمد التكريتي:**

«لو كان ملتون أريكسون[٣٠] يعرف العربية، وقرأ القرآن لوجد ضالته المنشودة فيما حاول أن يصل إليه من استخدام اللغة في التأثير اللاشعوري في الإنسان، ذلك التأثير الذي يشبه السحر وما هو بسحر، فقد سحر العرب مؤمنهم وكافرهم على حد سواء، ولم يكونوا في بداية الأمر يعرفون سببًا لذلك...». اهـ[٣١].

وهنا دعوة أوجهها إلى كل من اشتغل بهذا العلم بحثًا عن السعادة والقوة والنجاح أن يبحث عنها في القرآن، وأن يركز جهوده وفكره لربط الناس بالقرآن العظيم الذي ما أنزل إلا من أجل تحقيق القوة والسعادة للناس، وتحريرهم من عبودية الشهوات والأهواء، وجميع نقاط ضعفهم لينطلقوا في درجات القوة والنجاح في أرقى أشكالها، وأعلى صورها.

وليس مقصود البحث بسط الكلام في هذه المسألة، وإنما تعرضت لها لعلاقتها بتدبر القرآن، ولأنها من أبرز المظاهر التي تؤكد أهمية

---

(٣٠) أحد رواد البرمجة اللغوية والعصبية.

(٣١) «آفاق بلا حدود» (٢٠١).

(٣٢) قد خصصت لبيان هذه القضية رسالة بعنوان: «البرمجة اللغوية العصبية أو التزكية العلمية القلبية أي الطريقين أقرب للنجاح»، أسأل الله أن ييسر كتابتها.

معرفة مفاتيح تدبر القرآن والانتفاع به في الحياة(٣٢).

۞ المسألة السادسة: لِمَ لا تكون الدعوة بالقرآن:

لو تأملنا في حوار النبي ﷺ مع المدعوين، وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أن في كثير من المواقف يكتفي بتلاوات آيات من القرآن الكريم، ويحدث هذا أثرًا عظيمًا في النفوس، لقد كانت قراءة النبي ﷺ لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك وتبين له الحق، ولا يقل أحد إن هذا خاص بالنبي ﷺ، بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به، وهو بهذا مستجيب لربه ﷻ الذي أمره بذلك إذ يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وبقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢].

فلم لا يكون حوارنا، وتكون خطبنا، ومواعظنا تنطلق وتدور في فلك آيات القرآن الكريم، نبدأ بالاستشهاد بها في كل ما نريد إيصاله إلى المدعوين من تربية وتعليم.

إن البعض قد يعتذر قائلًا: إن ما تدعو إليه صعب، ونحن نشاهد الناس يتأثرون بالقصص والأمثلة والنماذج الحية أكثر من تأثرهم بالقرآن.

فأقول: إن هذا هو أساس المشكلة التي نحاول علاجها في هذا البحث، وهو لماذا نتأثر بالقصص والحكايات، ولا نتأثر بالآيات؟

إن بعض الدعاة ممن يكثر القصص يتعلل بقوله: إن الناس لا يطيقون أو لا يفهمون ذلك، فنحن نقرب لهم الأمر بالقصص والحكايات

والأدبيات التي تؤثر في نفوسهم، وهذا غير صحيح، فالعيب في الداعية نفسه وليس في الطريقة أو المنهج، وليس العيب في الناس، بل إنه متى استشعر الداعية عظمة القرآن، وكان معايشًا له متعمقًا فيه، فإن أثر قراءته لبعض آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك وجرِّب تجد(٣٣).

إنها كلمة أوجهها إلى المصلحين، والمربين، والقائمين على مكاتب الدعوة، وأقسام القوة المعنوية في القطاعات العسكرية والأمنية، وحلقات تحفيظ القرآن بأن يركزوا جهودهم على هذا الأمر بألوان وأساليب متنوعة فيه تقريب وتدريب وتعليم فردي يوصل المتلقي إلى هدف إتقان هذه (المفاتيح العشرة) حسب الاستطاعة، ففي هذا اقتداء بالنبي ﷺ وتوفير للأوقات والجهود والأموال التي تصرف على الدعوة والإصلاح، وفي هذا علاج قوي وسريع المفعول وطويل الأمد.

إن أي وسيلة دعوية يجب أن تربط مباشرة بالقرآن فإن كانت تحقق فهم القرآن والتأثر به حسن فعلها وإلا فتركها أولى وأحرى.

إن انشغال الناس بمؤلفات الناس وطلبهم العافية والشفاء النفسي والقوة المعنوية منها يشبه أسلوبهم في التغذية البدنية الجسدية؛ حيث اقتصروا على أطعمة ترضي الذوق والمزاج بينما هي تهدم الجسد وتهلكه.

---

(٣٣) إن البعض يناقش في هذه المسألة مع شدة وضوحها وقوة ظهورها، ومن لا يزال في ريب مما أقول فليقرأ كتاب «بالقرآن أسلم هؤلاء» تأليف/ عبد العزيز سيد هاشم. نشر دار القلم، وليقرأ سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه بتمعن وعمق ليتبين له الحق، إننا لما فرطنا في تطبيق هذه المفاتيح حيل بيننا وبين القرآن، فصرنا لا نتأثر به، ولا نستطيع أن نؤثر به، فسلكنا طريق القصة والقصيدة والفُكاهة والمشهد... إلخ مما نُسميه وسائل الدعوة.

۞ المسألة السابعة: القرآن يُحيي القلوب كما يحيي الماء الأرض:

قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٧]، وقد جاءت هذه الآية بعد قول الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

وفي هذا إشارة إلى أن حياة القلوب تكون بذكر الله تعالى وما نزل من الحق وهو القرآن مثل ما أن حياة الأرض الميتة يكون بالماء.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض».. اهـ[٣٤].

وهذا أمرٌ مشاهدٌ ظاهر للعيان، ومن المشاهدات في هذا الأمر ما نشاهده من زكاة القلوب ورقتها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ويُكثر ذلك، ثم إنك ترى هذه الحياة التي حصلت للقلوب في رمضان تبدأ بالتلاشي بالتدريج بعد رمضان حين تنقطع عن القرآن الكريم.

فمن أراد حياة قلبه فعليه بسقيه بربيع القلوب القرآن وبكميات وكيفيات مناسبة لإحداث الحياة كما سيأتي تفصيله في ثنايا هذا البحث.

۞ المسألة الثامنة: وقفة مع آية:

وهي قوله الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ

---

(٣٤) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٨٥).

أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

۞ إن تزكية الإنسان وإصلاحه له جهتان:

الأولى: العلم والتعليم، أو الفكر، أو المنطق، أو الإقناع، أو المعتقدات... إلخ من المصطلحات في هذا المعنى.

الثانية: العمل، أو التربية، أو التدريب، أو السلوك... إلخ من المصطلحات.

والقرآن الكريم يحقق الأمرين معًا بأكمل وجه وأحسن صورة لمن آمن به وسلك الأسباب الموصلة لذلك.

إن القرآن الكريم بحق هو كتاب التربية والتعليم الذي يغني عما سواه، ولا يغني عنه غيره، ولقد أجاد ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» في بيان هاتين الجهتين والعلاقة بينهما، فمن المعلوم المقرر أن سلوك الإنسان وتصرفاته لا تصدر بعفوية أو عشوائية، وإنما تقوم على فكر ومعتقد، وتراكمات علمية بنيت على مرِّ الأيام، وعلى خبرات تم تخزينها مع تكرار المواقف والتصرفات منذ الطفولة إلى أن صار رجلًا، فمتى أردت الطريق المختصر لتغيير شخص فعليك بتغيير معتقداته وأفكاره، دون أن تتعب نفسك بملاحقة مفردات سلوكياته وتصرفاته، وهذا ما يحققه القرآن الكريم لمن أخذ بمفتاحه.



الهدف الثاني

قراءة القرآن بقصد العمل به

۞ المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة القرآن، أو يا حملة العلم؛ اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عَمَلُهم عِلْمَهم، وتخالف سريرتُهم علانيتَهم، يجلسون حلقًا يباهي بعضهم بعضًا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى....». اهـ[٣٥].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: «أمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخذوا تلاوته عملًا»[٣٦].

وقال الحسن بن علي رحمه الله: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فليست بقراءة»[٣٧].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن

---

(٣٥) «التبيان في آداب حملة القرآن» (١/ ٢٠)، «كنز العمال» (١٠/ ١٢٠).

(٣٦) «تفسير السمعاني» (٤/ ١١٩)، «مدارج السالكين» (١/ ٤٥١)، «تلبيس إبليس» (١٠٩).

(٣٧) «كنز العمال» (١/ ٢٧٧٦).

لم يكن قرأه[٣٨]».. اهـ[٣٩].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عثمان وابن مسعود وأُبي بن كعب رضي الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ كان يقرؤهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا»[٤٠].

ويقول الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه، همته متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟».. اهـ[٤١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله..، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له في خُلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس! والله ما هؤلاء بالقراء، ولا بالعلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كان القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء...». اهـ[٤٢].

وسُئلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ما كان خُلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان خُلقه القرآن،

---

(٣٨) أي أنه لا يقدر على القراءة، أما من قدر على قراءة القرآن فلا يتصور أنه لا يقرؤه.
(٣٩) «قاعدة في فضائل القرآن» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٩).
(٤٠) «تفسير القرطبي» (١/ ٣٩)، «تفسير الطبري» (١/ ٦٠).
(٤١) «أخلاق حملة القرآن» (٤٠).
(٤٢) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٤٢٠)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٥٤١)، «الزهد» لابن المبارك (١/ ٢٧٤).

يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه». . اهـ[٤٣].

جاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: إن ابني هذا قد جمع القرآن، فقال: اللهم غَفْرًا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع». . . ا.هـ[٤٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا. . .». اهـ[٤٥].

۞ المسألة الثانية: مفهوم تطبيق هذا المقصد وكيفيته:

أن يقرأ القرآن بنية العمل، بنية البحث عن علم ليعمل به، فيقف عند آياته ينظر ماذا تطلب منه، هل أمر يؤمر به، أو شيء يُنهى عنه، أو فضيلة يدعى للتحلي بها، أو خطر يحيق به يحذر منه، وهكذا فإن القرآن هو الدليل العملي لتشغيل النفس وصيانتها، ينبغي أن يكون قريبًا من كل مسلم يربي به نفسه ويهذبها، أن تقرأ القرآن بنية وقصد من يبحث عن حلّ لمشكلة أو إصلاح خلل، يبحث عن تفسير لظاهرة أو علاج لمرض، أو تحليل لحالة من الحالات.

أما إذا كنا نبحث عن علاج مشكلاتنا التربوية في كتب فلان، أو علان، أو في المجلات والصحف، أو القنوات الفضائية، فإننا بهذا قد عطلنا هذا المقصد المهم من مقاصد القرآن، إن كل تربية لا تُبنى

---

(٤٣) «صحيح مسلم» (٧٤٦)، وبهذا اللفظ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٨)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٥٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٢١٦)، وتكلم عليه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠٣)، وابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٧٥).

(٤٤) «قاعدة في فضائل القرآن» لابن تيمية (٥٩).

(٤٥) «صحيح البخاري» (٧٢٨٢/ كتاب الاعتصام/ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ).

مباشرة على القرآن فهي تربية قاصرة ولو أثمرت بعض الثمار مؤقتًا استدراجًا وابتلاءً، إن تربية الناشئة وتربية الشباب لابد أن تُبنى مباشرة على القرآن بأساليب ووسائل مناسبة.

إن البعض منا لما تعلق بالدنيا ومكاسبها المادية ابتُلي وفُتن بعلوم الغرب وأطروحاتهم، وظن فيها النجاح والسعادة، والقوة الإدارية والاقتصادية، وهو يتأول لفعله هذا بشتى التأويلات، ويحتج لتصرفه بكثير من الحجج.



الهدف الثالث

قراءة القرآن بقصد مناجاة الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن»**(٤٦).

ومعنى أذن: أي استمع.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد أُذُنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته»**(٤٧).

وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: سألت سفيان الثوري رحمه الله قلت: الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته؟ قال: ينوي أنه يناجي ربه(٤٨).

وعن البياضي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: **«إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر ما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»**(٤٩).

---

(٤٦) «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧٤٣) (٧١٠٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٤٥) (٧٩٢)، «سنن أبي داود» (٢/ ٧٥) (١٤٧٣)، «سنن النسائي» (المجتبى /٢/ ١٨٠) (١٠١٧).

(٤٧) «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٥) (٣٣٠).

(٤٨) «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٩٢).

(٤٩) «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٣٤٤)، وصححه أحمد شاكر.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن»(٥٠).

وقال أبو مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى فنظفوها ما استطعتم، قال: فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن»(٥١).

فالمسلم عند قراءته للقرآن عليه أن يستحضر هذا المقصد العظيم لكي يشعر بلذة القراءة حينما يستحضر أن الله يراه ويستمع لقراءته وهو يقرأ ويمدحه ويثني عليه ويباهي به ملائكته المقربين، إن أحدنا لو ظن أن رئيسه، أو والده أو أميرًا ينظر إلى قراءته ويمدحه لاجتهد في ذلك، فكيف والذي يستمع إليه ويُثني عليه ملك الملوك الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

فالقارئ يستشعر أن الله يخاطبه مباشرة، وأن الله تعالى يسمع قراءته، فإذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بآية فيه وعيد استعاذ، وإذا مرَّ بسؤال سأل.

هذا ما أعنيه بالمناجاة...

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة(٥٢) فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بتعوذ

---

(٥٠) «فضائل أبي عبيد» (٥٥)، «التذكار» (١٠٨).

(٥١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٥٥)، «الدر المنثور» (١/ ٢٧٨)، «تفسير القرطبي» (١/ ٢٧)، وانظر: «سنن ابن ماجه» (١/ ١٠٦).

(٥٢) قوله: «يصلي بها في ركعة» أراد بالركعة الصلاة كاملة والمعنى: يصلي بها في تسليمة.

تعوَّذ»[٥٣].

هكذا تكون المناجاة بالقرآن، إنها قراءة حيَّة يعي فيها العبد ماذا يقرأ؟ ولماذا يقرأ؟ ومن يخاطب بقراءته؟ وماذا يحتاج منه؟ وما يجب له نحوه من التعظيم والتقديس.

تذكر دائمًا إذا مررت بصفة من صفات النجاح والسعادة أن تسأل الله تعالى إياها، وإذا مررت بصفة من صفات الشقاء والفشل والنكد والضيق أن تستعيذ بالله من شرها.

ثم إن تربية النفس على هذا المقصد يقوي فيها مراقبة الله تعالى في حال النشاط وهي مقبلة فيكون حاجزًا لها عند الفتور والإدبار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله». . اهـ[٥٤].

۞ فائدة:

تذكَّر أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معان مجموعة في قولك: (حرس مع).

(الحاء): أن الله **يحبك** حين تقرأ القرآن.

(الراء): **يراك**.

(السين): **يسمعك**.

---

(٥٣) «صحيح مسلم» (١/ ٥٣٦) (٧٧٢)، «سنن النسائي» (المجتبى/ ٣/ ٢٢٥) (١٦٦٤).

(٥٤) «الفوائد» (١).

(الميم): **يمدحك**.

(العين): **يعطيك**.

فاستحضر هذه المعاني حين القراءة ولا تدعها تفوت عليك.



الهدف الرابع

قراءة القرآن بقصد الثواب

ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة أذكر طرفًا منها للتذكير بهذا الأمر المهم:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٥٥).

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ألا إني تاركٌ فيكم ثقلين؛ أحدهما: كتاب الله عز وجل، هو حبل الله، ومن اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة**»(٥٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»(٥٧).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا بالقرآن؟**»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد»(٥٨).

---

(٥٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٥٦) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٧٣) (رقم ٢٤٠٨).

(٥٧) «سنن الترمذي» (٥/ ٦٦٣) (رقم ٣٧٨٨)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

(٥٨) «صحيح البخاري» (١/ ٤٥٠)، «سنن أبي داود» (٣/ ١٩٦) (٣١٣٨)، =

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجر»**(٥٩).

وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»**(٦٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعلموا القرآن فاقرؤوه وأقرئوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلَّمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك»**(٦١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**(٦٢).

= «سنن الترمذي» (٣/ ٣٥٤) (١٠٣٦)، وقال: حسن صحيح. و«صحيح ابن حبان» (٧/ ٤٧١)، «سنن النسائي» (٤/ ٦٢) (١٩٥٥)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٨٥) (١٥١٤)، وصححه الألباني.

(٥٩) «صحيح البخاري» (٤/ ١٨٨٢) (٤٦٥٣)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٤٩) (٧٩٨)، «سنن أبي داود» (٢/ ٧٠) (١٤٥٤)، «سنن الترمذي» (٥/ ١٧١) (٢٩٠٤)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٤٢) (٣٧٧٩).

(٦٠) «صحيح البخاري» (٤/ ١٩١٩) (٤٧٣٩)، «سنن أبي داود» (٢/ ٧٠) (١٤٥٢)، «سنن الترمذي» (٥/ ١٧٣) (٢٩٠٧)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٧٦) (٢١١)، «سنن الدارمي» (٢/ ٥٢٨) (٣٣٣٧)، «مسند الإمام أحمد» (١/ ٥٧) (٤٠٥).

(٦١) «سنن الترمذي» (٥/ ١٥٦) (٢٨٧٦)، وقال: حديث حسن، وضعفه الألباني، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٩٩) (٢١٢٦)، قال شعيب الأرناؤط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد.

(٦٢) «صحيح مسلم» (١/ ٥٥٢) (٨٠٤)، وبنحوه في «سنن الدارمي» (٢/ ٥٢٢) (٣٣١١)، «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٤٩) (٢٢٢٠٠)، «صحيح ابن حبان» (١/ ٣٢٢) (١١٦)، «المستدرك» (١/ ٧٤٧) (٢٠٥٧)، «سنن البيهقي» (٢/ ٣٩٥) (٣٨٦٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»**(٦٣).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«القرآن شافع مشفع، وماحلٌ مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»**(٦٤).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران»**(٦٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»**(٦٦).

وعن عمر رضي الله عنه قال: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»**(٦٧).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن**

---

(٦٣) «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ١٧٤) (٦٦٢٦)، وصححه أحمد شاكر، «مستدرك الحاكم» (١/ ٤٧٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٢٩) (٣٠٠٤٤)، «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ٤٨٣) (٩٦٩).

(٦٤) «صحيح ابن حبان» (١/ ٣٣١) (١٢٤)، «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٣٧٢) (٦٠١٠)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٣٥١) (٢٠١٠).

(٦٥) «صحيح مسلم» (١/ ٥٥٤) (٨٠٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ١٦٠) (٢٨٨٣).

(٦٦) «سنن الترمذي» (٥/ ١٧٧) (٢٩١٣)، وقال: حسن صحيح، «المستدرك» (١/ ٧٤١) (٢٠٣٧)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، «سنن الدارمي» (٢/ ٥٢١) (٣٣٠٦)، «المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ١٠٩) (١٢٦١٩)، «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٢٣) (١٩٤٧).

(٦٧) «صحيح مسلم» (١/ ٥٥٩) (٨١٧)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٧٩) (٢١٨).

الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن[٦٨] **كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُر»**[٦٩].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[٧٠].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مرفوعًا -: **«من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف»**[٧١].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لو أن حملة القرآن أخذوا بحقه وما ينبغي له، لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس». اهـ[٧٢].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما

---

(٦٨) يعني أنه أمي لا يقدر على القراءة، وهو حريص على قراءة القرآن، بدليل وصفه بالإيمان، فلا يتصور أبدًا مؤمن يقدر على قراءة القرآن ويهجر قراءته.

(٦٩) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٠٧٠) (٥١١١)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٤٩) (٧٩٧)، «سنن أبي داود» (٤/ ٢٥٩) (٤٨٢٩)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٧٧) (٢١٤)، «سنن الترمذي» (٥/ ١٥٠) (٢٨٦٥)، «سنن النسائي» (٨ / ١٢٤) (٥٠٣٨).

(٧٠) «سنن أبي داود» (٢ / ٧١) (١٤٥٥)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٢) (٢٢٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ١٩٥) (٢٩٤٥).

(٧١) «الترغيب» لابن شاهين (١/ ٢٨٨)، «الكامل» لابن عدي (٢/ ١١١)، وإسناده حسن كما قال الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٤٥٢).

(٧٢) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٠).

استطعتم، فإني لا أعلم شيئًا أصفرَ من خير من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب كخراب البيت الذي لا ساكن فيه»[٧٣].

وقال أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره»[٧٤].

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «البيت الذي يُتلى فيه كتاب الله كثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله، وقل خيره، وحضرته الشياطين، وخرجت منه الملائكة»[٧٥].

والنصوص في هذا الباب كثيرة، وإنما قصدت ألا يخلو هذا البحث من طرف منها ليكون ترسيخًا لهذا الهدف من أهداف قراءة القرآن، ومن أراد التوسع فعليه بكتب السُّنة يقطف منها ما لذ وطاب من الكلام المستطاب؛ فما ذكرته هنا غيض من فيض، وقليل من كثير، والله الهادي إلى سواء السبيل.



---

(٧٣) «سنن الدارمي» (رقم ٣١٧٣).

(٧٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٢٦) (٣٠٠١١)، (٧ / ١٠٦) (٣٤٥٥١)، «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ١٧٧) (٦٦٥٥).

(٧٥) «الزهد» لابن المبارك (١/ ٢٧٣) (٧٩٠).

الهدف الخامس

قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤].

فالقرآن شفاء للقلوب من أمراض الشبهات والشهوات والوساوس بأنواعها كلها القهري وغيره[٧٦]، وشفاء للأبدان من الأسقام، فمتى استحضر العبد هذا المقصد فإنه يحصل له الشفاءان: الشفاء العلمي المعنوي النفسي، والشفاء المادي البدني - بإذن الله تعالى -.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير الدواء القرآن**»[٧٧].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وامرأة تعالجها، أو

---

(٧٦) إن تطبيق مفاتح تدبر القرآن من أقوى الأدوية في قطع الوساوس المزعجة والتي تحدث القلق أو الاكتئاب، وقد انتفع به كثير من الناس هدأت نفوسهم واطمأنت قلوبهم ونزلت عليهم السكينة، وحصل لهم السلام النفسي بكل معانيه.

(٧٧) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ٩٣١).

ترقيها، فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»(٧٨).

والشفاء بالقرآن يحصل بأمرين:

الأول: القيام به، وخاصة في جوف الليل الآخر، مع استحضار نيَّة الشفاء.

والثاني: الرقية به(٧٩)، فالريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط، والصحة والعافية لا يرقى إليه أي خلطة من خلطات الأعشاب أو مركب من مركبات الصيادلة، ولا أظن مسلمًا ينكر أثر النفث بالآيات في الشفاء والعلاج، ولكن ليس من أي أحد، وأيضًا هو ممكن لكل أحد، ممن يأخذ بالأسباب.

إننا ينبغي أن نتعامل مع القرآن مباشرة، فهو ميسَّرٌ لكل من صدق في التعامل معه وجَدَّ في القيام به، أما أن نجعل بيننا وبين القرآن وسطاء ونهمل التعامل المباشر مع القرآن، فهذا غاية الحرمان، تجد البعض حينما يصاب بمصيبة، أو ينزل به مرض يجوب الآفاق ويطوف البلاد بين القراء والمعالجين؛ وما علم أن الأمر أقرب من ذلك وأيسر، فالله ﷻ حينما يبتلينا بالشدائد والمصائب يريد منا أن نتضرع، وأن نستكين ونتذلل بين يديه سبحانه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، والقيام

---

(٧٨) «صحيح ابن حبان» (١٣/ ٤٦٤) (٦٠٩٨)، «موارد الظمآن» (١/ ٣٤٣) (١٤١٩).

(٧٩) والمسلم يوقن بهذا الأثر للقرآن الكريم، وهو أمر مشاهد محسوس، وانتفاع المسلمين به متواتر على مر العصور، ولسنا بحاجة لإثبات ذلك بالتجربة، بل هو يقين علمي خبري، لكن من أراد زيادة يقين فعليه بشريط: (أسباب منسية) للدكتور الجبير.

الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله تعالى والتضرع بين يديه كما يحصل في صلاة الكسوف وغيرها، فالقيام بالقرآن من أقوى أسباب الشفاء والعافية. . .

وليس هذا موضع بسط هذه المسألة، وإنما المقصود التذكير بأن يستحضر قارئ القرآن هذا الأمر العظيم حين قراءته ليحصل على أعلى درجات التأثير والنفع، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، فقد فصَّل وأجاد الحديث عن هذه المسألة، وفيه كلام نفيس يحسن الرجوع إليه.



المفتاح الثالث

القيام بالقرآن

إن هذا المفتاح من أهم مفاتح تدبر القرآن، وأعظمها شأنًا.

وقد ورد عدد من النصوص تؤكد أهميته، من ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل: ١- ٥].

وقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»(٨٠).

---

(٨٠) «صحيح البخاري» (١/ ٣٩) (٧٣)، (٤/ ١٩١٩) (٤٧٣٧) و(٤٧٣٨)، «صحيح مسلم» /(١/ ٥٥٩) (٨١٥) و(٨١٦)، «صحيح ابن حبان» (١/ ٢٩٢) (٩٠)، =

فانظر إلى قوله: «**ينفقه**» مع قوله: «**يقوم به**»، فيؤخذ منه أن من آتاه الله القرآن ولم يقم به، أي لم يقرأه في صلاة فهو مثل من آتاه الله مالًا ولم ينفقه، ويؤكد هذا الحديث الآتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا القرآن فاقرؤوه واقرئوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فرقَدَ وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك**»(٨١).

فدل هذا الحديث على أن من آتاه الله القرآن فرقدَ ولم يقم به فهو مثل من اشترى طِيبًا وتركه مغلقًا ولم يستخدمه.

ويُبين الحديث التالي الهدف من القيام بالقرآن، وسبب هذا الفرق الكبير بين من يقوم به، ومن لا يقوم به:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه**»(٨٢).

فهذا هو بيت القصيد وهو حجر الزاوية في تدبر القرآن والانتفاع به؛ إنه تذكر آيات القرآن الكريم، وكونها حاضرة في القلب في كل آنٍ، وخاصة في المواقف الصعبة في الحياة، مواقف الشدة والذهول،

= «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٢٧) (٨٠٧٢)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٤٠٧) (٤٢٠٨)، «سنن الترمذي» (٤/ ٣٣٠) (١٩٣٦).

(٨١) «سنن الترمذي» (٥/ ١٥٦) (٢٨٧٦)، وقال: حديث حسن، وضعفه الألباني، «صحيح ابن حبان» (٥/ ٤٩٩) (٢١٢٦)، قال شعيب الأرناؤط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد.

(٨٢) «صحيح مسلم» (١/ ٥٤٤) (٧٨٩)، «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٢٠) (٨٠٤٣)، «مسند أبي عوانة» (٢/ ٤٥٦) (٣٨١)، «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ٣٥) (٤٩٢٣).

المواقف التي يفتن فيها المرء ويمتحن ويُختبر، فمن كان يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، فتجد إجابته حاضرة وسريعة وقوية، تجده وقَّافًا عند كتاب الله تعالى، تجده آمنًا مطمئنًا في جميع المواقف، تجده قويًا متماسكًا حتى في أصعب الظروف، وأما من كان مفرطًا في استخدام هذا المفتاح، فما أسرع ما يسقط ويهوي، ويدل لهذا المعنى قول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

فالصبر هو ثمرة العلم، والعلم وسيلته القراءة بتدبر، وهو حاصل لمن قرأ القرآن في صلاة، لذلك قرن الله تعالى بينهما في أكثر من موضع، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويُطيل فيها قراءة القرآن كما في صلاة الكسوف.

فمن يتربى على هذا المفتاح - وخاصة في الصغر - يسهل عليه الانتفاع به في الحياة، أما من لم يترب عليه فإنه تضيق به الحياة في حال الشدة، وتضيع عليه الحياة حال الرخاء.

إن اجتماع القرآن مع الصلاة يمكن أن يشبه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين، حيث ينتج من تركيبهما الماء الذي به حياة الأبدان؛ فكذلك اجتماع القرآن مع الصلاة ينتج عنه ماء حياة القلب وصحته وقوته، ولذلك فلا تعجب من كل هذا الفضل الذي رتب على هذا العمل.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين،**

ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين»(٨٣).

هل تعلم أنه من تبارك إلى الناس (٩٩٥ آية)، ومع الفاتحة يكون المجموع (١٠٠٢) آية، فماذا لو قام بها المسلم كل ليلة، فماذا يكون؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟**» قلنا: نعم. قال: «**فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات عظام سمان**»(٨٤).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد دلت نصوص على أن العبد إذا دخل في الصلاة فإنه يزداد قُربًا من الله تعالى، وأنه سبحانه يُقبل عليه بوجهه...

من ذلك: ما جاء عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس، إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مُناج ربه، وربه فيما بينه وبين القبلة**»(٨٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أحدكم في صلاة فلا يبزقن أمامه، فإنه مستقبلٌ ربه**»(٨٦).

---

(٨٣) «صحيح ابن حبان» (٦/ ٣١٠)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٨١) (١١٤٤)، «موارد الظمآن» (١/ ١٧٢) (٦٦٢)، «سنن أبي داود» (٢/ ٥٧) (١٣٩٨).

(٨٤) «صحيح مسلم» (١/ ٥٥٢) (٨٠٢)، «سنن ابن ماجه» (٢ / ١٢٤٣) (٣٧٨٢)، «سنن الدارمي» (٢/ ٥٢٣) (٣٣١٤)، «مسند أبي عوانة» (٢/ ٤٤٧) (٣٧٧٧)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٣٢) (٣٠٠٧٣)، «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ٣٩٦) (٩١٤١).

(٨٥) «صحيح البخاري» (١/ ٤٠٦) (١١٥٦)، «سنن النسائي الكبرى» (١/ ١٩١) (٥٢٨)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٢٥١) (٧٦٣)، «مسند أبي عوانة» (١/ ٣٣٦) (١١٩٨)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٣) (٧٤٦١).

(٨٦) «صحيح مسلم» (١/ ٣٩٠) (٥٥١)، «سنن الدارمي» (١/ ٣٧٨) (١٣٩٧)، «المعجم الكبير» (٨/ ٣١٣) (٨١٦٨)، «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ٤١٥) (٩٣٥٥).

قال ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لعطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيجعل الرجل يده على أنفه أو ثوبه؟ قال: فلا، قلت: من أجل أنه يناجي ربه؟ قال: نعم، وأحب ألا يخمر فاه»[٨٧].

قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغنا أن الرب يقول: إلى أين تلتفت؟ إليَّ يا ابن آدم، إني خير لك ممن تلتفت إليه»[٨٨].

ولو لم يكن في القراءة داخل الصلاة إلا الانقطاع عن الشواغل والملهيات لكفى، فإن المصلي إذا دخل في الصلاة حَرُمَ عليه الكلام والالتفات والحركة من غير حاجة، فهذا أعون على التدبر والتفكر وأجمع للقلب، وأيضًا فإن من حوله لا يقاطعه ولا يشغله ما دام في صلاته.



(٨٧) «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٠).
(٨٨) «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٠).

المفتاح الرابع

أن تكون القراءة في ليل

إن الليل - وخاصة وقت السحر - من أفضل الأوقات للتذكُّر، فالذاكرة تكون في أعلى مستوى بسبب الهدوء والصفاء، وبسبب بركة الوقت؛ حيث النزول الإلهي، وفتح أبواب السماء، فأي أمر تريد تثبيته في الذاكرة بحيث تتذكره خلال النهار فقُم بمراجعته في هذا الوقت، وقد استفاد من هذا أهل الدنيا من أهل السياسة والاقتصاد وخاصة الغرب؛ حيث ذكر عدد منهم أنه يقوم بمراجعة لوائحه، أو حساباته، أو معاملاته وأوراقه في مثل هذا الوقت، وأنه يوفق للصواب في قراراته.

فأهل القرآن أهل الآخرة أولى باغتنام هذه الفرصة لتثبيت إيمانهم وعلمهم.

وإن من الحقائق التاريخية الجديرة بالدراسة والتأمل تلك العلاقة بين قوة المسلمين وبين قيامهم بالقرآن في الليل، فمن خلال تأمل سريع تجد أن انتصارات المسلمين وجدت حينما كانت جنوده توصف بأنهم (رهبان بالليل، فرسان في النهار).

ومما يدل على كون القراءة في ليل أحد مفاتح التدبر؛ قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو أجدر أن يفقه القرآن».

ويقول ابن حجر - عن مدارسة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان -:

«المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية».... اهـ(٨٩).

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار»... اهـ(٩٠).

والشاهد قوله: «يتدبرونها بالليل».

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «أول ما ينقص من العبادة: التهجد بالليل، ورفع الصوت فيها بالقراءة»(٩١).

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله - حاكيًا عن شيخه الشنقيطي رحمه الله -: «وقد سمعت الشيخ يقول: لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه، وييسر فهمه إلا القيام به في جوف الليل...». اهـ(٩٢).

---

(٨٩) «فتح الباري» (٩/ ٤٥).
(٩٠) «التبيان في آداب حملة القرآن» (١/ ٢٩).
(٩١) «خلق أفعال العباد» (١/ ١١١).
(٩٢) «مقدمة أضواء البيان» (٤).

وقال السري السقطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل»(٩٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء بالرسول ﷺ كان ليلًا»... اهـ(٩٤).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل»... اهـ**(٩٥).

وفي هذا دلالة واضحة على أن الأصل في القيام بالحزب من القرآن هو الليل، وفي حالة العذر فإنه يعطى الثواب نفسه إذا قضاه في النهار.

قال أبو داود الجفري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دخلت على كرز بن وبرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيته، فإذا هو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا ذنب أحدثته»(٩٦).

إن القراءة للقلب مثل السقي للنبات؛ فالسقي لا يكون في حرّ

---

(٩٣) «رهبان الليل» للعفاني (١/ ٥٢٦).

(٩٤) «التبيان في آداب حملة القرآن» (١/ ٣٤).

(٩٥) «صحيح مسلم» (١/ ٥١٥) (٧٤٧)، «صحيح ابن حبان» (٦/ ٣٦٩) (٢٦٤٣)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٩٥) (١١٧١)، «سنن النسائي الكبرى» (١/ ٤٥٨) (١٤٦٤)، «سنن أبي داود» (٢/ ٣٤) (١٣١٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٦) (١٣٤٣)، «سنن الترمذي» (٢/ ٤٧٤) (٥٨١).

(٩٦) «حلية الأولياء» (٥/ ٧٩).

الشمس، فإن هذا يضعف أثره خاصة مع قلة الماء، فإنه يتبخر، وكذلك قراءة القرآن إذا كانت قليلة، وكانت في النهار وقت الضجيج والمشغلات، فإن ما يرد على القلب من المعاني يتبخر ولا يؤثر فيه، وهذا يجيب عن تساؤل البعض إذ يقول: إني أكثر قراءة القرآن لكن لا أتأثر به؟ فلما سألته: متى تقرأ القرآن؟ تبين أن كل قراءته في النهار، وفي وقت الضجيج، وبشيء من المكابدة لحصول التركيز فكيف سيتأثر؟

إن القراءة في الليل يحصل معها الصفاء والهدوء حيث لا أصوات تشغل الأذن ولا صور تشغل العين فيحصل التركيز التام وهو يؤدي إلى قوة التدبر والتفكر، وقوة الحفظ والرسوخ لألفاظ القرآن ومعانيه.



المفتاح الخامس

التكرار الأسبوعي للقرآن

۞ المسألة الأولى: أهمية تحزيب القرآن والمحافظة عليه:

القرآن أُنزل ليعمل به، ووسيلة العمل به العلم به أولًا، وهو يحصل بقراءته وتدبره، وكلما تقاربت أوقات القراءة، وكلما كثُر التكرار كان أقوى في رسوخ معاني القرآن الكريم، ومن أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن، ويحرصون على كثرة تلاوته وتكرارها، ومن ظنَّ أنهم يقرؤونه من أجل ثواب القراءة فحسب، فقد قصر فهمه في هذا الباب.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتب له كأنما قرأه من الليل»**(٩٧).

وقال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن»(٩٨).

---

(٩٧) «صحيح مسلم» (١/ ٥١٥) (٧٤٧)، «صحيح ابن حبان» (٦/ ٣٦٩) (٢٦٤٣)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٩٥) (١١٧١)، «سنن النسائي الكبرى» (١/ ٤٥٨) (١٤٦٤)، «سنن أبي داود» (٢/ ٣٤) (١٣١٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٦) (١٣٤٣)، «سنن الترمذي» (٢/ ٤٧٤) (٥٨١).

(٩٨) «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٩٥).

وعن المغيرة بن شُعبة ﷺ قال: «استأذن رجل على رسول الله ﷺ وهو بين مكة والمدينة فقال: قد فاتني الليلة حزبي من القرآن، وإني لا أوثر عليه شيئًا»(٩٩).

وعن خيثمة ﷺ قال: «انتهيت إليه - يعني عبد الله بن عمرو ﷺ - وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة»(١٠٠).

وعن القاسم ﷺ قال: «كنا نأتي عائشة ﷺ قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم(١٠١)، فإذا هي تصلي، فقالت: نمتُ عن حزبي في هذه الليلة، فلم أكن لأدعه»(١٠٢).

وعن أبي بكر بن عمرو بن حزم ﷺ: «أن رجلًا استأذن على عمر ﷺ بالهاجرة، فحجبه طويلًا، ثم أذن له فقال: إني كنت نمتُ عن حزبي فكنت أقضيه»(١٠٣).

وعن ابن الهاد ﷺ قال: «سألني نافع بن جبير بن مطعم ﷺ فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أحزبه، فقال لي نافع: لا تقل ما أحزبه، فإن رسول الله ﷺ قال: **«قرأت جزءًا من القرآن»**(١٠٤).

---

(٩٩) «كنز العمال» (٢/ ١٤١) (٤١٣٧).

(١٠٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٠) (٨٥٥٩).

(١٠١) يُفهم من السياق أن مجيئهم هذه المرة بعد طلوع الشمس، أو أن صواب العبارة (بعد صلاة الفجر).

(١٠٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤١٦) (٤٧٨٤).

(١٠٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤١٦).

(١٠٤) «سنن أبي داود» (٢/ ٥٥) (١٣٩٢).

فهذه النصوص وغيرها مما نُقل عن السلف في هذه القضية المهمة تؤكد على ضرورة تحزيب القرآن والمحافظة على ما يتم تحزيبه، وأن يكون له الأولوية الأولى في كل وقت.

ينبغي أن يوجد الحرص التام عليه، وأن يقدم على كل عمل، وألا يهدأ لك بال حتى تقوم به، حتى تؤديه في وقته، أو تقضيه إن فات أداؤه في وقته، إن العمل الذي لا تقضيه إذا فات يعني تساوي الفعل والترك عندك، وهذا دليل على عدم أهميته لديك، متى وجد هذا الحرص فهو مفتاح النجاح في الحياة، إنه مفتاحٌ لا نحتاج إلى إثبات نجاحه بالتجربة، فهو ثابت بالخبر عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وهل يُعقل أو يُتصور أن يوجد اتباع دون قراءة مستمرة، دون مذاكرة لقواعده وتوجيهاته، كما سبق البيان أننا في واقع الحياة نجد أن الإداري الذي لا يحفظ اللائحة ولا يعي ما فيها هو إداري فاشل، والطالب الذي لا يذاكر دروسه كذلك، ومتى علم الله منك صدق الرغبة والحرص على هذا الغذاء، فإنه يفتح لك أبوابه ويبارك لك فيه، ويمتد أثره ليشمل جميع جوانب حياتك، **لا أقول إن التجربة تشهد لذلك، فثبات نتائج هذا العمل أقوى وأصدق من أن تخضع للتجربة**، وما يوجد في حياتنا من نقص إنما هو بسبب ترك وإهمال هذا العمل اليسير على من يسَّره الله عليه، العظيم في نفعه وأثره الشامل في تحقيق النجاح الكامل لكل من أخذ به بدقة، وهو مجاني لا يحتاج إلى دورات ولا رسوم ولا مُدرب.

إن عادات النجاح ليست سبعًا ولا عشرًا، بل هي عادةٌ واحدةٌ، إنها المحافظة على قراءة حزبك من القرآن، بل هي عبادة وليست عادة، من

يسر الله له المحافظة عليها حصلت له كل معاني النجاح الدينية والدنيوية.

۞ المسألة الثانية: كيفية تحزيب القرآن ومدة الختم:

قراءة القرآن مثل العلاج، لابد أن يحدد بزمن معين لا يزيد عليه ولا ينقص حتى يحدث أثره، مثل المضاد الحيوي إن طالت المدة ضعف أثره، وإن تقارب أكثر من المناسب أضر بالبدن، فكذلك قراءة القرآن المدة التي أقرها النبي ﷺ لأمته، لمن رغب في الخير هي سبعة أيام إلى شهر، ونهى عن أقل من ثلاث، وجاءت نصوص في النهي عن هجر القرآن أكثر من أربعين يومًا.

عن أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه قال: «قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء، فيحدثنا قائمًا على رجليه حتى يراوح بين رجليه وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ويقول: «**ولا سواء كنا مستضعفين مستذلين، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا**» فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلت: يا رسول الله، لقد أبطأت علينا الليلة قال: «**فإنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أخرج حتى أتمه**»، قال أوس بن حذيفة: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل»(١٠٥).

---

(١٠٥) «سنن أبي داود» (٢/ ٥٥) (١٣٩٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٧) (١٣٤٥)، «مسند أحمد بن حنبل» (٤/ ٩) (١٦٢١١)، «مصنف ابن أبي شيبة» =

وذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة، ويختم ليلة الخميس.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إني لأقرأ جزئي أو قالت: سبعي، وأنا جالسة على فراشي أو على سريري»(١٠٦).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، اقرؤوه في سبع، ويحافظ الرجل على حزبه»(١٠٧).

قال النووي رحمه الله - عن الختم في سبع -: «فعل الأكثرين من السلف».

وقال السيوطي رحمه الله: «وهذا أوسط الأمور، وأحسنها، وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم».

الأولى أن يكون تحزيب القرآن وتقسيمه على السور - قدر الإمكان - بمعنى أن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة، وأن يكون التقسيم والتوزيع متوافقًا مع نهايات السور، وهذا هو السُّنة وعليه عمل الصحابة والتابعين، أما الأحزاب والأجزاء والأثمان المعروفة اليوم فلم تأت إلا متأخرة، علاوةً على ما فيها من بترٍ للمعاني وتقطيع للسور، ومن أراد تفصيل القول في هذه المسألة فليراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى - الجزء الثالث عشر).

= (٢/ ٢٤٢) (٨٥٨٣)، «المعجم الكبير» (١/ ٢٢٠) (٥٩٩)، «مسند الطيالسي» (١/ ١٥١) (١١٠٨)، «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٢٢٥) (٨٧٥)، وقال: حديث حسن، «فتاوى ابن تيمية» (١٣/ ٤٠٨)، «التذكار» (١٠٤).

(١٠٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٤٣) (٣٠١٨٢).

(١٠٧) انظر «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٩)، رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح.

۞ المسألة الثالثة: كيفية تطبيق هذا المفتاح:

القيام بالقرآن كاملًا في كل أسبوع يحتاج الوصول إليه إلى التدرج والتدريب شيئًا فشيئًا، ومن ذلك تطبيق قاعدة: **(أدومه وإن قلَّ)**، فمن الممكن أن تكون البداية بالمفصل يحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب، أو من الممكن أن تكون البداية من سورة التكوير إلى سورة الناس يقسمه سبعة أقسام، وكل ليلة يقرأ بقسم، يكرر هذا كل أسبوع، **ثم ينظر النتيجة كيف تكون؟**

وعندما يرى الأثر والفائدة، فإن هذا سيدفعه إلى الزيادة، ولتكن بالتدريج، فيزيد المقدار وبنفس الطريقة يتم توزيع المقدار الجديد إلى سبعة أقسام كل قسم منها يقرأ في ليلة، بحيث يختم المقدار كل أسبوع حتى يرسخ، حتى تثبت الآيات في القلب بصورة قوية يسهل استدعاؤها في مواقف الحياة اليومية.



المفتاح السادس

أن تكون القراءة حفظا

۞ المسألة الأولى: أهمية هذا المفتاح:

مثل حافظ القرآن وغير الحافظ؛ مثل اثنين في سفر، الأول: زاده التمر، والثاني: زاده الدقيق.

فالأول: يأكل متى شاء وهو على راحلته، والثاني: لابد له من نزول، وعجن، وإيقاد نار، وخبز، وانتظار نضج.

والعلم مثل الدواء لا يؤثر حتى يدخل الجوف، ويختلط بالدم، وما لم يكن كذلك فإن أثره مؤقت، ومثل الجهاز المزود ببطارية والجهاز الذي ليس كذلك، الأول يمكن أن يشتغل في أي مكان، أما الثاني فلابد من مصدر كهرباء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»(١٠٨).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «أنا جنتي وبستاني في صدري، أنّى رُحتُ فهي معي»، وهو يريد بذلك القرآن والسُّنة التي في صدره تثبته وتزيده يقينًا.

---

(١٠٨) «سنن الترمذي» (٥/ ١٧٧) (٢٩١٣)، وقال: حسن صحيح، «المستدرك (١/ ٧٤١) (٢٠٣٧)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، «سنن الدارمي» (٢/ ٥٢١) (٣٣٠٦)، «المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ١٠٩) (١٢٦١٩)، «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٢٣).

وقال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحد طلابه: «أتحفظ القرآن؟ قال: لا. قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن، فبم يترنم؟ فبم يتنعم؟ فبم يناجي ربه؟».

ويقول أبو عبد الله بن بشر القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت رجلًا أحسن انتزاعًا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل، وتلاوة القرآن، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه ينتزع منه ما شاء من غير تعب»(١٠٩).

وهذا المقصود من كون الحفظ أحد مفاتح التدبر؛ لأنه متى كانت الآية محفوظة، فتكون حاضرة، ويتم تنزيلها على النوازل والمواقف التي تمرُّ بالشخص في الحياة اليومية بشكل سريع ومباشر، أما إذا كان القرآن في الرفوف فقط؛ فكيف يمكن لنا أن نطبقه على حياتنا؟

۞ المسألة الثانية: توضيح أثر الحفظ على الفهم والتدبر:

إن علاج أي مشكلة له ثلاث صور:

الأولى: المعالجة الذهنية المجردة الشفهية من غير تحرير ولا ترتيب للحلول.

الثانية: المعالجة المكتوبة المحررة المرتبة.

الثالثة: المعالجة الذهنية لشيء مكتوب مسبقًا، ومحرر بمعنى حفظ ما تم التوصل إليه في علاج المشكلة كتابيًا.

والصورة الثالثة هي أقواها، تليها الثانية، ثم الأولى، وحفظ القرآن وتكرار قراءته هو من النوع الثالث، فترديد الآية والتفكُّر فيها وهي

(١٠٩) «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٢١).

محفوظة أفضل من تكرارها نظرًا؛ لأن مفعول الطريقة الثالثة يستمر، بينما الثانية يقف عند إغلاق المصحف.

۞ المسألة الثالثة: لماذا نحفظ القرآن؟

بناءً على ما تقرر ذكره في المفاتيح السابقة، فإن الهدف الأول لحفظ القرآن هو (القيام به آناء الليل وآناء النهار)، والهدف من القيام به حفظ ما تضمنه من العلم بالله واليوم الآخر، ذلكم العلم الذي يحقق السعادة والحياة الطيبة للإنسان، ويحقق له الثبات في الأزمات، والقوة للأمة في مواجهة أعدائها، هذا هو الهدف الأهم لحفظ القرآن، والذي ينبغي أن يُركز عليه القائمون على التربية.

إن حفظ الألفاظ وسيلة وليس غاية، وسيلة إلى حفظ المعاني، والانتفاع بها في الحياة، أما الاقتصار على حفظ الألفاظ فهو قصور في حق القرآن العظيم، وهو انحراف عن الصراط المستقيم في رعايته والانتفاع به في الحياة الدنيا والآخرة.

۞ المسألة الرابعة: كيف نحفظ القرآن الكريم (الحفظ التربوي):

بناءً على ما تقرر في المسألة السابقة، وما تقرر في المفتاح الخامس؛ أقول:

إن حفظ القرآن حفظًا تربويًّا **يتلخص في الخطوات التالية**[١١٠]:

١- تكون بداية حفظ القرآن من سورة الناس ثم الفلق بعكس ترتيب القرآن، فهذا الاتجاه يحقق التدرج والسهولة، ويحقق ثبات السير في

(١١٠) ما ذكرته هنا هو الثمرة العملية والخلاصة لبحث مستقل بعنوان «الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان».

مشروع حفظ القرآن، ويُسهِّل التدريب على القيام به[١١١]، سواء كان الطالب صغيرًا أو كبيرًا، وهو مُتَّبعٌ وناجحٌ في مدارس تحفيظ القرآن الكريم بوزارة التربية والتعليم، وهو على التحزيب بالسور سهل ميسور، أما على التحزيب بالأجزاء والأثمان فهو عسير، فالذين يتبعون الأجزاء والأثمان لا يرون أن يكون سير الحفظ من قصار السور؛ لأنه يناقض الأجزاء والأثمان، ولو جربوا التقسيم بالسور لتنفسوا الصعداء، وتخلصوا من عبودية تلك الطريقة، ولذاقوا قوة لذة المرونة في الحفظ.

٢- يقسم الحفظ إلى قسمين:

الأول: (حفظ الجديد).

الثاني: (القيام بالقرآن).

٣- يخصص النهار وهو من الفجر إلى المغرب لـ(حفظ الجديد).

٤- يخصص الليل وهو من آذان المغرب إلى آذان الفجر لـ(القيام بالقرآن) مع تطبيق بقية مفاتيح التدبر العشرة.

٥- ينقسم (حفظ الجديد) إلى قسمين:

الأول: (الحفظ).

الثاني: (التكرار).

أما (الحفظ) فيحدد له موعد بعد الفجر، وموعد بعد العصر، وأما (التكرار) فيكون في صلاةِ نافلة أو فريضة خلال ساعات النهار.

---

(١١١) سيأتي مزيد إيضاح وتفصيل لهذه المسائل في كتاب «مفاتح تدبر السُّنة والعمل به في الحياة» الذي سيصدر قريبًا - بإذن الله -.

٦- تقليل مقدار (الحفظ الجديد) والتركيز أكثر على (التكرار) لما تمَّ حفظه.

٧- يقسم ما يتم حفظه إلى سبعة أقسام عدد أيام الأسبوع، فيقوم كل ليلة بقسم، وهذا هو (القيام بالقرآن) وهو ما يعرف بالمراجعة.

٨- كلما زاد المقدار المحفوظ يتم إعادة توزيع التقسيم الأسبوعي ليتناسب مع الزيادة، مع ملاحظة أن أيام الأسبوع الأولى يكون مقدارها أقل؛ لأنه لم يرسخ بعد.

٩- يكون الحفظ سورة سورة، ويكون حفظ السورة لأول مرة بالتقسيط، فيمكن تقسيم السورة إلى عدد من الآيات حسب موضوعاتها، وبعض الموضوعات الطويلة يمكن أن تُقسم إلى مقطعين أو أكثر، ويمكن جمع أكثر من موضوع في مقطع واحد إن كانت قصيرة؛ فبعض الموضوعات تكون في آية واحدة فقط؛ بل بعض الآيات تتضمن عددًا من الموضوعات، المهم ألا يكون التقسيم عشوائيًّا، ولا حسب الأوجه، ولا حسب الأثمان(١١٢).

١٠- لا يصلح ولا يسوغ أبدًا تجاوز أي سورة حتى يحفظها جملة، مهما كانت طويلة، ويُكررها - بعد حفظها جملةً - عددًا من المرات، وفي أكثر من يوم.

١١- من المفيد جدًّا تسميع ما ستقوم به الليلة على شخص آخر، والأولى أن يكون من الأسرة ليحصل التواصي به، والتعاون عليه.

---

(١١٢) إن أي تقسيم لا يُراعي الموضوع يعني التركيز على الألفاظ ونسيان المعاني، وقد جربتُ هذه الطرق مرارًا، وثبت لدي ما نصحتُ به، ويمكن لأي مشتغلٍ بحفظ القرآن أن يُجرب بنفسه ثم يحكم.

١٢- إذا تبيَّن ضعف حفظ بعض السور أثناء (القيام بالقرآن) ليلًا فتتم مراجعته وضبطه في نهار اليوم التالي له، ولا يصح أن يبدأ بحفظ جديد والحالة هذه، وغالبًا ما يكون هذا في أيام الأسبوع الأولى التي تتضمن ما تمَّ حفظه أخيرًا.

١٣- من المهم جدًّا تطبيق المفاتيح العشرة بما في ذلك مفتاح الترتيل، ومفتاح الجهر، ولا يحسن السرعة والعجلة حين قراءة القرآن - حتى في حفظ الجديد - بحجة ضبط الحفظ، فالسرعة تعني نسيان أهداف قراءة القرآن، وهو المفتاح الثاني من المفاتيح العشرة، وعند وجود هذه الحالة يعاد التذكير به من خلال قراءته في هذا الكتاب.

١٤- هذه الطريقة تعطي الحافظ الطمأنينة والسكينة إذا اقتنع بها وتربى عليها فلا عجلة ولا خوف نسيان، بل وضوح تام لمقصود الحفظ، واستثمار له من البداية.

١٥- هذه الطريقة تقوم على مبدأ (الحفظ التربوي)، أما طريقة (احفظ وانس)، فهي كما قال الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مثل من يقدم له الطعام، ثم يأخذ باللقمة تلو اللقمة ويرميها وراء ظهره ولا يدخلها إلى جوفه»[(١١٣)].

١٦- فيها توفير للوقت والجهد، إذ إنك تحفظ السورة مرة واحدة في العمر، ثم تستثمر حفظها وتنتفع به، أما تعاقب الحفظ والنسيان فهذا يستهلك الوقت والجهد، ويحرم من التنعم بالقرآن في الحياة، بل يوجد النزاع والخصام بين حفظ الجديد والمراجعة لما تمَّ حفظه،

(١١٣) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي.

وأيضًا يوجد القلق والحرج عند من حفظ شيئًا من القرآن ثم نسيه، وربما كان سببًا في اليأس من الحفظ وتركه.

١٧- يمكن تربية الأسرة على (الحفظ التربوي) بوضع جدول أسبوعي لكل منهم وتسميعه لهم في النهار، وتذكيرهم به، وحثهم على القيام به في الليل، ومكافأتهم عليه، حتى يتدربوا، ويشبوا عليه، ويكون مصاحبًا لهم لا ينفكون عنه، ولا يطيقون فراقه، ويكون مصباحًا يُضيء لهم طريق الحياة.

١٨- من يقرأ ما يحفظه - ولو كان سورة واحدة - كل أسبوع خيرٌ ممن يقرأ مائة سورة كل شهر، الأول يقرأ السورة كل سبعة أيام، والثاني يقرأ السورة كل ثلاثين يومًا[(١١٤)]، فأيهما سيكون حفظه للمعاني أثبت، وأقوى، وأقرب للذكر والعمل، لا عبرة للكثرة مقابل القوة؛ فقليل قوي خير من كثير ضعيف، وهذا يُذكرني بما جاء في «سنن أبي داود»[(١١٥)] من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

---

(١١٤) فالنسبة بينهما تعادل (١/ ٤) أي قوة ما يقرأ كل أسبوع تعادل أربعة أضعاف ما يقرأ كل شهر، ومن كان في شكٍّ فليجرب، ويلاحظ هنا أن القياس من جهة الزمن فقط مع افتراض تساوي المعايير الأخرى.

(١١٥) (٤/ ١١١).

وعليه؛ فليس الهدف حفظ ألفاظ كثيرة من القرآن، بل الهدف: **تكرار محفوظ من القرآن كل سبعة أيام في صلاة بنيَّة التدبر ليتم الشفاء من الوهن...**

أيًّا كان هذا المحفوظ حتى ولو سورة واحدة، فهو خير ألف مرة من حفظ كثير لا يتصف بما ذكر، فإن وجد حفظٌ كثير أو القرآن كاملًا بحسب ما ذكر فهو أولى وأقوى من القليل، فالمهم القاعدة السابقة، ومتى رأيت أن الوقت يضيق فعليك بتقليل المقدار مع بقاء التكرار.



المفتاح السابع

تكرار الآيات

إن الهدف من التكرار هو التوقف لاستحضار المعاني، وكلما كثُر التكرار كلما زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار - أيضًا - قد يحصل لا إراديًّا تعظيمًا أو إعجابًا بما قرأ، وهذا مُشاهد في واقع الناس حينما يعجب أحدهم بجملة أو قصة، فإنه يُكثر من تكرارها على نفسه أو غيره.

التكرارُ: نتيجة وثمرة للفهم والتدبر، وهو أيضًا وسيلة إليه حينما لا يوجد.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا تهذوه هذَّ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة»(١١٦).

وقال أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]»(١١٧).

---

(١١٦) «تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٧)، «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٣٤٤)، «أخلاق حملة القرآن» (١٩).

(١١٧) «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢٩) (١٣٨٩)، قال في «مصباح الزجاجة»: إسناده صحيح، «سنن النسائي» (المجتبى / ١/ ١٧٧)، «مستدرك الحاكم» (١/ ٢٤١)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «سنن النسائي»، وحسنه الأرناؤط في «مختصر منهاج القاصدين».

وعن عبّاد بن حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «دخلت على أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: ٢٧]، قال: فوقفت عليها، فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو»(١١٨).

وعن القاسم بن أبي أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن سعيد بن جُبير رَحِمَهُ اللَّهُ ردَّد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، بضعًا وعشرين مرة»(١١٩).

وقال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن أقرأ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ و﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١﴾ أرددهما وأتفكر فيهما أحب من أن أبيت أَهُذُّ القرآن»(١٢٠).

وردَّد الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨] حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: إن فيها معتبرًا ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر»(١٢١).

وقال تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بآية حتى أصبح: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١](١٢٢).

---

(١١٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٥) (٦٠٣٧).
(١١٩) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٠٣).
(١٢٠) «الزهد» لابن المبارك (٩٧).
(١٢١) «مختصر قيام الليل» للمروزي (١٥١).
(١٢٢) «مختصر منهاج القاصدين» (٦٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح»[١٢٣].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها يتدبرها عند القراءة»[١٢٤].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها»[١٢٥].



---

(١٢٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٢٢).

(١٢٤) «الأذكار» (٥٠).

(١٢٥) «مختصر منهاج القاصدين» (٦٨).

المفتاح الثامن

ربط الألفاظ بالمعاني

۞ المسألة الأولى: مفهوم هذا المفتاح:

هو ربط اللفظ بالمعنى؛ أي: حفظ المعاني، وهو أيضًا: ربط الآية بالواقع؛ أي: تنزيل الآية على المواقف والأحوال اليومية التي تمرُّ بالشخص، هو التمثل بالقرآن في كل حديث يحصل في اليوم والليلة، بحيث يبقى القرآن حيًّا في القلب تؤخذ منه الإجابات والتفسيرات للحياة، وتؤخذ منه التوجيهات والأنظمة في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الربط يعرف عند علماء النفس بالاقتران الشرطي، ويعرف بالوقت الحاضر عند علماء البرمجة بالإرساء، وهو ما يعرف في القرآن والسُّنة بالذكر أو التذكر، وهو يعني تداعي المعاني، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

۞ المسألة الثانية: أنواعه:

الربط أو التداعي نوعان: عفوي، وقصدي.

فالعفوي: إلهامات وفتوحات يفتحها الله تعالى على من يشاء من عباده.

وقصدي: وهو أن تقوم بالربط بين اللفظ والمعاني التي تضمنها ثم التكرار حتى ترسخ وتثبت، والتكرار الذي يحقق الربط نوعان:

الأول: التكرار الآني.

والثاني: التكرار الأسبوعي.

أما التكرار الآني: فسبق بيانه في المفتاح السابع.

وأما التكرار الأسبوعي: فسبق بيانه في المفتاح الخامس.

۞ المسألة الثالثة: كيفية الربط:

أن تكرر اللفظ مع استحضار معنى جديد في كل مرة، حتى تمر على كل المعاني التي يمكن أن تتذكرها من النص أو اللفظ، وقد سبق ذكر كلام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ حين قام الليل كله يكرر قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ فلما قيل له؟ قال: إن فيها معتبرًا ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة.

۞ المسألة الرابعة: حسابات الألفاظ والكلمات:

الألفاظ قوالب المعاني وحساباتها البنكية، فكلمة عند شخص لها خمسة معاني، وعند آخر سبعة معاني، وعند ثالث: صفر خالية لا تُعني له شيئًا.

إن إدراك ووعي الناس لآيات القرآن يتفاوت تفاوتًا كبيرًا، مع أن الآية هي الآية يقرؤها هذا ويقرؤها هذا، وإن ما بينهما في عمق فهم الآية أو الجملة كما بين المشرقين، تجد مثلًا اثنين يسمعان الكلمة نفسها الأول يبكي، والثاني يضحك! لماذا؟!!

مثلًا كلمة (النار) يسمعها الرجل الصالح المؤمن فيبكي ويقشعر جلده خوفًا من عذاب الله، ويسمعها الغافل فيضحك؛ لأن هذه الكلمة تذكره بالشواء والمرح واللهو لا يفهم منها إلا هذا!

المفتاح التاسع

الترتيل

الترتيل يعني: الترسل والتمهل، ومن ذلك مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنى، بحيث يكون القارئ متفكرًا فيما يقرأ.

قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن كثير: «أي اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره»(١٢٦).

وكذلك كان يقرأ - صلوات الله وسلامه عليه -.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»(١٢٧).

وعن أنس رضي الله عنه: أنه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم»(١٢٨).

وعن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يُقطّع قراءته آية.. آية.. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ

(١٢٦) «تفسير ابن كثير» (١٤٥٣).
(١٢٧) «صحيح مسلم» (٤/ ٥٠٧)
(١٢٨) «فتح الباري» (٨/ ٧٠٩).

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾»(١٢٩).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ابن آدم كيف يرق قلبك، وإنما همتك آخر السورة»(١٣٠).

وقد أنكر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على نهيك بن سنان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سرعته في القراءة حين قال: قرأت المفصل البارحة، فقال عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «هذًّا كهذِّ الشعر! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القُرناء التي يقرأ بهن النبي ﷺ»(١٣١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعلقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وقد عَجِل في القراءة -: «فداك أبي وأمي، رتل فإنه زَيْنُ القرآن»(١٣٢).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها»(١٣٣).

وصفة قراءة القرآن التي نقلت إلينا عن النبي ﷺ وصحابتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تدل على أهمية الترسل وتزيين الصوت بالقراءة، فمن ينظر إلى أي كتاب في التجويد يدرك هذه الحقيقة بجلاء ووضوح، ولم ينقل ذلك إلا للقرآن،

---

(١٢٩) «مسند أحمد» (٦/ ٣٠٢)، «سنن أبي داود» (٤/ ٣٩٤)، «تحفة الأحوذي» (٨/ ٢٤١).

(١٣٠) «مختصر قيام الليل» للمروزي (١٥٠).

(١٣١) «صحيح البخاري» (١/ ٢٦٩) (٧٤٢)، (٤/ ١٩٢٤) (٤٧٥٦)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٦٤) (٨٢٢)، «صحيح ابن حبان» (٥/ ١١٨) (١٨١٢)، «سنن النسائي الكبرى» (١/ ٣٤٤) (١٠٧٧)، «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ٦٠) (٢٢٩١)، «مسند أحمد بن حنبل» (١/ ٤١٧) (٣٩٥٨).

(١٣٢) «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ٥٤) (٢٢٥٩)، «سنن سعيد بن منصور» (٢) (١/ ٢٢٥) (٥٤)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٥٥) (٨٧٢٤)، (٦/ ١٤٠) (٣٠١٥٢).

(١٣٣) «الآداب الشرعية» (٢٢/ ٢٩٧).

فالأحاديث والخطب والمواعظ لم ينقل فيها شيء من ذلك، وإنه لفرق كبير في التمهل والتأني بين من يطبق أحكام التجويد ومن لا يطبقها، بل يهذ القراءة هذًا.

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ»[(١٣٤)].

وإذا تعارض مقدار القراءة مع صفتها قدمت الصفة:

«سُئل زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إليَّ، وسلني لم ذلك؟ قال: فإني أسألك، قال: لكي أتدبره وأقف عليه». . اهـ[(١٣٥)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر، لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون العكس. . .» اهـ[(١٣٦)].

والصحيح: أن من أسرع فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن، وهو: ثواب القراءة، ومن رتل وتأمل فقد حقق المقاصد كلها وكمل انتفاعه بالقرآن، واتبع هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١٣٤) «صحيح مسلم» (١/ ٥٣٦) (٧٧٢)، «سنن النسائي» (المجتبى / ٣/ ٢٢٥) (١٦٦٤).

(١٣٥) «الموطأ» (١/ ٢٠١).

(١٣٦) «فتح الباري» (٣/ ٨٩)، وذكر نحوه السيوطي في (الإتقان).

المفتاح العاشر

الجهر بالقراءة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال ﷺ: **«ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن يجهر به»**(١٣٧).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن»**(١٣٨).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل؛ وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار»**(١٣٩).

وعن أم هانئ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي»(١٤٠).

---

(١٣٧) «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧٣٧) (٧٠٨٩)، «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٧٥٨) (٢٠٩١)، «صحيح ابن حبان» (١/ ٣٢٦) (١٢٠)، «سنن البيهقي الصغرى» (١/ ٥٥٨) (١٠٢٤)، «سنن أبي داود» (٢/ ٧٤) (١٤٦٩)، «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ٥٤) (٢٢٥٧).

(١٣٨) «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧٤٣) (٧١٠٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٤٥) (٧٩٢)، «سنن أبي داود» (٢/ ٧٥) (١٤٧٣)، «سنن النسائي» (المجتبى / ج٢ / ص١٨٠) (١٠١٧).

(١٣٩) «صحيح البخاري» (٤/ ١٥٤٧) (٣٩٩١)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٤٤) (٢٤٩٩)، «مسند أبي عوانة» (٢/ ٤٥٩) (٣٨٢٩)، «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٣٠٥) (٧٣١٨).

(١٤٠) «سنن النسائي» (المجتبى / ٢/ ١٧٨) (١٠١٣)، «سنن ابن ماجه» =

وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض صوته، ومَرَّ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: **«يا أبا بكر مررتُ بك وأنت تصلي تخفض من صوتك؟»** قال: قد أسمعت من ناجيتُ يا رسول الله، وقال لعمر: **«مررتُ بك وأنت تصلي ترفع صوتك؟»** فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: **«يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئًا»**، وقال لعمر: **«اخفض من صوتك شيئًا»**[(١٤١)].

وسُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل؟ فقال: «كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل»[(١٤٢)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما - لرجل ذكر له أنه سريع القراءة -: «إن كنت فاعلًا فاقرأ قراءة تسمعها أذنك، ويعيها قلبك»[(١٤٣)]. اهـ.

وعن ابن أبي ليلى رحمه الله قال: «إذا قرأت فاسمع أذنيك، فإن القلب عدل بين اللسان والأذن»[(١٤٤)].

= (١ / ٤٢٩) (١٣٤٩)، «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٢١) (٣٦٧٢)، «مسند أحمد ابن حنبل» (٦/ ٣٤١) (٢٦٩٣٩)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(١٤١) «سنن أبي داود» (٢/ ٣٧) (١٣٢٩)، «سنن الترمذي» (٢/ ٣٠٩) (٤٤٧)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٨٩) (١١٦١)، «مصنف عبد الرزاق» (٢/ ٤٩٦) (٤٢١٠)، «مسند أحمد بن حنبل» (١/ ١٠٩) (٨٦٥)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٨٩) (١١٦١)، «صحيح ابن حبان» (٣/ ٦) (٧٣٣)، وصححه النووي في «المجموع» (٣٩١)، والحاكم، ووافقه الذهبي والألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ» (١٠٩).

(١٤٢) «مختصر قيام الليل للمروزي» (١٣٣).

(١٤٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ١٦٨) (٢٧٥٩)، «فتح الباري» (٩/ ٨٩).

(١٤٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٢١) (٣٦٧٠).

إن الجهر بما يدور في القلب أعون على التركيز والانتباه، ولذلك تجد الإنسان يلجأ إليه قسرًا عندما تتعقد الأمور ويصعب التفكير.

البعض عند قراءته للقرآن يسير بقراءته طلبًا للسرعة وقراءة أكبر قدر ممكن، وهذا خطأ، ومن الواضح غياب قصد التدبر في مثل هذه الحالة.

إن الجهر درجات أدناها أن يسمع المرء أذنه وتحريك أدوات النطق من لسان وشفتين، وأعلاها أن يسمع من قرب منه، فما دونه ليس بجهر، وما فوقه يعيق التدبر ويرهق القارئ ويؤذي السامع.

ومن فوائد الجهر استماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر لقراءة القارئ، وهرب وفرار الشياطين عند القارئ والمكان الذي يقرأ فيه، وفي ذلك تطهير للبيت وتعطير له، وجعله بيئة صالحة للتربية والتعليم.

إن بيتًا يكثر فيه الجهر بالقرآن هو بيت - كما قال أبو هريرة رضي الله عنه -: «كثُر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، والبيت الذي لا يُتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله، وقلَّ خيره، وحضرته الشياطين، وخرجت منه الملائكة»(١٤٥)



(١٤٥) «الزهد» لابن المبارك (١/ ٢٧٣) (٧٩٠).

خاتمة البحث

أخي المسلم، بفعلك لما سبق ذكره من مفاتح التدبر تكون كمن استعمل منظارًا لتقريب وتكبير الصور، وهذا ما يحصل تمامًا لقارئ القرآن بهذه الكيفية، فإنه تكبر في نظره المعاني، وتزداد عمقًا، ويغزر فهمه لمضامينها حتى إنه لينتبه إلى معانٍ لم يكن يدركها من قبل، وألفاظ كان يمرُّ بها دون أن يشعر، حتى إنه ليقول: سبحان الله!! لقد كنت أقرأ هذه السورة، أو الآية منذ سنوات؛ لكن لم أفهمها كما فهمتها اليوم!

إن البعض منا يريد أن يتدبر القرآن، ويتأثر به، وهو لم يهيئ الأسباب والوسائل المساعدة على فهمه وفقهه، حتى أدنى درجات التركيز والهدوء لا يوجدها حين قراءته للقران، لماذا؟

لأنه قصر همته على نطق الألفاظ، وما يحصل من حسنات مقابل ذلك.

إن من يواظب على قراءة القرآن كما تمَّ بيانه ووصفه من حال السلف، فإن هذا سيؤدي إلى حياة قلبه، وقوة ذاكرته، وصحة نفسه، وعلو همته، وقوة إرادته، وهذه هي مرتكزات النجاح الحقيقية، ذلكم النجاح الشامل المتكامل الثابت في حال الشدة كما هو حاصل في حال الرخاء.

إن من يطبق هذه المفاتيح العشرة فسيرى بأم قلبه نور القرآن، ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين مدحهم بقوله سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

نسأل الله الكريم بمنِّه وفضله أن يجعلنا منهم.

والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



ملحق [١]

رحلتي مع الكتاب

بدأت رحلتي مع هذا الكتاب منذ أن عقلت وأدركت أن الحياة مجاهدة ومصابرة، وصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وأن الثبات على الحق وتحصيل الخير لابد له من جهد، ومن عمل.

كانت البداية مع كتاب «الجواب الكافي»، أقرؤه كلما أحسست بضعف السيطرة على النفس، وضعف الإرادة والوقوع في النقائص، فكنت أجد فيه العلاج وأنتفع به حينًا من الدهر، ثم انتقلت إلى كتب المثقفين والمفكرين المعاصرين أمثال: «قوارب النجاة»، و«حديث الشيخ»، و«تربيتنا الروحية»، و«جدد حياتك». . . وغيرها من كتب جعلتها قريبة مني أقرؤها لآخذ منها الزاد الروحي - على حد تعبير أولئك الكُتَّاب -.

ثم جاءت فترة تعلقت بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة.

وفي المرحلة الجامعية كان التوجه نحو كتب الغرب، والتي بدأت تغزو الأسواق، من ذلك: «كيف تكسب الأصدقاء»، «دع القلق وابدأ الحياة»، «سيطر على نفسك»، «سلطان الإرادة». . . وغيرها، فكنت أرجع إليها كلما حصلت مشكلة، أو احتجت لعلاج مسألة، وكنت قرأتها أكثر من مرة، ولخصت ما فيها على شكل قواعد وأصول، وفي حينها كان يتردد على خاطري سؤال محير:

«كيف يكون العلاج والتغيير في مثل هذه الكتب ولا يكون في القرآن؟»

ثم تلتها مرحلة أخرى تعلقت بكتاب «مدارج السالكين»، وخاصة بعدما طبع تهذيبه في مجلد واحد، فكان رفيقي في السفر والحضر، أقرأ فيه بهدف تقوية العزيمة ومجاهدة النفس.

ثم جاءت مرحلة لم يمض عليها سوى سنوات اتجهت إلى كتب وأشرطة القوة وتطوير الذات والتي بدأت تتنافس في جذب الناس، فاشتغلت في الكثير منها طلبًا للتطوير والترقية، من ذلك: كتاب «العادات السبع»، «أيقظ قواك الخفية»، «إدارة الأولويات»، «القراءة السريعة»، «كيف تضاعف ذكاءك»، «المفاتيح العشرة للنجاح»، «البرمجة اللغوية العصبية»، «كيف تقوي ذاكرتك»، «كن مطمئنًا»، «السعادة في ثلاثة شهور»، «كيف تصبح متفائلًا»، «أيقظ العملاق»... إلخ من قائمة لا تنتهي، كنت أقرؤها، أو أسمعها بكل دقة وأناة، باحثًا فيها عما عساه يغير من الواقع شيئًا، ويحصل به الانطلاق والتخلص من نقاط الضعف، ولكن دون جدوى.

وأحمد الله تعالى أنها كانت دون جدوى، وأني نجوت من الفتنة بهذه المصادر البشرية للنجاح، فكيف سيكون حالي لو كنت حصلت على النجاح من تلك الكتب ونسيت كتاب ربي إلى أن فارقت الحياة؟

إن السؤال المحير، والذي يدعو للعجب والاستغراب: هل كان مثل هذا التخبط حصل من شخص يعيش في مجاهل أفريقيا؟ أو أدغال آسيا ولم يبلغه القرآن؟ أو أنه حصل من شخص يحفظ القرآن وهو في المرحلة المتوسطة **ومع هذا لم ينتفع به لأنه نسي هذه المفاتيح**.

هذا هو السؤال المحير الذي كنت أبحث عن إجابته، فوجدتها - والحمد لله - وضمنتها هذا الكتاب.

فإياك - أخي المسلم - أن ترحل من هذه الدنيا ولم تذق ألذ وأطيب ما فيها، إنه (القرآن كلام الله)، الذي لا يشبه التنعم به أي نعيم على الإطلاق، وهو حاصل بإذن الله تعالى لمن أخذ بهذه المفاتيح التي هدي إليها سلفنا الصالح، ففتحت لهم كنوز القرآن، وبها فتحت لهم كنوز الأرض وخيراتها، فكانوا خير أمة أُخرجت للناس.



ملحق [٢]

أفضل هدية يقدمها والد إلى ولده

إن أعظم هدية يقدمها والدٌ إلى ولده، وأعظم إحسان يسديه إليه؛ أن يربيه على مفاتح تدبر القرآن - التي ذكرتها عن السلف - منذ الصغر حتى يتسلح بالقرآن في هذا العصر الذي كثُرت فيه الفتن، وانتشر فيه القلق والملل، وزادت الأمراض النفسية، وضعفت النفوس عن تحمل المصائب، وصار الناس يبحثون عن التسلية والترويح عن النفس بوسائل شتى، حتى أرهقتهم بدنيًّا وماليًّا، ووصلوا معها إلى طريق مسدود وصدق عليهم قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

إن من ينشأ على القيام بالقرآن، يقرؤه كما وصفت، فإنه ينشأ قوي النفس، قوي البدن، ثابت الخطى، طريقه في الحياة بلا مخاوف، ولا مشاكل - بإذن الله تعالى -؛ لأنه يجد التفسير الواضح الثابت لكل المواقف التي يمرُّ بها، ولكل المناهج والأطروحات التي تتنافس في إثبات وجودها، وما زلتُ أسمع وأرى صورًا ومآسي لانحرافات فكرية وخلقية تحصل من أبناء المسلمين، وما ذاك إلا بسبب التفريط في الربط بالقرآن حبل الله المتين، الذي ما ضلَّ من تمسك به، والتمسك به لا يكون أبدًا إلا بما سبق بيانه من وسائل ومفاتيح.

إن هذا أسهل وأخصر الطرق في تربية الأولاد لمن وفق إليه وقدر عليه، أما من حرمه فإنه سيظل حبيس تجارب وطرق وأفكار لا أول لها

ولا آخر، تجارب ووسائل متباينة ومكلفة وصعبة التطبيق، وضعيفة النتائج، وهشة البناء لا تصمد للمواقف الصعبة واللحظات الحرجة.

تذكَّر أنك حين تربي ابنك منذ الصغر على القراءة بالطريقة التي وصفتها، فإنك تثبت في قلبه رقيبًا يصحبه أينما ذهب وفي كل وقت، وحينها لا تحتاج أبدًا إلى مراقبته ومتابعته؛ لأن رقيبه مثبت في صدره وبقوة؛ فتنام بذلك قرير العين وتجني ثمرة ما زرعته في قلبه في سنوات حياته الأولى.



ملحق [٣]

القرآن والصيام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفِّعني فيه، قال: فيشفعان»**(١٤٦).

إن بين القرآن والصيام علاقة متينة، فمن أعظم وأهم الحكم من مشروعية صيام نهار رمضان تهيئة القلب لتدبر القرآن حين القيام به في الليل، والمشاهد أن كثيرًا من الناس يُفوِّتون على أنفسهم هذه المصلحة العظيمة حينما يسرفون في الطعام والشراب وقت الإفطار والعشاء.

لقد أثبت الطب الحديث، والطب البديل أهمية الصيام لصفاء القلب وقيامه بوظائفه المادية والمعنوية، ولا أريد التفصيل في هذه القضية، فالمقام لا يسمح، لكني أرشد إلى بعض المراجع(١٤٧)، وإن كنت على يقين من حكمة تشريع الصيام بدون عناء الرجوع إلى تلك الكتب

---

(١٤٦) «مسند أحمد بن حنبل» (٢/ ١٧٤) (٦٦٢٦)، وصححه أحمد شاكر، «مستدرك الحاكم» (١/ ٤٧٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٢٩) (٣٠٠٤٤)، «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ٤٨٣) (٩٦٩).

(١٤٧) من ذلك: كتاب «ريجيم الصوم»، نشر دار طويق، «الصوم والصحة»، نجيب الكيلاني، «صوموا تصحوا» دراسة علمية لفوائد الصوم/ الشيخ سعيد الأحمري - دار المعارف -، «عالج نفسك بالصيام» محيي الدين عبد الحميد.

وصرف الوقت والجهد في قراءتها، يكفينا في هذا قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

إنها رسالة من رب العالمين تحمل الكثير والكثير من الإشارات والإرشادات، إن الله تعالى يقرر لنا هذه القاعدة العظيمة: أن الصيام خير لنا، وإن من بعض خيره ما تمَّ إثباته بالتجارب المخبرية، ومن تجارب العلماء الذين يؤكدون على أهمية هذه العلاقة بين الصيام وبين التفكير والفهم والتدبر، إن شواهد صحتها وأقوال أهل التجربة وأحوالهم من علماء المسلمين وغير المسلمين لا يتسع له كتاب وما لم ينقل عنهم من أقوال وأحوال أكثر وأكثر، فالقليل منهم عبَّر عن حاله، وذكر ما وجد، وغيرهم كثير وجد ولم يذكر.

فإن أردت حقًّا تدبر القرآن، والتأثر به، فعليك بهذا المفتاح العجيب، وخاصة في رمضان (إنه الصيام)، الصيام الصحيح الذي يحرص فيه الصائم على تطبيق ما جاء في حديث المقدام بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنٍ، بحسب ابن آدم لُقيمات يقمن صُلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**. [رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح].

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها.

وقد رُوي أن ابن أبي ماسويه الطبيب - لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة رحمه الله - قال: «لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيادلة».

ليس معنى الصوم أن تمسك عن الطعام والشراب مدة، ثم تلتهم

أضعاف ما أمسكت عنه، هذا بكل تأكيد ليس صومًا نافعًا، إن الصوم الذي ينفع صاحبه هو ما يقترن معه عدم الشبع حال الإفطار.

إن بعض الشباب يقول: قد صُمت فما وجدت الوجاء الذي أخبر به النبي ﷺ.

نقول: نعم إن كنت في وقت فطرك تتقاضى من وقت صومك وترد الصاع صاعين، فهذا ليس بصوم على الحقيقة، بل هو إرهاق للبدن وتعذيب له؛ لأن الهدف من الصوم حماية الجسد عامة والقلب خاصة من سموم الأطعمة والأشربة، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**فإنه له وجاء**»؛ ذلك أن القلب إذا استراح من سموم الأطعمة صفا ورق.

قال المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت لأبي عبد الله - يعني الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ -: «يجد الرجل من قلبه رقة وهو شبع. قال: ما أرى».

وعن نافع رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما شبعت منذ أسلمت».

وعن محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «من قلَّ طُعمه فهم وأفهم وصفا ورق، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد».

وعن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل».

وعن قثم العابد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان يقال: ما قلَّ طعم امرئ قط، إلا رق قلبه، ونديت عيناه».

وعن أبي عمران الجوني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان يقال: من أحب أن ينور قلبه فليقل طُعمه».

وعن عثمان بن زائدة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كتب إليَّ سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن

أردت أن يصحَّ جسمك ويقلَّ نومك فأقلل من الأكل».

وعن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة».

وقال الحسن بن يحيى الخشني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد أن يغزر دموعه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه».

وقال أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحدثت بهذا أبا سليمان فقال: إنما جاء الحديث: «ثلث طعام، وثلث شراب»، وأرى هؤلاء قد حاسبوا أنفسهم فربحوا سدسًا».

وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحها؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة».

وقال عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ: الشبع».

إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بها نفوسهم إلى الدنيا.



رسالة إلى كل معلم ومعلمة في العالم

أخي المعلِّم، أختي المعلِّمة: يا من يسَّر الله لك قلوب الناشئة، تسمع لك وتطيع، وتُقدس كلامك، وترى فيك القدوة الحسنة، والمثل الذي يحتذى، إليك أوجه هذه الرسالة:

«وهي أن تسعى جاهدًا في توصيل ما تضمنه هذا الكتاب من أمور علمية وعملية بأسلوبك وطريقتك الخاصة؛ بحيث يترسَّخ لدى الناشئة علمًا وعملًا أن نجاحهم وسعادتهم وقوتهم بهذا القرآن العظيم، وجِّههم إلى كيفية القيام بالقرآن، وعلِّمهم أنه الطريق لتثبيت معانيه العظيمة في القلوب، علِّمهم كيف يدعون إلى الله تعالى أن يرزقهم حب القرآن، وأن يفتح لهم كنوزه، وأن يضيء لهم أنواره، وضِّح لهم بتفصيل واستمرار أن الحياة بدون القرآن العظيم شقاء وضلال وضياع، وأن الله تعالى أنزل هذا القرآن العظيم رحمةً وهدًى للعالمين.

احتوى الكتاب على عدد من الآيات، والأحاديث، وأقوال السلف، مما يُبين كيفية التعامل مع القرآن العظيم، والانتفاع به، فسِّرها واشرحها لهم، واجعلهم يحفظون منها ما يستطيعون ليكون حافزًا لهم للعمل بها.

تفقدهم بين الحين والآخر، وراقب تفاعلهم مع ما تعلمهم إياه في هذا الأمر المهم في حياتهم، إنهم بذلك يكونون حسنة من حسناتك، وغرسًا من غراسك، تسعد وتسرُّ حين تراهم سعداء، تراهم نافعين مؤثرين في أمتهم.

أرجو منك الاحتساب في توصيل مادة الكتاب، لمن تحت يدك من

فلذات أكبادنا، الذين يؤلمنا واقعهم المأسوي، وما يعانيه الكثير منهم من قلق، وضياع فكري وخُلقي، في زمن كثُر فيه قُطَّاع الطريق، وتنوعت أطماع الطامعين ووسائلهم، وتخبط الكثيرون في البحث عن القوة والتطوير وتحقيق النجاح في الحياة، وهو في أيديهم، في هذا القرآن العظيم.

إن الكتاب يرسم الطريق المختصر والآمن والقوي للتربية والإصلاح، ولكن الأمر يحتاج إلى توضيح وبيان لمن لم يستطع ذلك.

أسأل الله الكريم بمنه وفضله أن يجعلك مفتاحًا من مفاتيح القوة والنجاح للأمة، وأن يحقق على يديك النصر للإسلام والمسلمين.



مفاتح تدبر السنة

والقوة في الحياة

إعداد

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تدبر السنة لماذا؟

هل تدبر السنة أحد أركان الإسلام الخمسة؟ أو أركان الإيمان الستة؟ أو أنواع التوحيد الثلاثة؟ أو أركان الصلاة؟ أو شروطها؟ أو أركان الحج؟ أو واجباته؟ . . . إلخ، ليس واحدًا مما ذكر بل هو الطريق إلى ذلك كله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١٤٨).

إن الناس قد حصل منهم تقصير فيما سبق ذكره من الأركان والشروط والواجبات وهم في هذا على نوعين:

الأول: قوم أضاعوا الطريق من أصله فصار سيرهم على غير طريق الإسلام والإيمان.

الثاني: قوم على الطريق لكن وقودهم إما قليل أو قد نفد فتوقفوا في بعض الطريق وهم يتعجبون من توقفهم، والعجب فيهم ومنهم، وإلا كيف يتعجبون من هذا التوقف والوقود بجانبهم فلم يأخذوا منه ما يؤدي إلى تحركهم ومواصلة سيرهم والوصول إلى أعلى المراتب بدل الرضى بالدون والهوان.

ف﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣﴾ [لقمان: ٣٣].

---

(١٤٨) «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٢)، و«صحيح الجامع» (٣٩١٣).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

۞ أما بعد:

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث في القصاص لم أسمعه منه فابتعت بعيرًا فشددت رحلي ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت مصر أو قال الشام فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت: حديث بلغني عنك تحدث به سمعته من رسول الله ﷺ ولم أسمعه - في القصاص - **خشيت أن أموت قبل أن أسمعه**، فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يوم يحشر العباد أو قال الناس حفاة عراة غرلًا**(١٤٩) **بهمًا**(١٥٠)، **ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة**» قال: قلنا: كيف وإنما نأتي الله ﷻ عراة حفاة غرلًا بهمًا؟، قال: «**بالحسنات والسيئات**»(١٥١).

---

(١٤٩) الغرل: جمع أغرل، وهو الأقلف أي غير المختون، «النهاية» لابن الأثير: (٣/ ٦٦٨).

(١٥٠) البهم: جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض كالعمى والعور والعرج: «النهاية» لابن الأثير (١/ ١٦٧).

(١٥١) «مسند أحمد» (٣/ ٤٩٥)، «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٦١٨)، =

كم من الأحاديث سنموت قبل أن نسمعها؟ وهي قريبة جدًّا منا لا تحتاج إلى سفر، وكم هي الأحاديث التي سمعناها ثم نسيناها؟ وكم هي الأحاديث سمعناها ونسمعها بل ربما نحفظها ولم نعمل بها؟ بسبب ضعف تدبرنا لها وفقهنا لما تضمنته من المعاني العظيمة، أو بسبب ضعف الدافع لتكرار قراءتها والتفكر فيها.

إن قراءتنا للقرآن أو للسنة - إن وجدت - تمر بشيء من العجلة والرغبة في الانتهاء من واجب مفروض، سواء مفروض بأصل الشرع أو فرضه الشخص على نفسه، ثم تجده يقفز إلى ما تهواه نفسه من جريدة أو مجلة أو قناة يتابعها بهدف التسلية، أو بحجة فقه الواقع أو متابعة التخصص وهذا دأبه كل يوم، فمتى سينتفع مثل هذا الشخص بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ لست أرفض متابعة الواقع أو التخصص؛ لكن هناك أولويات وهناك أصول وقواعد، فلا يصح أن نتفقه بالواقع ما لم نفقه الأصل الذي نقيس عليه، ونحكم به على الواقع وإلا كان فهمنا قاصرًا ومختلًّا، فيجب أولًا تحصيل المقاييس والموازين والأدوات التي نحكم بها على الواقع ثم بعد ذلك نشرع في فهمه، أما الانغماس التام بمتابعة الإعلام وهجر القرآن والسنة فهو منهج خاطئ.

إن المسلمين اليوم كثير وأهل العلم فيهم قليل، حتى بعض من يحسبون على العمل للإسلام والسعي في نصرته لو عرضتهم على بساط الامتحان لوجدت صورًا من الجهل لا ترضي، تجد الجهل بأوضح آيات القرآن الكريم.

= «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٢٥) وقال: وهو عند أحمد والطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، وقال العراقي في «المغني»: رواه أحمد بإسناد حسن، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

وبأهم وأعظم الأحاديث النبوية، تجد القطيعة المستديمة لهذين المصدرين العظيمين، وهذا من المفارقات العجيبة كيف يريد أن ينتصر للإسلام وهو بعيد الصلة عن مصدر انتصاره؟ تجده يعد نفسه من الدعاة الغيورين والبارزين المشهورين وهو ضعيف الصلة جدًّا بالقرآن والسنة، لا يقرأ القرآن إلا يسيرًا، أما السنة فلا يعرف منها إلا بعض الأحاديث التي يحتاجها للاستشهاد بها في كتاباته أو كلماته.

إن تفسير وجود مثل هذه الصور هو خلل في التربية من البداية، وفقد للآليات والطرق التي ترشد بيسر وسهولة إلى التعلق بالقرآن والسنة وتدبرهما.

قبل سنوات تلقيت بطاقة دعوة لحضور إحدى المناسبات، وقد صُدرت بحديث وكان هذا غريبًا في مثل هذا الدعوات، ولما بدأت قراءة الحديث ساورني الشك في صحته فلما وصلت آخره إذا بعبارة، رواه مسلم! هل حقًّا هذا الحديث في صحيح مسلم؟ وكيف غفلت عنه طوال هذه السنوات؟ رجعت بشيء من العناء إلى موضع الحديث فوجدته، قرأته مرة أو مرتين ثم ذهب أدراجَ النسيان.

وبعد إحدى الصلوات كنت أقرأ في كتاب «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للحافظ الدمياطي، وقرأت حديثًا في بعض الدعوات المستجابة، فجاءني شخص يطلب كتابة الحديث في ورقة ليتسنى له الانتفاع به، هذا الرجل قد تخطى الستين من عمره وهذا الحديث موجود بين يديه منذ أن ولد فكيف مرت هذه السنوات من عمره وهو محروم من الاستفادة من هذا الحديث العظيم الذي يحتاجه كل مسلم في حياته كل يوم أشد من حاجته للهواء والشراب والطعام.

إن مثل هذه الصور هي حال كثير منا مع السنة النبوية، فهل يليق بنا أن نفرط في تلك الكنوز التي وهبنا الله إياها دون عناء أو تعب؟ وقد وصلت إلينا محفوظة مصونة منقحة، وخاصة في هذه الأيام التي تسلط فيها الأعداء على بلاد المسلمين فسرقوا أموالها ونهبوا ثرواتها، واستضعفوا أهلها، فتدخلوا في أدق تفاصيل حياتهم، ماذا يأكلون؟ ولا غرابة في هذا لأنهم أدركوا أن استمرار تلك السرقات والاستيلاء على تلك الثروات لن يدوم لهم إلا بهذه الطريقة حين ينزعون من الأمة مصدر قوتها ومنبع طاقتها.

إن كل مسلم لديه أصل التصديق بالقرآن الكريم والسنة النبوية ولديه أصل السمع والطاعة لهما متى وصل إليه النص بطريقة صحيحة، وهذه قوة هائلة لو وجدت من يستثمرها لتحقيق النصر للمسلمين.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر القوة التي استطاع بها نبينا محمد ﷺ أن ينشر العدل والرحمة والخير بين الناس في نيف وعشرين سنة، وأن يجعل الملوك والرؤساء في ذلك الوقت يتساءلون عما جاء به وما مضمونه؟ وما سر نجاحه في إقامة الدولة الإسلامية؟

وفاعلية هذا العلم ليست خاصة به ﷺ، أو بصحابته رضي الله عنهم بل هو متاح لكل من أجاد استعماله وتدرب عليه، وصفحات التاريخ ناطقة على صحة هذه الحقيقة.

إن صراع الحضارات هو صراع معنوي علمي قبل أن يكون صراعًا ماديًّا عسكريًّا.

إن أي أمة تجيد بناء بنيتها الأساسية - أعني بناء القوة المعنوية النفسية العلمية - لكل أفرادها رجالًا ونساء، أطفالًا وشبابًا تضمن لنفسها القوة والثبات، وتضمن لنفسها العزة والكرامة وترفع عنها الذل وتحمي

خيراتها من لصوص الحضارات.

ولتحقيق هذه الأمر العظيم في حياة الأمة هذه بعض المفاتيح التي تعين على تدبر السنة وتحقيق القوة بها في الحياة، وهي المفاتيح العشرة التي ذكرتها في تدبر القرآن الكريم أذكرها هنا لأمرين:

الأول: أن أنبه على أن هذه المفاتيح ليست خاصة بالقرآن الكريم بل يمكن تطبيقها أيضًا على السنة النبوية، بل هي أدوات ومنهج لأي قراءة تربوية لأي كتاب، فأي قراءة تطبق عليها هذه المفاتيح أو معظمها تجد أن استفادتك مما تقرأ تكون أعلى وأقوى.

الثاني: هناك بعض الفروق في بيان هذه المفاتيح في حق السنة النبوية وهو ما أركز الحديث عليه هنا وأقتصر عليه ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب مفاتح تدبر القرآن.

هذا والله أسال أن ييسر لنا حفظ سنة نبينا محمد ﷺ، وأن يرزقنا الاقتباس من نور علمه وحكمته ما يحقق لنا القوة والكرامة والعزة، ويحقق لنا السعادة والطمأنينة والنجاح في الحياة، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني/ lahim@Quranlife.com

ص ب ١٢٤٧٨٧ الرياض ١١٧٧١

المفتاح الأول

حب السنة

وهو المدخل للانتفاع بالسنة في الحياة، وهو السائق والدليل إلى كنوز وخيرات هذا العلم العظيم الذي لو وعته الأمة الإسلامية لسادت العالم.

❁ **ولتحصيل حب السنة طرق ثلاثة:**

❁ **الأول: الدعاء:**

التضرع إلى الله تعالى آناء الليل وآناء النهار أن يرزقك تعظيم السنة والانتفاع بها ومن ذلك الدعاء الذي جاء في السنة نفسها، فعن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يقول: إذا صلى الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا**»(١٥٢)، والعلم بالسنة من أعلى مراتب العلم ومن أرفع درجاته.

وكذلك دعاء سنّه النبي ﷺ لنا خمس مرات في اليوم والليلة على الأقل، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١٥٣)، والإعانة

---

(١٥٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٤٤)، «سنن أبي داود» (١/ ٤٧٥)، «المستدرك» (١/ ٤٠١)، (٣/ ٣٠٧).

(١٥٣) «مسند أحمد»، «سنن أبي داود» (١/ ٤٧٥)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٢٩٨، ٣١٨، ٣٢٢)

على الشيء تستلزم الإعانة على وسيلته والآلة المؤدية إليه وهو هنا حب السنة وتذكرها وكثرة قراءتها، ومحاولة فهمها، والفرح بما يقف عليه منها.

۞ الثاني: القراءة في سيرة النبي ﷺ:

فمن المجرب والمشاهد أن العيش مع أحوال النبي ﷺ يبعث في نفس المسلم تعظيمه وتبجيله ومن ذلك تعظيم كلامه وتقديسه وهذا ينتج الحرص على سنته وبذلك الأوقات الثمينة في تحصيلها والعمل بها.

وإن أقرب الكتب لتحقيق هذا المعنى هو القرآن الكريم متى قرأه المسلم قراءة تربوية يطبق فيها مفاتح التدبر كاملة فإنه مع مرور الوقت يحس أنه يعيش في عصره يسمع صوته، يراه وهو يصلي، وهو يمشي، وهو يتكلم، وهو يفرح، وهو يحزن، وهو يجاهد ﷺ، فما أظن كتابًا يحقق هذا المعنى كما يحققه القرآن الكريم، قد تستفيد هذا المعنى من قراءة كتب السيرة أو كتب الشمائل لكن ما تسفيده من تصوير القرآن الكريم لأحوال النبي ﷺ وأحوال آل بيته وصحابته يكون أعظم وأكبر أثرًا.

۞ الثالث: القراءة عن أهمية السنة:

وهذا يكون بالقراءة عن أخبار السلف في تعظيمهم لحديث النبي ﷺ واجتهادهم في خدمته، والأخبار والقصص في هذا المجال كثيرة مشهورة، وكتب السنة والتراجم قد حفلت بالكثير من الأخبار والنماذج الحية التي تبعث في نفس المسلم الهمة لتعظيم السنة والنشاط في كتابتها وحفظها والعمل بها ونشرها والدعوة إليها، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب: «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي، وكتاب

«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي»، وكتاب «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي، وكتاب: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر.

فينبغي على كل ناصح لنفسه ألا ينقطع عن القراءة في هذا الجانب لئلا يضعف تعظيمه للسنة، وتضعف قيمتها في قلبه فيزهد فيها ويهجرها، فالقراءة عن أهمية الشيء مفتاح الاهتمام به والحرص عليه(١٥٤).

إن نصوص سنة نبينا محمد ﷺ لو كانت عند أهل حضارة أخرى لكتبوها في المحافل والمجامع والميادين العامة، ولتغنوا بذكرها ونقشوها في بيوتهم بل في قلوبهم، إننا نراهم يتغنون بنصوص وحكم مفكريهم التي لا تعد شيئًا، بالنسبة لحكمة نبينا محمد ﷺ فيا لله العجب ما أغفلنا عن هذه الطاقة التي منحنا الله إياها فنتركها ونذهب لدراسة طرق وأساليب توليد الطاقة المعنوية عند الشرق أو الغرب فصدق علينا قول الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

إن حب السنة ليس دعوى تقال باللسان ويصرح بها في الخطب والكلمات وتسطر بها صفحات الصحف وموجات الأثير، بل هي حقيقة لها علامات ومقاييس وموازين، من جاء بها صدق قوله وأقر على دعواه، ومن هذه العلامات:

١- كثرة قراءتها ومطالعة كتبها.

---

(١٥٤) وهذا الكتاب (مفاتح تدبر السنة)، قد تضمن نصوصًا مهمة تكرار قراءتها تحقق حب السنة.

٢- محاولة حفظها والحزن والأسف على فوات ذلك.

٣- الفرح بمجالسها ومنتدياتها ولقاءاتها.

٤- الشوق إليها إذا طالت الغيبة عنها.

٥- تطبيقها في جميع جوانب الحياة.



المفتاح الثاني

استحضار أهداف قراءة السنة

إن قراءة السنة النبوية يجتمع لها المقاصد نفسها التي ذكرتها لقراءة القرآن الكريم ففيها العلم وعليها العمل، وفيها مناجاة وثواب وشفاء، وبها إعلام ودعوة للناس كافة.

الهدف الأول: العلم

۞ المسألة الأولى: شدة الحاجة إلى علم السنة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥١].

فالسنة تفسير للقرآن وهي المبينة لكيفية تطبيقه والعمل به، وحاجة المسلم إليها كحاجته للقرآن.

إن حاجة الإنسان للسنة كحاجته لدقات قلبه، فمع كل نبضة من نبضات القلب هناك خاطر وتفكير إما بحق أو باطل، ولا سبيل للتمييز بين ذلك إلا بالعلم.

لو تأملت حياتك اليومية تجد أنه ما من أمر من الأمور وإلا وللقرآن والسنة فيها توجيه وتعليم سواء كان ذلك حركة جوارح أو حركة

مشاعر، وفيها يتضح الفرق بين العالم والجاهل.

ان حاجتك للعلم تتزامن مع كل حركة من حركاتك اليومية التي تعد بآلاف الحركات، أنت فيها إما عالم أو جاهل، عالم مغتبط بعلمك قرير العين بمنة الله عليك، أو جاهل غافل تشقى ولا تدري سبب شقائك.

قال الإمام أحمد: حاجة الناس إلى العلم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، ذلك أن الحاجة للطعام والشراب تكون مرة أو مرتين في اليوم بينما حاجتهم للعلم بعدد الأنفاس[١٥٥].

وصدق الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وهو من هو في علمه وفقهه وكثرة قراءته للقرآن الكريم ولأحاديث النبي ﷺ، فياليتنا نفقه هذه الحقيقة وتسيطر على أفكارنا ومشاعرنا، إذ لو حصل ذلك لأمكن وضع نهاية لمشاكلنا التربوية والاجتماعية ولصلحت أحوالنا الخاصة والعامة.

۞ المسألة الثانية: مفاهيم خاطئة في طلب العلم:

لعل من أهم الأسباب التي صرفت كثيرًا من الناس عن العلم بالسنة وبذل الجهد والوقت في ذلك هو مفهوم ترسخ لدى البعض وهو: أن طلب العلم، ومنه حفظ السنة، يراد به تخريج العلماء والمفتين والقضاة!!

إنه حصر للعلم في نطاق محدود، وحصر له في أبواب معينة من العلم، ومجالات محدودة في الحياة.

وبعضهم ظن أن العلم كل لا يتجرأ وأن تبدأه بعلوم الآلة من النحو وأصول الفقه والبلاغة.

---

(١٥٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧٠)، «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٥٧).

وبعضهم يرى أن: حفظ السنة كل لا يتجزأ فإما أن تحفظ الكتب الستة في عدد من الدورات المكثفة أو أن تتفرج على من يحفظ وتغبطه عليه، أما أن تنزل إلى الميدان وتبدأ الحفظ ولو بحديث واحد فهذا ما لا يخطر له على بال ولا يعده من طلب العلم.

والبعض يريد أن يحفظ السنة في سنة وإلا فلا، أن يحفظ خمسة آلاف حديث أو لا يحفظ شيئًا.

كل هذه مفاهيم خاطئة ينبغي أن نستبعدها من تفكيرنا، وأن نضع مكانها الفهم الصحيح، والنهج السديد وهو:

أن العلم يتكون من آلاف الجزئيات وأن العلماء مراتب ومستويات، وأن طلب العلم يراد به النجاة، وأن طريق طلب العلم طويل وهو يقطع على مراحل ومسافات، المهم أن تبدأ السفر، وتشرع في الرحلة ثم لا يهمك بعد هذا متى تصل أو إلى أين تصل ما دامت النية صادقة والوجهة صحيحة والمسافة المقطوعة تزيد يومًا بعد يوم.

۞ المسألة الثالثة: الرحلة في طلب السنة:

لقد فقه سلفنا الصالح أهمية السنة، وأدركوا عظيم قدرها فكانوا يبذلون النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل تحصيلها ولو كان ذلك كلمات معدودات، والأمثلة والصور والنماذج في هذا المجال كثيرة سطرها التاريخ بمداد من نور فبقيت منارات تشرأب إليها الأعناق ويقتدي بها السائرون أذكر هنا بعضًا منها:

١- رحلة جابر بن عبد الله من المدينة إلى الشام أو مصر في طلب حديث واحد وقد سبق ذكرها في المقدمة.

٢- وعن عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج أبو أيوب الأنصاري

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري - وهو أمير مصر - فأخبره فعجل عليه فخرج إليه فعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر مؤمنًا في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة**»، فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[١٥٦].

كان قصد أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رحلته إلى مصر أن يتأكد ويتثبت من صحة حفظه كل ذلك حرصًا على السنة وحبًّا لها، وكان ذلك في آخر عمره، ولعله خشي أن يموت قبل أن يتثبت من علمه، بمعنى أنه أراد ألا تنتهي فترة امتحانه في الدنيا إلا وقد حصل على الإجابات الصحيحة السديدة، وهو الهدف نفسه الذي صرح به جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل هو الهدف الذي يجب أن يسعى إليه كل مسلم، أما أن تمضي الأيام ونحن في جهلنا راضون، وبتقصيرنا في العلم قانعون، فهذا ما لا يليق بعاقل أبدًا.

---

(١٥٦) «مسند أحمد» (٤/ ١٥٩)، «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ٢٢٨)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٠٢).

٣ - وعن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال له: يا أبا الدرداء، أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ، قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا، قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١٥٧).

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول ﷺ - وأنا شاب - قلت لشاب من الأنصار: يا فلان! هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ولنتعلم منهم فإنهم كثير، قال: العجب لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ، فأجده قائلًا: فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح على وجهي حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما لك؟ فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ فأحببت أن أسمعه منك، قال: فيقول: فهلّا بعثت إليَّ حتى آتيك، فأقول: أنا أحق أن آتيك، فكان الرجل بعد ذلك

---

(١٥٧) «سنن أبي داود» (٢/ ٢٤١)، «سنن الترمذي» (٥/ ٤٨)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٨١).

يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله ﷺ واحتاج الناس إلي فيقول: كنت أعقل مني(١٥٨).

٥- وروي عن سعيد بن المسيب قال: إن كنت لأسير ثلاثًا في الحديث الواحد(١٥٩).

٦- وقال عامر الشعبي: لو أن رجلًا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع(١٦٠).

٧- وعن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي، فقال: ما جاء بك؟ قلت: أنبط العلم (أي أستخرجه)، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع»**(١٦١).

هذه الرحلات كانت قبل تدوين السنة حين كان طلب الحديث يحصل مشافهة، ثم تلتها مرحلة أخرى وهي الرحلة من أجل ضبط الكتب وتصحيحها على الشيوخ، ولا زالت حتى الآن، وبعد أن تطورت وسائل الكتابة والطباعة، وتطورت وسائل الاتصال تعارف العلماء وطلاب العلم على نسخ معينة بالضبط والإتقان تعرف بأسماء محققيها، لكن بقي ضرورة المشافهة بها على الشيوخ للتأكد من صحة نطق اللفظ وفهم المعنى، وهذا - والحمد لله - متيسر في كل حاضر من حواضر المسلمين اليوم ولا يحتاج إلى رحلة بل يحتاج إلى حرص وجود وسخاء بالوقت

---

(١٥٨) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٠٣).

(١٥٩) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٢)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١١٣).

(١٦٠) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١١٤).

(١٦١) «سنن ابن ماجه» (١/ ١٣١).

والجهد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

إن من يعرف قيمة السنة يرى أنه لو أوتي أضعاف عمره ما انقضى عجبه من بعضها.

قال الأمير المنصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بمثلي أن يتعلم؟ فقال: والله لأن تموت طالبًا للعلم خير من أن تموت قانعًا بالجهل.

۞ المسألة الرابعة: السنة واضحة ميسرة:

إن معظم كلام النبي ﷺ بين واضح، يشترك في فهمه العالم والعامي والصغير والكبير والرجل والمرأة عدا نسبة قليلة تحتاج إلى توضيح من جهة ارتباط بعضها ببعض فتكون مخصصة أو منسوخة أو مقيدة، وأيضًا بعض الكلمات الغريبة تحتاج إلى بيان لعدم فشو استعمالها بين الناس، أما استغلاق السنة على البعض فهو بسبب عدم التدبر، وضعف الصلة بها، وقلة بل ندرة القراءة، وعدم إلقاء السمع والتركيز حين سماعها بل يسمعها بأذنه بينما قلبه في كل واد من أودية الدنيا يهيم ثم بعد ذلك يقول إن فهم السنة أمر صعب فيؤثر الانشغال بالقيل والقال على سماع السنة وتعطير المجالس بها.

وبعض المربين والمعلمين أو المؤلفين حين يحاول شرح السنة وتوضيحها لعامة الناس تجده يستطرد ويخرج عنها إلى علوم وفنون متنوعة من لغويات وبلاغيات صعبة الفهم أو إلى قصص وحكايات وطرائف تنسي أصل الحديث المتكلم عنه أو لا تبقي له إلا القليل من الوقت أو المساحة، فهذا الاستطراد والخروج عن المقصود والتطويل يصرف عن السنة نفسها وتذهب الأوقات والأعمار في قراءة أو سماع كلام كثير لو كان مكانه سماع أحاديث أخرى لكان أولى وأحرى،

فينبغي أن نقرب السنة للناس ونقتصر في بيانها وشرحها على ما تدعو الحاجة إليه ولو كان الشرح قليلًا لأننا إذا فعلنا ذلك نرسخ في أذهانهم أن السنه واضحة سهلة فيقبلوا على قراءتها وتدبرها، أما نعقد ونهول الأمر ونبالغ في شرح بعض العبارات فهذا وإن كان قصد قائله خدمة السنة وحراستها فإنه قد يؤدي إلى عكس مقصوده.

۞ المسألة الخامسة: العلم بالسنة يوفر الوقت ويختصر الجهد:

إن تدبر السنة والتفقه فيها يوفر الوقت ويختصر الطريق على المربي والواعظ والخطيب إذ إنه في أي قضية يريد الحديث عنها فإنه سيجد من حكمة النبي ﷺ ما يوصله إلى هدفه من أقرب الطرق وأيسرها وأسهلها وأوضحها، أما إن كانت صلته بالسنة ضعيفة فإنه سيشرق ويغرب ويهيم في أودية الكلام ويسلك طرقًا ملتوية وطويلة للوصول إلى الهدف المنشود فيطيل بذلك على السامعين ويثقل عليهم، وقد بين هذا المعنى نبينا محمد ﷺ في عبارة موجزة واضحة لمن عقل وتدبر، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرًا**»(١٦٢)

فأي خطيب عادته الإطالة فاعلم أنه غير فقيه في تربية الناس ووعظهم مهما كانت قوة كلامه وتأثيره الحماسي المؤقت، أما التأثير التربوي طويل الأجل فهو عنه بمعزل.

إن بعض الخطباء يظن الخطبة قناة تلفزيونية أو جريدة أو مجلة أو دار

---

(١٦٢) «مسند أحمد» (١/ ٤٤٠)، «صحيح مسلم» (٢/ ٥٩٤)، «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٤٢).

نشر، حتى إن بعض الخطباء لما ختم خطبته قال: هذا ما تيسر جمعه في هذه العجالة، وقد زادت خطبته عن نصف الساعة، فالخطيب أو الواعظ حينما يتكلم مدة عشرين أو ثلاثين دقيقة ما هدفه؟ هل هدفه أن يعمل الناس بما يقول؟ فكيف سيحفظ المستمعون كل ما قال؟ إن إيجاز الخطبة يوجد الحب للخطيب أو الواعظ وبالتالي الانتفاع بما يقول: وبهذا لا نحتاج إلى شخص موهوب يجمع بين التطويل والتشويق حين يخطب أو يعظ، فالخطب والمواعظ العلمية التربوية تختلف تمامًا عن الخطب الأدبية والترفيهية، والكلام الكثير مع السرعة ينسي بعضه بعضًا والذي يحصل أن المستمع يشرد ذهنه، خاصة إذا كان التطويل عادة لذلك الخطيب أو الواعظ أو كان موضوع الخطبة علميًّا دقيقًا، أما إذا حولنا الخطبة إلى قصص وحكايات وترفيه ومسرح للأحداث فصحيح أنه سيوجد التركيز وشد الذهن والاهتمام لكن بهذه الطريقة نكون قد جارينا الناس بما تهوى أنفسهم ويقل نفعه لهم مع مخالفة السنة في التطويل، التطويل يصلح ويحسن في بعض الأحيان وحين تكون المناسبة ملحة، وقد ورد عن النبي ﷺ شيء من ذلك أما أن يكون التطويل هو الأصل والإيجاز غير ممكن؛ لأنه دليل على العي والقصور فهنا انتكاس في المفاهيم وجهل واضح بالسنة.

۞ المسألة السادسة: تدبر السنة وقاية من الانحراف الفكري:

إن من يقرأ السنة بتدبر وبنية صحيحة مبتغيًا وجه الله تعالى لا وجوه الناس فإنه بإذن الله تعالى يعصم من أي انحراف فكري وخاصة إذا تربى على هذا الأمر من صغره بطريقة صحيحة.

قرأت في أحد المواقع موقفًا يحكيه عن نفسه بعض المضلين فيقول:

كنت يومًا في العاصمة التونسية داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصلاة جلس الإمام وسط حلقة من المصلين وبدأ درسه بالتنديد والتكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، واسترسل في حديثه قائلًا: إياكم من الذين يتكلمون في أعراض الصحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، إنهم يريدون تشكيك الناس في دينهم، ثم استشهد الإمام بحديث، فقاطعه أحدُ المستبصرين كان يصحبني قائلًا: هذا الحديث غير صحيح وهو مكذوب على رسول الله! وثارت ثائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمئزين، فتداركت الموقف متلطفًا مع الإمام وقلت له: يا سيدي الشيخ الجليل...، .... » ثم بدأ هذا المضل يلقي بشبهاته وأباطيله إلى أن قال: «ولما عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها قال في هدوء: نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم الله تعالى بأن الفتنة نائمة فلعن الله من أيقظها، فقلت: يا سيدي! الفتنة عمرها ما نامت، ولكنا نحن النائمون...»، إلى أن قال هذا المضل... وبعد شهر واحد كتب إلي رسالة لطيفة يحمد الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم.

فهذا الموقف وأمثاله يتكرر يوميًّا عبر وسائل الإعلام والاتصال، التي تطورت في عصرنا الحاضر - ويحتاج منا إلى وقفة جادة في طلب العلم النافع والتفقه في دين الله تعالى: وأن الأمر جد لا يحتمل التأخير أو التهاون والتواني، فنحن مسؤولون أمام الله ﷻ عن تقصيرنا في هذا الواجب العظيم.

إنها كلمة أوجهها إلى المسؤولين عن التربية والتعليم في العالم الإسلامي: إن أردتم الأمن والسلامة من المشكلات الفكرية والتربوية فليس أمامكم إلا القرآن والسنة ببرامج مكثفة وبيان واضح يمنع الانحراف في فهمها وتنزيلها على غير ما دلت عليه، إن التاريخ يشهد أن العلاقة طزدية بين العلم ومنه التوحيد وبين الأمن وقبل شهادة التاريخ شهادة رب العالمين إذ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمحاولة إبعاد العلوم الشرعية عن مناهج التعليم أو تقليصها مع الإغراق في العلوم الدنيوية بحجة سوق العمل فهذا سيكون على حساب أمن المجتمع واستقراره على المدى البعيد وبوادر ونذر هذا الخطر بدأنا نذوقها من أقرب الناس إلينا.

إن العودة الصادقة لتدبر القرآن والسنة بطريقة صحيحة وبآليات كافية لهو السبيل لتحقيق الأمن المنشود والرخاء المقصود.

إن المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمطويات والملصقات ما هي إلا إسعافات أولية لعلاج هذه المشكلة أما العلاج الجذري والمنهجي فهو ما أشرت إليه.

إن تغييب بعض نصوص القرآن والسنة بحجة علاج المشكلات الفكرية هو سبب في توليد مثل هذه المشكلات، فهذه النصوص إن لم يسمعها الناشئة من صغرهم في مدارسهم ويسمعوا بيانها الصحيح في مناهج التربية والتعليم فسيسمعونها من هنا أو هناك مقلوبة محرفة ثم يطبقونها تطبيقًا خاطئًا فيجنون على أنفسهم وأمتهم.

۞ المسألة السابعة: السنة وفرضيات البرمجة اللغوية العصبية:

يوجد في البرمجة اللغوية العصبية عدد مما يسمى بالفرضيات وهي عندهم قواعد وأصول سلوكية نفسية يبنى عليها عدد من الإجراءات والتقنيات في هذا العلم، وحينما تستمع لمدربي البرمجة وهم يشرحون فرضياتها، أو يدافعون عنها ويجيبون عما أورد عليها من ملاحظات فإنك تتعجب وتستغرب كيف يحاول هؤلاء التشبث بمثل هذه الفرضيات والدفاع عنه مع أن عندهم أضعاف أضعاف... أضعافها من حكم وقواعد موجودة في السنة النبوية تظهر لمن قرأها وتدبرها وأطال الوقوف عند حكمها.

إن مثل هذا التمسك والاعتداد والفرح بهذه الفرضيات يقبل من أولئك الذين لا يعرفون القرآن ولم يطلعوا على سنة نبينا محمد ﷺ لأن هذا منتهى علمهم وهم يحسبون بما قرروه حازوا سبقًا علميًّا واكتشفوا أدوات لم تكن موجودة في هذا الوجود.

فيحسن بالمشتغلين بهذا العلم أن يعطوا من وقتهم القدر الكافي لتدبر السنة والتأمل في مضمونها إذ إنهم لو فعلوا ذلك لوجدوا ضالتهم المنشودة واستغنوا بما عندهم عما عند غيرهم ولعلموا أن ما يسعون لتحقيقه من تغيير وتطوير موجود في السنة النبوية.

فيا أيها المدربون ويا أيها المبرمجون خذوا من السنة النبوية ما تشاءون من المسلمات التربوية والقواعد النفسية فهي معين لا ينضب وكنز لا يفنى، خذوا واشرحوا واعقدوا الدورات لتطوير الحياة.

إنها دعوة مفتوحة إلى من آتاهم الله العلم بركنيه: الفهم (الذكاء)، والحفظ (الذاكرة)، أن يبينوا للناس القواعد التربوية، والمسلمات

النفسية ويدربوا الناس عليها ويبينوا لهم تطبيقاتها في الحياة.

إن هذه القواعد هي التي تمكن بها النبي ﷺ من تغيير الناس وتطويرهم من أمة بدوية بدائية إلى أمة ذات حضارة قوية مكينة استمرت قرونًا طويلة ولا تزال تملك تلك الطاقة التي تمكنها بعون الله أن تعود إلى ما كانت عليه.

۞ المسألة الثامنة: مشهد من الواقع:

في أحد المساجد النشيطة قرأت لوحة رسم فيها خطة لمشروع تربوي يحتضن الناشئة في المرحلة الابتدائية، وكان البرنامج يحتوي على أنشطة متنوعة للطلاب منها: حفظ القرآن، ومذاكرة الكتب المدرسية، والترفيه، وغيرها، والذي استوقفني في الإعلان هو أن البرنامج يشمل دورات يلقيها عدد من المتخصصين في التربية وعلم النفس لتعليم الآباء والأمهات كيف يربون أبناءهم ويتعاملون معهم؟ فقلت: هل وصلت التبعية التربوية للغرب حتى إلى المساجد، إن كان أهل القرآن والسنة لا يستطيعون أن يعرفوا كيف يربون أبناءهم ويتعاملون معهم إلا بمساعدة المؤهلين في تلك العلوم من جامعات شرقية أو غربية؟ إذًا ما أثر القرآن والسنة في حياتهم ؟ أين هم من سنة المربي الأول ﷺ؟ الذي استطاع تكوين خير جيل عرفه التاريخ، أين هم من خبراته وتجاربه ومن قواعده وهديه؟ إن كان المراد أن هؤلاء جمعوا بين التخصص في القرآن والسنة وبين العلوم التربوية والنفسية وسيكون طرحهم بواجهة القرآن والسنة وتحت لوائهما فحسن، أما إن كانت الأخرى وهو الواقع والمشاهد فلا.



۞ المسألة التاسعة: الاستيراد والتصدير الفكري:

إن من مظاهر الانهزامية والتبعية في وقتنا الحاضر هو ذلك الاستيراد الثقافي الذي نشط في السنوات الأخيرة نشاطا ملحوظًا واتخذ قوالب مختلفة منها ترجمة الكتب ومنها دورات التطوير والتغيير كلها ينتهي إسنادها إلى الحضارة الغربية ومقطوعة الإسناد عن القرآن والسنة.

إن التبعية الفكرية للحضارات القوية في العالم انهزامية غير مقبولة مهما كان المبرر والواجهة التي تغلف بها والجسر الذي تعبر فوقه إلى ثقافتنا وحضارتنا.

لماذا الاستيراد والإنتاج المحلي متوفر بل يفوق المستورد؟

إننا لن نتحرر ماديًّا وعسكريًّا حتى نتحرر فكريًّا ونفسيًّا بشكل كامل ومطلق.

والسبب في وجود هذه الظاهرة عدم التفريق بين الاستيراد الممنوع وبين الانتفاع المشروع بما عند الحضارات الأخرى في أمور الحياة المادية، فهذه مسألة يقع الخلط فيها كثيرًا ولا يوفق للبصيرة في هذا الأمر إلا من هدي إلى الصراط المستقيم، الذي فرض على المسلم أن يدعو بالهداية إليه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل.

إن لكل حضارة جانبين: معنوي ومادي، ديني ودنيوي. وهما ممتزجان بشكل يصعب الفك بينهما وإن بينهما خيطًا رفيعًا لا يراه إلا المبصرون ممن تدبروا القرآن والسنة.

إننا بهذا الاستيراد نعمق في نفوس الناس وخاصة الجيل الجديد التبعية لتلك الأمم شئنا أم أبينا وسنظل نغرس الضعف والانهزامية، دون أن نحاول الخروج وتحقيق النصر والعزة.

إن على المثقفين من المسلمين أن ينتقلوا من مرحلة الاستيراد إلى التصدير، أي تصدير مشروعنا الحضاري إلى الناس كافة، خاصة أن المناخ مناسب والمنافسة مفقودة حيث تعاني الحضارات اليوم من فراغ نفسي شديد وهي بأمس الحاجة لأن ترى حضارة الإسلام بثوب عصري يجيب عن كل تساؤلات الحياة إجابات مقنعة ويربط القرآن والسنة بكل دقائق الحياة في كافة الجوانب.

۞ المسألة العاشرة: الوقود الذي يطلق القدرات:

إن السنة النبوية لمن فتح الله تعالى له أبوابها هي المنطلق لإطلاق قدرات الإنسان وهي الوقود الذي يولد الحماس والنشاط والطاقة والإبداع.

قال ابن القيم: وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام، وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[١٦٣].

هذا الكلام يعترف به كل مسلم نظريًا، أما من يطبقه إلى واقع عملي محسوس فهم في عصرنا قليل.

إن نشر السنة بين الناس وتدبرهم لها يسهم بشكل كبير في تربية النفوس وتهذيب الأخلاق ونتيجة لذلك تقل المشاكل والمخالفات

---

(١٦٣) «مختصر زاد المعاد» (١٣).

والجرائم، ويوجد الجد في الحياة والالتزام في أداء الواجبات دون حاجة إلى أجهزة مراقبة أو حراسة أو إدارات متابعة، فهناك رقابة داخلية تعمل على مدار الساعة فإذا تحقق هذا فانظر ماذا يترتب عليه من مصالح عظيمة.

وأيضًا إذا وجد تدبر السنة يكون الحاصل على القوي الأمين أمر سهل مما يمكن معه تحقيق الكثير من الأهداف العامة والخاصة وإنجاز الكثير من المشاريع بأقل تكلفة وأقل جهد، ما أقوله ليس أحلام شاعر، ولا أوهام كاهن بل هو حقيقة مقررة، وأثره ملموس لكنه في نطاق محدود، إننا نملك أعظم طاقة معنوية لو استطعنا أن نوصلها بشكل صحيح وأن نستثمرها في تحقيق الرخاء والأمن للمجتمع، وتحقيق الحياة الطيبة لكافة أفراده.

۞ المسألة الحادية عشرة: مقاومة تغيير المناهج:

ينبغي للمسلمين ألا يستسلموا لمن أراد تغيير مناهجهم وتقليصها؛ لكن لا يضيع وقتهم في الدفاع وينشغلوا به عن البناء حتى يغلبوا ويسقطوا، بل عليهم أن يبحثوا عن البدائل والحلول التي يقاومون بها هذا التغيير ويكفل للناشئة استمرار اتصالهم بالقرآن والسنة صلة صحيحة قوية محكمة، وبتلقائية وسهولة وهو ما يحققه مشروع تدبر القرآن والسنة بإذن الله تعالى.

لقد سجل التاريخ شهادات إجلال وإكبار لأقليات مسلمة عاشت متمسكة بدينها وعقيدتها تمسكًا قويًّا متينًا مع شدة ما تواجهه من ضغوط رسمية واجتماعية.

إنها فقط الرغبة الصادقة في البناء وامتلاك السيولة العلمية التي تدعم

هذا المشروع الكبير.

فالأسرة المسلمة إذا كانت مبنية على أسس تربوية سليمة وبدأت بواجبها منذ نشأتها وتكوينها فلن تستطيع أي قوة في الأرض أن تفرض على أفرادها فكرًا غير الفكر الذي رضعته منذ أيامها الأولى، أما إن تركت الوعاء فارغًا وألقت بالتبعة على غيرها فهنا مكمن الخطر والثغرة التي ينفذ منها الأعداء إلى حصوننا، لقد ولى عهد النوم والكسل وبدأت مرحلة الجد والعمل، فكل منا على ثغرة من ثغور الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله.

۞ المسألة الثانية عشرة: تدبر السنة اجتماع الكلمة وتوحيد الصف:

إن بعض الناس لا يعرف السنة إلا عندما يريد أن يجادل أو يخاصم فتراه يفتش في كتبها بحثًا عما يقوي حجته ويشهد لرأيه وما عدا ذلك من أيام حياته فلا صلة له بالسنة، فلا يفتش فيها بحثًا عن أسباب نجاته وإصلاح نفسه وتزكية قلبه، قد غاب عن ذهنه الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في شأنه كله.

فمثل هذا النوع من الناس هو الذي يزرع الخلاف والشقاق بين المسلمين، وينشر الآراء الشاذة والمناهج المنحرفة سواء كان ذلك بحسن نية أو عدمها النتيجة واحدة.

أما حين يوجد تدبر السنة عند أفراد الأمة، يبدأ الجميع بتدبرها من الصغر وبنية صادقة ومنهج صحيح فإننا بإذن الله تعالى نأمن وجود هذه البذور الفاسدة في صفوفنا فتصفو الحياة وتجتمع الكلمة، وحتى لو وجد خلاف على بعض المسائل فإن القلوب صافية والنيات صادقة.

فهذه وسيلة سهلة ميسرة في متناول الجميع منحنا الله إياها فلم لا نوظفها لتحقيق الخير وجمع الكلمة.

إن كل مجتمع صغيرًا كان أو كبيرًا يأخذ بزمام المبادرة ويسعى في غرس هذه الشجرة المباركة في أرضه فإنه يتفيأُ ظلالها عندما تنمو وتكبر، أما من يفرط ويهمل فإنه يتجرع الغصص ويتكبد الخسائر، ويعيش في جحيم الخلاف والشقاق طول حياته.



الهدف الثاني: العمل

إن وجود الهدف عند كل مسلم من أقوى الدوافع للعناية بالسنة والإقبال عليها والاشتغال بها، والحرص عليها.

فمتى علم المسلم أن في السنة ما يحقق له النجاة والحياة الطيبة، ما يجيبه عن التساؤلات اليومية التي تمر به، ما يعينه على التعايش مع الواقع الذي يعيش به، ما يكشف له الجواب الصحيح في كل موقف يتعرض له، ما يؤمن له المستقبل في الحياة الآخرة فإنه يحرص عليها أشد الحرص، ويقدرها حق قدرها ويوليها اهتمامًا بالغًا وعناية خاصة.

۞ المسألة الأولى: حرص السلف على العمل بالسنة:

لقد فقه سلفنا الصالح هذا الهدف فقرنوا العلم بالعمل وتواصوا به وأكدوا عليه دائمًا، فلم يكن حظهم من السنة الرواية، بل قرنوا الرواية بالدراية ثم ربطوا ذلك بشؤون الحياة كلها.

وأورد هنا بعض النماذج لبيان هذا الجانب المشرق في حياة الصحابة ﷺ شحذًا للهمم، والسير في طريقهم:

١- عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ(١٦٤).

٢- وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم

(١٦٤) «مسند أحمد» (١/ ١٦٧).

أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك[١٦٥].

٣- وعن يعلى بن أمية قال: طفت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا، قال: فانفذ عنك، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة[١٦٦].

٤- وعن سعيد بن المسيب قال: رأيت عثمان رضي الله عنه قاعدًا في المقاعد فدعا بطعام مما مسته النار فأكله ثم قام إلى الصلاة فصلى، ثم قال عثمان: قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأكلت طعام رسول الله، وصليت صلاة رسول الله ﷺ[١٦٧].

٥- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادمًا فقال: «**ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين**»، قال علي رضي الله عنه فما تركتها بعد، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[١٦٨].

٦- وعن ميسرة الطهوي قال: رأيت عليًّا يشرب قائمًا، قال: قلت

---

(١٦٥) «صحيح البخاري» (٢/ ٥٧٩)، «صحيح مسلم» (٢/ ٩٢٥)، «سنن أبي داود» (١/ ٤٧٧)، «مسند أحمد» (١/ ١٩٧).

(١٦٦) «مسند أحمد» (١/ ٢٦٥).

(١٦٧) «مسند أحمد» (١/ ٣٧٨).

(١٦٨) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٠٥١)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩١).

له: تشرب قائمًا ؟ فقال: إن أشرب قائمًا فقد رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشرب قاعدًا فقد رأيت رسول الله ﷺ يشرب قاعدًا(١٦٩).

٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا: فقال رسول الله ﷺ **«من القائل كلمة كذا وكذا؟»** قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: **«عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء»**. قال ابن عمر رضي الله عنهما: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك(١٧٠).

٨- وعن سالم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد، فقال ابن له: إنا لنمنعهن، فقال: فغضب غضبًا شديدًا وقال: أحدثك عن رسول الله وتقول: إنا لنمنعهن، وفي رواية: فانتهره عبد الله، قال: أف لك، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقول: لا أفعل(١٧١).

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر(١٧٢).

---

(١٦٩) «مسند أحمد» (٢/ ١٧٩).

(١٧٠) «مسند أحمد» (٢/ ١٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٤٢٠)، «سنن أبي داود» (١/ ٥٠٢)، «سنن النسائي» (٣/ ٣٦٤).

(١٧١) «صحيح البخاري» (١/ ٣٠٥)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٢٦)، «مسند أحمد» (٨/ ٢٩٠)، (٦/ ١٣٢).

(١٧٢) «صحيح البخاري» (١/ ٣٩٥)، (٢/ ٦٩٩)، «صحيح مسلم» (١/ ٤٩٩)، «سنن أبي داود» (١/ ٤٥٥)، «سنن النسائي» (٣/ ٢٢٩).

والنصوص في هذا الباب عن الصحابة والتابعين وأئمة الفقه كثيرة كلها تؤكد هذا المعنى وتهيج النفوس إليه، وتبرز هذا الجانب المهم من حياة المسلم في تعامله مع سنة النبي ﷺ.

۞ المسألة الثانية: مراتب اتباع السنة:

مراتب اتباع السنة أربع:

الأولى: سماع الحديث أو قراءته والتأكد من صحته.

الثانية: حفظ لفظ الحديث.

الثالثة: فقه الحديث وحفظ معانيه.

الرابعة: العمل والتنفيذ.

هذه مراتب اتباع السنة، فأولًا تسمع الحديث أو تقرأه، ثم تحفظه، ثم تتفكر في معانيه وتتدبره وتتأكد من فقهك له بسؤال أهل العلم أو بالسماع أو بالقراءة، ثم تنطلق للعمل مباشرة بما سمعته عن الرسول ﷺ دون تأخير أو توان.

لقد كان تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع السنة تعاملًا مباشرًا وسهلًا، يأتي أحدهم النبي ﷺ فيسأله، ثم يستمع إلى الإجابة ويحفظها ثم ينطلق للعمل بها، أما كثير من الناس اليوم فإما أن يحرموا أنفسهم سماع السنة والعلم بها، أو يحرموا أنفسهم فورية التطبيق والتنفيذ بحجج واهية وأعذار وهمية، فتنقضي أيام حياتهم وفي كل يوم يفوتهم خير عظيم.

۞ المسألة الثالثة: التربية والتدريب على العمل بالسنة:

إن العمل بالسنة وتطبيقها يحتاج إلى التدرج في التطبيق شيئًا فشيئًا، وينبغي أن يبدأ ذلك في وقت مبكر منذ سنوات الطفولة الأولى بحيث

يتسع الوقت للبناء، وتوجد مساحة كافية للتدريب والتكرار حتى ترسخ العادات التربوية الجيدة.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير فإن الخير عادة[(١٧٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تعودوا الخير عادة، وإياكم وعادة السواف من سوف إلى سوف[(١٧٤)].

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عودوا أنفسكم الخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**[(١٧٥)].

إن كل عمل دلنا عليه نبينا محمد ﷺ حري بنا أن نعود أنفسنا عليه، وكل عمل من هذه الأعمال له مستويات ودرجات ويؤخذ بالتدريج يومًا بعد يوم، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ولا نظن أن ما نسمع عن السلف من اجتهاد في الأعمال الصالحة جاء طفرة وفجأة إنما جاء بالتدريج والتربية والتعويد سواء كان في تربية الإنسان لنفسه أو تربية المربي لغيره، فلا يمكن أن يحصل الشخص كل أبواب الخير وبأعلى درجة في يوم أو في سنة، وأيضًا ليس مطلوبًا منه ذلك إنما البناء يكون بالمجاهدة والمصابرة وبالرياضة.

وأن يبدأ رحلة المجاهدة وفي نيته إتمامها، ولو مات قبل إكمالها فإنه يكتب له ثواب ما نوى، وأن يكون خط سير الرحلة على الأحاديث،

---

(١٧٣) «شعب الإيمان» (٩/ ٢٣٦).

(١٧٤) «المعجم الكبير» (٧/ ٣٨٦)، شعب الإيمان (٧/ ٣٨٦).

(١٧٥) «مسند الشاميين» (٣/ ٢٥٠).

نبدأ بها حديثًا حديثًا، وكل حديث أيضًا نأخذه بالتقسيط فمثلًا حديث أبي هريرة: (أوصاني خليلي بثلاث) نبدأ أولًا بأن نتعود أن نوتر قبل أن ننام ثم بصلاة الضحى، ثم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، فإذا أتقناه ذهبنا للحديث الذي بعده، فتكبر وتنمو حصيلتنا التربوية يومًا بعد يوم فتضفي على حياتنا النور والبهجة والسرور، وتسهم بشكل سريع وقوي في علاج مشاكلنا الموجودة ووقايتنا مما لم يوجد.

الإنسان مركب ومكون من آلاف العادات الصغيرة التي تتشكل وتتركب مع بعضها لتكون عادات أكبر ثم تشكل الشخصية الكلية للإنسان.

ومن المعلوم أنه في بداية تركيب وتثبيت العادة وبنائها يحصل شيء من الاهتزاز والتأرجح حتى تثبت وتصلب.

أما من يريد أن يأخذ الأعمال والدين جملة فإنه يذهب عنه جملة، وتنقضي حياته ولم يترق أو يصعد في سلم الخير.

وأذكر هنا بما قلته في كتاب (مفاتح تدبر القرآن): أن مفتاح الإشعال والمنطلق في بناء الذات وتكوين المهارت هو القيام بالقرآن فهو الذي يهيئ النفس لتكون أرضًا صالحة للزراعة وتربة خصبة تنمو فيها خصال الخير بقوة وحيوية.

إن المتربي بالإضافة إلى عمله وتطبيقه لهذه الأحاديث يتعلم أمرًا مهما بل في غاية الأهمية إنه يتعلم كيف يعمل بالسنة كيف يتعامل معها، وكيف يطبقها خطوة بعد خطوة وبشكل مباشر.

إننا ينبغي أن نتربى على الفورية والمباشرة مع السنة وألا يكون بيننا وبينها وسطاء ننتظر منهم أن يقدموها لنا بألفاظهم وعباراتهم حتى إذا

وصلتنا لا نذوق طعمها وحلاوتها، ونتهيب أن نحاول قراءة أو تطبيق أمر آخر غير ما قدموه لنا، وأعني بذلك ألا يكون إلقاء الأوامر والنواهي والقواعد والفوائد مجردًا عن النص النبوي الكريم، بل الصواب أن يكون التعليم والتربية من خلال النصوص وأن يتدرب المتلقي على فهم النصوص وحفظها وربط ذلك بالواقع.



الهدف الثالث: الثواب

كل نص من القرآن والسنة ورد فيها فضل العلم والحث عليه فإن حفظ السنة وقراءتها وتدبرها يدخل فيه دخولًا أوليًّا وهناك نصوص خاصة في الحث على حفظ السنة وتبليغها إلى الناس، و هذا طرف مما ورد في هذا الباب من النوعين:

١- قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

٢- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٣- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

٤- وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١٧٦).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا**»(١٧٧).

٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر**

---

(١٧٦) «صحيح البخاري» (٣/ ١١٣٤)، (٦/ ٢٦٦٧)، «صحيح مسلم» (٢/ ٧١٨)، «سنن الترمذي» (٥/ ٢٨).

(١٧٧) «سنن الترمذي» (٤/ ٥٦١)، «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٣٧٧)، «مسند البزار» (٥/ ١٤٤).

الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»(١٧٨).

٧- وعن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متكئ على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: «**مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**»(١٧٩).

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته**»(١٨٠).

٩- وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجته**»(١٨١).

١٠- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(١٨٢).

١١- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: القلوب أوعية فخيرها

(١٧٨) «سنن أبي داود» (٢/ ٣٤٦)، «سنن الترمذي» (٥/ ٢٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٤).

(١٧٩) «مسند أحمد» (٤/ ٢٣٩)، و«معجم الطبراني الكبير» (٨/ ٥٤).

(١٨٠) «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٨)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٢٤٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤/ ١٢١).

(١٨١) «المعجم الكبير» للطبراني (٨/ ٩٤، ١٥٤)، «المستدرك» (١/ ١٦٩)، «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨).

(١٨٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٥٩)، «صحيح البخاري» (٣/ ١٢٧٥)، «سنن الترمذي» (٥/ ٤٠).

أوعاها، الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع لا خير فيهم[١٨٣].

١٢- وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول[١٨٤].

١٣- وعن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم تعلمه عمل به أو لم يعمل به أحب إلينا من ألف ركعة تطوع[١٨٥].

١٤- وعن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظمأ الهواجر في الحر الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر[١٨٦].

١٥- وقال الشافعي: ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم[١٨٧].

١٦- وقال سفيان الثوري: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية[١٨٨].

١٧- وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال: من

---

(١٨٣) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٢).
(١٨٤) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٦).
(١٨٥) «تذكرة السامع والمتكلم» (١٠).
(١٨٦) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦١).
(١٨٧) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٩).
(١٨٨) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٩).

أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، وقال: من لا يحب العلم فلا خير فيه فلا يكون بينك وبينه معرفة ولا صداقة، وقال: إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي، وقال: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[١٨٩].

والنصوص في هذا الباب كثيرة كلها تحث وترغب في التوجه لطلب العلم النافع ونشره وتبليغه للناس.



(١٨٩) «المجموع شرح المهذب» (١/ ٤٣).

الهدف الرابع: المناجاة

تضمنت السنة عددًا من الأدعية والأذكار التي يناجي بها العبد ربه، وهي ألفاظ عظيمة حملت معاني جليلة، من حفظها وذكر الله بها أو دعا بها عظمت منزلته وارتفعت مكانته وقضيت حاجته وصار من أولياء الله المتقين الذين ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

ومن المناجاة بالسنة أن تتذكر وأنت تكتب السنة أو تحفظها أن الله يراك ويسمعك ويبارك عملك ويحب ذلك منك، وأنه يمدحك ويعطيك فاجتهد في قراءة السنة، وكن سخيًّا في بذل الوقت والجهد في حفظها والعمل بها ونشرها بين الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلًا فإنك بأعلى المراتب وأفضل المنازل.



الهدف الخامس: الشفاء

إن العيش مع السنة يحول حياتك إلى روضة من رياض الجنة تحس خلالها بالرضى والطمأنينة والسكينة، وتحس بوضوح الرؤية لأمور الحياة فتنجو من جحيم التردد والتذبذب والشك وتسلم من الانحراف عن الصراط المستقيم.

والشفاء بالسنة نوعان: شفاء علمي معنوي نفسي، وشفاء حسي بدني، وتحصيل هذين الشفاءين يكون بأمرين:

الأول: بتدبر السنة على أسس صحيحة.

الثاني: الدعاء بالسنة أو الرقية بها.

أما الأول: فهو موضوع الكتاب، ومن أهم المفاتيح العملية المحققة للشفاء بالسنة المفتاح السادس وهو الحفظ التربوي للسنة، وبدونه فإن الشفاء بالسنة يكون محدودًا وأثره ضعيفًا.

وأما الثاني وهو الدعاء بالسنة والرقية بها فقد جاء بيانه في عدد من الأحاديث وهي معروفة معلومة منها:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[(١٩٠)].

٢- وعن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله وجعًا يجده

---

(١٩٠) «صحيح البخاري» (٥/ ٢١٦٨).

في جسده منذ أسلم، فقال: له رسول الله ﷺ: **«ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»**(١٩١).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: **«إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»**(١٩٢).

وغيرها من الرقى النبوية التي يوقن المسلم بأثرها العظيم في تحقيق الشفاء ودفع البلاء، كما يؤمن بقضاء الله وتدبيره وبحكمته وعلمه إن تأخر الشفاء وأن ما قضاه الله وقدره لعبده هو خير له على كل حال.

والأمثلة والنماذج على حصول الشفاء بالسنة - على مر العصور - لا حصر لها وإنما أذكر هنا أربعة نماذج في الشفاء العلمي من أجل التوضيح وتأكيد هذا المعنى وتقريبه للنفوس:

۞ المثال الأول:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: **«يا أبا أمامة ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة»**؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: **«أفلا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟»**. قال: بلى يا رسول الله، قال: **«قل إذا أصبحت، وإذا أمست: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة**

---

(١٩١) «صحيح مسلم» (٤ / ١٧٢٨).
(١٩٢) «صحيح البخاري» (٣/ ١٢٣٣).

الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني(١٩٣).

۞ المثال الثاني:

عن أبي سلمة ﵁ قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: **«الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره»**(١٩٤).

۞ المثال الثالث:

قال عبد الله بن وهب صاحب مالك: وكان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم فولع مني الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم كيف خلقه الله ﷻ ونحو هذا، فشكوت إلى الشيخ فقال لي: ابن وهب؟ قلت: نعم، قال: اطلب العلم فكان سبب طلبي العلم(١٩٥).

۞ المثال الرابع:

وكانت بعض الصالحات يضيق صدرها وتحزن كلما جاءها الحيض أسفًا على فوات الأعمال الصالحة التي كانت تواظب عليها وخاصة في رمضان فلما سمعت بقول النبي ﷺ: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**(١٩٦) علمت أنه يكتب لها ثواب نيتها الصادقة

---

(١٩٣) «سنن أبي داود» (١/ ٤٨٤).

(١٩٤) «صحيح البخاري» (٦/ ٢٥٨٢)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٧١).

(١٩٥) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٨٣).

(١٩٦) «صحيح البخاري» (٣/ ١٠٩٢).

حال العذر. ففرحت بذلك وزال عنها ضيق الصدر والهم، وسكنت نفسها واطمأن قلبها إلى رحمة الله تعالى وسعة فضله.



الهدف السادس: الإعلام والدعوة

هذا الهدف من أهم المقاصد التي ينبغي للمسلم أن يحمل همها وأن يحرص على تحقيقها فيمن حوله، فيحصل التواصي بين الجميع باتباع السنة والعمل بها لتصلح النفوس وتحيا القلوب فتصلح الأحوال وتصفو الحياة.

لقد حرص النبي ﷺ على غرس هذا المعنى في النفوس وأكد عليه في كل مناسبة، فمن ذلك قوله ﷺ: **«نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»**(١٩٧).

ومن ذلك قوله ﷺ: **«ليبلغ الشاهد الغائب؛ فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه»**(١٩٨).

وأيضًا فإن كل نص من القرآن والسنة جاء فيه ذكر الدعوة والتبليغ والوعظ والبيان فإنه يشمل أقوال النبي ﷺ وأحواله في جميع أمور الحياة.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي التنبيه عليها في هذا المقام أن يكون تبليغ السنة مسندًا إلى النبي ﷺ معزوًّا إليه قدر الاستطاعة؛ لأن هذا أبلغ في التأثير وأقوى في الحجة، فهنالك فرق كبير بين أن تقول: لا تشرب بشمالك، أو أن تقول له: هل سمعت بقول النبي ﷺ... فقط خبرًا لا

---

(١٩٧) «سنن أبي داود» (٢/ ٣٤٦)، «سنن الترمذي» (٥/ ٣٣)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٤).

(١٩٨) «صحيح البخاري» (١/ ٣٧، ٥١)، «صحيح مسلم» (٢/ ٢٨٧)، (٣/ ١٣٠٥).

أمرًا ولا زجرًا، فالناس بأمس الحاجة لأن يسمعوا كلام الله، وأن يسمعوا كلام رسول الله ﷺ وليس كلام فلان أو علان، فأنت بهذه الطريقة تجعله يسلم ويذعن احترامًا للنبي ﷺ؛ لأنك بهذه الطريقة أرسلت له رسالة خفية مفادها أن الذي يريد ذلك منك، هو الله تعالى ورسوله ﷺ وليس أنت فيفهم قصدك ومرادك، وأنها ليست مسألة شخصية أو انتقاص له.

فكلما وجد في الأمة حفظ السنة ووجد إذاعتها ونشرها بين الناس في كل موقف يحتاج إليها فيه فإن هذا من أقوى الأسباب في الإصلاح والتغيير، فما وجدت النقائص وكثر التفريط والتقصير إلا لما غابت السنة عن واقع الحياة، وإلا لو ملئت مجالسنا وملتقياتنا ومساجدنا ومدارسنا بنصوص القرآن والسنة وبآلية تامة؛ لكان لواقعنا شأن آخر غير الذي نعيشه اليوم.



المفتاح الثالث: التركيز

كان المفتاح الثالث بالنسبة لقراءة القرآن هو قراءته في صلاة، والقرآن هو الكلام الوحيد الذي يشرع له هذا الحكم وما عداه من الكلام فلم تشرع قراءته في صلاة، إلا أنه يمكن الاستفادة من تقنيات التركيز التي تحققها القراءة في صلاة، ومنها:

۞ ١- تركيز القلب:

أي تركيز التفكير على الهدف الذي تريد وهو فهم نصوص السنة واستحضارها بعمق، بمعنى أن تكون واعيًا لما تقرأ؟ فتتذكر أنك تقرأ كلامًا مقدسًا محترمًا ملزمًا بفقهه والعمل بما فيه فتكون في كامل وعيك حين القراءة.

۞ ٢- تركيز العين:

أي تثبيت النظر إلى الكتاب الذي تقرأ فيه، وإن كنت تقرأ حفظًا فتركيز العين على نقطة معينة أو تغميض العينين ليكون أقوى في التركيز.

۞ ٣- تركيز اللسان:

بمعنى أن تمنع نفسك عن الكلام بغير السنة أثناء القراءة إلى أن ينتهي الوقت المخصص لها، فلا تسمح لأحد أن يقاطعك ولا تجيب سائلًا ولا تتدخل فيما حولك.

۞ ٤- تركيز الوجه:

أي تثبيته إلى جهة محددة وفي هذا إعانة على التركيز على ما يقرأ.

۞ ٥- تركيز اليدين:

أي كفهما عن الحركة فلا تسمح لنفسك أن تتحرك بأي حركة خارج ما أنت فيه من قراءة السنة فلا تجيب ولا تفتح درجًا أو بابًا إلا ما دعت الحاجة إليه.

۞ ٦- الوقوف:

من المعلوم العلاقة بين القوة البدنية والقوة الذهنية للإنسان يدل على ذلك ما جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا: أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه فقال رجل: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه وكان أبو ذر قائمًا فجلس ثم اضطجع فقيل له يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(١٩٩).

فالمقصود إضعاف القوة الذهنية حتى يزول المؤثر، ومن مفهوم المقابلة لهذا الحديث إن الجلوس أعون على الفهم من الاضطجاع، والوقوف أعون من الجلوس.

فهذه ستة أمور تفيد في تحقيق مستوى أعلى من التركيز وبالتالي الفقه والفهم فتطبيقها مع بقية المفاتيح الأخرى يساعد جدًّا على تدبر السنة والغوص في معانيها والوقوف على أسرارها وخفاياها.



---

(١٩٩) «مسند أحمد» (٥/ ١٥٢)، «سنن أبي داود» (٢/ ٦٦٤).

المفتاح الرابع: أن تكون القراءة في ليل

لأن الأصل في الليل أن يكون وقت الهدوء والصفاء، وخاصة حين يطول، وعبارات السلف تؤكد على أن الليل هو أولى الأوقات لما يراد حفظه أو فقهه من العلم.

١- قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: الظلمة أضوء للقلب(٢٠٠).

٢- وسأل رجل أبا حنيفة عما يورث الحفظ فقال: البزر البزر(٢٠١).

٣- وقال الخطيب البغدادي: واعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها... فأجود الأوقات: الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار، قيل لبعضهم: بم أدركت العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح، وقال آخر: بالسفر والسهر والبكور في السحر(٢٠٢).

٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا أصلي، وثلثًا أنام، وثلثًا أذكر فيه حديث رسول الله ﷺ، وروي مثله عن عمرو ابن دينار وسفيان الثوري(٢٠٣).

٥- وقال المنذر لابنه النعمان: يا بني، أحب لك النظر في الأدب

---

(٢٠٠) «الحث على طلب العلم» للعسكري (٧٣).

(٢٠١) «الحث على طلب العلم» للعسكري (٧٣) والبزر: هو دهن يستخرج من البذور.

(٢٠٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٧).

(٢٠٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٤).

بالليل فإن القلب بالنهار طائر، وبالليل ساكن، فكلما أوعيت فيه شيئًا عقله(٢٠٤).

٦- وقال أحمد بن الفرات: لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه إلا كثرة النظر، وحفظ الليل غالب على حفظ النهار، وقال: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: إذا هممت أن تحفظ شيئًا فنم وقم عند السحر فأسرج، وانظر فيه فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله(٢٠٥).

ولأن آخر الليل يفترض فيه أن الجسم يكون في حالة النشاط وذروة القوة وهذا يساعد جدًّا على الصفاء والتركيز ومن ثم سرعة الحفظ والفهم، أما إذا حولنا أول الليل إلى لهو ولعب وآخره إلى إعياء وتعب فمتى سنربي أنفسنا ونطور قدراتنا الذهنية ونزيد حصيلتنا العلمية التي يتوقف عليها نجاحنا في الدنيا والآخرة.



---

(٢٠٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٥).
(٢٠٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٥).

المفتاح الخامس: التكرار الأسبوعي

وهو الطريقة التي يمكن بها حفظ السنة لفظًا ومعنى بسهولة وإنسيابية دون تسويف أو استعجال بل أدومه وإن قل، بمعنى أن يكون لك حزب يومي تحافظ عليه بحيث تختم ما تحفظه كل أسبوع، بمعنى أن تقسم ما يتم حفظه من السنة إلى سبعة أقسام في كل ليلة قسم فتختمه كل أسبوع، وكلما زاد الحفظ أعدت التقسيم ليتناسب مع المقدار الجديد.

كما يمكن أن يكون التحزيب على أسبوعين أو شهر، لكن اعلم أنه كلما طالت مدة الدورة كلما ضعف أثره التربوي واختل الحفظ وأنت الحكم.

والبداية تكون بسبعة أحاديث بحيث يكون لكل يوم حديث ابتداء من يوم الجمعة، ثم تكون الزيادة بالطريقة نفسها التي وصفتها في الحفظ التربوي للقرآن.

هذا المفتاح وظيفته تثبيت حفظ الألفاظ وحفظ المعاني، **وهو يقوم على أسس منها:**

١- الأناة وعدم الاستعجال ويتمثل ذلك بتقليل المقدار.

٢- مراعاة الفروق الفردية فكل شخص له طاقته وقدرته.

٣- المحافظة على الجهد والوقت.

٤- الحزم والمبادرة.

٥- ضبط المحفوظ مقدم على حفظ الجديد عند التعارض.

٦- الاستمرار وعدم التوقف.

٧- التركيز على القليل حتى الإتقان.

وهذه المعاني أكد عليها علماء الحديث قديمًا وطبقوها على أنفسهم وطلابهم وأقوالهم في هذا مشهورة من ذلك:

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس[٢٠٦].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه[٢٠٧].

٣- وعن عطاء قال: كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه[٢٠٨].

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا سمعتم مني حديثًا فتذاكروه بينكم[٢٠٩].

٥- وعن سعيد بن جبير أن ابن عباس رضي الله عنه كان يقول له: يا سعيد اخرج بنا إلى النخل ويقول: يا سعيد حدث، قلت: أحدث وأنت شاهد؟ قال: إن أخطأت فتحت عليك[٢١٠].

٦- عن علقمة قال: أطيلوا ذكر الحديث لا يدرس[٢١١].

٧- عن سفيان الثوري قال: اجعلوا الحديث حديث أنفسكم وفكر

---

(٢٠٦) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٦).
(٢٠٧) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٦).
(٢٠٨) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٧).
(٢٠٩) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٧).
(٢١٠) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٩).
(٢١١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣٨).

قلوبكم تحفظوه[٢١٢].

٨- وعن ابن خلاد قال: قيل: الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفاترك[٢١٣].

٩- وقيل للأصمعي: كيف حفظت ونسي أصحابك؟ قال: درست وتركوا[٢١٤].

١٠- وعن أبي حازم قال: كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال: اليوم يوم غنمي فيتعلم منه، وإذا لقي من هو مثله قال: اليوم يوم مذاكرتي فيذاكره، وإذا لقي من هو دونه علمه ولم يَزْهُ عليه، قال: حتى صار هذا الزمان فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره فهلك الناس عند ذلك[٢١٥].

١١- وقال جعفر الصادق: القلوب ترب والعلم غراسها والمذاكرة ماؤها فإذا انقطع عن الترب ماؤها جف غرسها[٢١٦].

١٢- وقال عبد الرحمن بن مهدي: إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار إذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصره[٢١٧].

---

(٢١٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٦).
(٢١٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٧).
(٢١٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٧).
(٢١٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٦).
(٢١٦) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٨).
(٢١٧) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٨).

١٣- وقال أبو هلال العسكري: وإذا كان ما جمعته من العلم قليلًا وكان حفظًا كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيرًا غير محفوظ قلت منفعته[(٢١٨)].

١٤- وقال الخليل بن أحمد: تعهد ما في صدرك أولى بك من تحفظ ما في كتبك[(٢١٩)].

١٥- وقال الخطيب البغدادي: ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويحكم حفظه ويتقنه[(٢٢٠)].

١٦- وقال ابن علية: وكنت أسمع من أيوب خمسة، ولو حدثني بأكثر من ذلك ما أردت.

١٧- وقال عبد الرحمن بن مهدي: قال سفيان: كنت آتي الأعمش ومنصورًا فأسمع أربعة أحاديث، خمسة ثم أنصرف كراهة أن تكثر وتفلت.

١٨- وقال شعبة: كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني ثم يقول أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما وأتقنهما.

١٩- وقال الزهري: من طلب العلم جملة فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان.

٢٠- وقال معمر: من طلب الحديث جملة ذهب عنه جملة وإنما كنا

(٢١٨) «الحث على طلب العلم» (٧٤).

(٢١٩) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٤)، «الحث على حفظ العلم» للعسكري (٧).

(٢٢٠) من رقم (١٥)، إلى رقم (٢٠) في «الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع» (١/ ٢٣١).

نطلب حديثًا وحديثين.

٢١- وقال الزهري: إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به[٢٢١].

٢٢- وقال الخطيب البغدادي: ينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر بل يأخذ قليلًا حسب ما يحتمله حفظه ويقرب من فهمه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقد روي أن حماد بن أبي سليمان قال لتلميذ له: تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد عليها شيئًا، واعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء وتعجز عن أشياء كالجسم الذي يحتمل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلًا، وكذلك منهم من يمشي فرسخًا في يوم لا يعجزه، ومنهم من يمشي بعض ميل فيضر ذلك به فكذلك القلب، من الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبهًا بغيره لحقه الملل وأدركه الضجر ونسي ما حفظ ولم ينتفع بما سمع، فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار يبقى فيه ما لا يستفرغ كل نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم من الذهن الجيد والمعلم الحاذق، ولا ينبغي له أن يزج نفسه فيما يستفرغ مجهوده، وليعلم أنه إن فعل ذلك في يوم ضعف ما يحتمل أضر به في العاقبة؛ لأنه إذا تعلم الكثير فإنه إذا عاد من غد وتعلم نسي ما كان تعلمه أولًا وثقلت عليه إعادته، وكان بمنزلة رجل حمل في يومه ما لا يطيقه فأثر ذلك في

(٢٢١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٣١).

جسمه، وكذلك إذا فعل في اليوم الثالث ويصيبه المرض وهو لا يشعر، ويدل على ما ذكرته أن الرجل يأكل الطعام ما يرى أنه يحتمله في يومه مما يزيد فيه على قدر عادته فيعقبه ذلك ضعفًا في معدته، فإذا أكل في اليوم الثاني قدر ما كان يأكله أعقبه لباقي الطعام المتقدم في معدته تخمة، فينبغي للمتعلم أن يشفق على نفسه من تحميلها فوق طاقتها ويقتصر من التعليم على ما يبقى عليه حفظه ويثبت في قلبه.

وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ﵄: «**ألم أخبر أنك تقوم من الليل وتصوم النهار؟ إنك إن فعلت ذلك هجمت عينك ونقهت نفسك: لعينك حق ولنفسك عليك حق فصم وأفطر وصل ونم**».

وينبغي أن يجعل لنفسه مقدارًا كلما بلغه وقف وقفته أيامًا لا يزيد تعلمًا فإن ذلك بمنزلة البنيان؛ ألا ترى أن من أراد أن يستجيد البناء بنى أذرعًا يسيرة ثم ترك حتى يستقر ثم يبني فوقه ولو بنى البناء كله في يوم واحد لم يكن بالذي يستجاد وربما انهدم بسرعة وإن بقي كان غير محكم(٢٢٢)، فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدًّا كلما انتهى إليه وقف عنده حتى يستقر ما في قلبه ويريح بتلك الوقفة نفسه اهـ(٢٢٣).

إن التكرار الأسبوعي المنظم من أنفع المفاتيح في البناء العلمي وتثبيت حفظ السنة لفظًا ومعنى، فالأحاديث التي تطبق عليها هذا المفتاح

(٢٢٢) هذه القاعدة من أنفع القواعد في حفظ العلم حفظًا متقنًا نافعًا، ومن التجارب المعاصرة في تطبيق هذه القاعدة ما حدثني به الزميل الدكتور إبراهيم الدوسري حيث ذكر أنه لما حفظ ثلثي القرآن توقف سنة كاملة عن الحفظ ليراجع ما حفظ ويثبته، فلما استقام له ذلك واصل المشوار إلى أن أتم حفظ القرآن كاملًا فانتفع به ونفع، فالاستعجال وعدم مراعاة الفروق الفردية من أكبر الأسباب في تساقط طلاب العلم واليأس من الحفظ ومن ثم الرضى بالجهل بقية الحياة.

(٢٢٣) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٥).

تجد أنها دخلت في أعماق حياتك وملأت عليك تفكيرك بأمور إيجابية بعد أن كان مرتعًا للأفكار السيئة ولوساوس شياطين الإنس والجن.

إن هذا أيسر علاج لمعظم الأمراض النفسية لمن قدر عليه وأحس بأهميته، بل هو وقاية منها قبل وقوعها فحينما يحرص عليها الإنسان في حال الرخاء أو الصحة والنشاط ينتفع بها حال الشدة أو المرض والفتور، وحينما نربي عليها أطفالنا منذ الصغر فإن ألفاظ السنة ومعانيها ترسخ في قلوبهم تنمو مع نمو أجسامهم وتقوى مع قوة عظامهم، تمدهم بالطاقة والنشاط مدى الحياة.

فما كثرت في مجتمعنا الأمراض النفسية، وكثرت الانحرافات الخلقية إلا حينما أهملنا هذا الغذاء النافع المفيد وشغلنا حياتنا باللهو سواء المباح منه أو المحرم.

إن تطور تقنيات الإعلام والمعلومات في عصرنا الحاضر بدل أن تكون نعمة نستغلها في الخير صارت وبالًا على الكثير من أفراد الأمة الإسلامية، حيث اتخمت بكم هائل من المعلومات تنزل بساحتها صباح مساء فانشغلت به عن العلم الذي فيه بناؤها وقوتها وتماسكها، مما أدى إلى ترهلها وإصابتها بأمراض معنوية كثيرة تمامًا كما حصل لها في أسلوب تغذيتها، حيث صارت المصانع تزج بآلاف الأطعمة التي طليت بكثير من المحسنات والمشهيات فنتج عنه إصابتها بأمراض في بدنها لم تكن معروفة من قبل.



المفتاح السادس: الحفظ(٢٢٤)

۞ المسألة الأولى: حفظ السنة أمنية كل مسلم :

حفظ السنة مطلب وأمنية لكل مسلم لا لذات الحفظ ولا ليقال: حافظ وإنما لأجل النجاة والنجاح في الحياة، لأجل أن تكون السنة حاضرة في القلب تسعفك بالجواب في كل خطوة تخطوها في حياتك كلما أصبحت أو أمسيت بحيث يكون العلم بالسنة حاضرًا على مدار الساعة في قلبك يسعفك باتخاذ القرار الصحيح، ويمدك بالجواب في كل نازلة، فمتى كان أفراد الأمة بمثل هذا الحضور وتلك القوة العلمية فلتبشر بالنصر والتمكين ورفع الذل والصغار عنها، أما إن كان لا هم لأفرادها إلا قراءة المجلات والجرائد ومتابعة القنوات والبرامج ومجالس الترفيه والتسلية فأنى لأمة هذا حالها أن تحقق نصرًا أو ترفع ذلًّا وصغارًا.

لقد كان السلف يحافظون على حزبهم من السنة كما يحافظون على حزبهم من القرآن، وكان الهدف من ذلك حياة القلب وصحة النفس والنجاح في الحياة.

---

(٢٢٤) تنبيه: كان الحفظ التربوي أحد مسائل هذا المفتاح لكن رأيت أن أفرده برسالة مستقلة؛ لأن تفصيل الكلام فيه خروج عن مضمون هذا المفتاح؛ ولأن الحفظ التربوي ليس خاصًا بالقرآن والسنة بل هو أداة يمكن تطبيقها على مجالات تربوية متعددة من ذلك تعلم اللغات، وحفظ المتون العلمية من منظوم ومنثور، وكذلك في الإدارة والاقتصاد، علمًا بأن خلاصة الجانب العملي منه هو المذكور في مفاتح تدبر القرآن، ومضمون بقية الرسالة في بيان أهميته وشدة الحاجة إليه،وقواعده وتطبيقاته.

۞ المسألة الثانية: حفظ السنة وتطوير الذات

إنه بقدر ما تحفظ من سنة النبي ﷺ بقدر ما يحصل في حياتك من تغيير وتطوير فابدأ الرحلة من الآن، احفظ الحديث الأول ثم الثاني ثم الثالث... وبعد مدة راقب كيف تؤثر في حياتك كيف يتغير تفكيرك ومنطقك وكلامك كيف يدخل النور والهدى إلى قلبك، إن الإحساس بهذا الشعور سيدفعك إلى الانطلاق في الحفظ والنشاط فيه لكن عليك بالتأني واستحضار أهداف قراءة وحفظ السنة وقواعد الحفظ التربوي ليكون سيرك متزنًا وخطواتك ثابتة ونتائج عملك سريعة.

إن حفظ السنة هو المنهج والطريق الصحيح لتغيير الإنسان وتطويره على أسس قوية، وقواعد راسخة لا تهزها الصعاب ولا توهنها الشدائد ولكن أكثر الناس عنها غافلون.

۞ المسألة الثالثة: مشروع (حفظ وفقه السنة للجميع):

من أجل تيسير حفظ وفقه السنة وتقريبه لكل المسلمين مهما اختلفت أعمارهم أو تخصصاتهم أو اهتماماتهم فقد رسمت طريقًا يسلكه كل من أراد الدخول في هذا المشروع العظيم من مشاريع الحياة وسميته: **(مشروع حفظ وفقه السنة للجميع)**، وهذا عنوان لكتاب مستقل للتعريف بهذا المشروع وبيان أهدافه وأسسه وفروعه، والجانب الذي يخص حفظ السنة يتمثل في (معجم السنة التربوي)، والذي يستطيع الجميع ابتداء السير فيه ثم بعد ذلك تتفاوت الهمم والقدرات، فكل يصل فيه إلى ما تيسر له وهو ينوي السير حتى النهاية فإن أمكنه ذلك فالحمد لله على منته وفضله، وإلا فهو مأجور على نيته الصادقة وله من الأجر والثواب مثل أجر من وصل الغاية وبلغ النهاية حتى وإن كانت هذه النية لم تأت إلا في سنوات العمر الأخيرة؛ ففضل الله ﷻ عظيم ورحمته واسعة.

المفتاح السابع
تكرار قراءة الحديث

فلا تكفي القراءة السريعة للحديث بل قف عنده وتأمل ما وراء الألفاظ من المعاني العظيمة التي تحول حياتك إلى جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة، فكم يشقى الإنسان ويتنكد سنوات من عمره ثم يجيء حديث واحد فقط لينتشله من الهم والقلق والضيق الذي هو فيه وعندها يقول ما أجهلني إذ فرطت في هذا الكنز الذي في متناول يدي.

كرر قراءة الحديث ومتع جميع حواسك بقراءته، قلبه على جميع الوجوه لتكتشف ما فيه من جواهر ونفائس.

وإن مما يساعدك على تطبيق هذا المفتاح فهمك واستيعابك للمفاتيح الأخرى وخاصة المفتاح الخامس الذي يضبط السير في قراءة السنة وحفظها، أما حين يضيع منك هذا المفتاح فستكون قراءتك للسنة تمر بشيء من العجلة والرغبة في الانتهاء مما لا تحس معه بالمتعة والرغبة في تكرار الحديث.



المفتاح الثامن
ربط الألفاظ بالمعاني وربطها بالواقع

الألفاظ هي الشيء المادي المحسوس الذي يمكن أن نشاهده، أن نسمعه وهو الحبل الذي نربط به المعاني لكي تثبت وتستقر، واعلم أن كل لفظ يختلف عن الآخر في المعاني التي يحتويها ويتضمنها، وكذلك يتفاوت الأشخاص في عدد المعاني التي يفهمونها من اللفظ الواحد، وأيضًا يتفاوت الشخص نفسه من وقت لآخر في مقدار عمق فهمه للفظ من الألفاظ فيفتح له في وقت ويغلق عنه في وقت آخر، ولا وسيلة لعلاج مثل هذه الحالات والصور إلا الربط، وهو يحصل بالتكرار الأسبوعي والتكرار الآني مع تطبيق المفاتيح الأخرى التي تسهم في التنقيب عن المعاني داخل الألفاظ فتستخرجها، وعليك أن تقوم بحفظ ما تستخرجه منها سواء كان هذا الاستخراج محض هداية من الله وفتح منه أو تكون سمعت به من عالم أو قرأته في كتاب، عليك بصيد المعاني واقتناصها بواسطة الألفاظ وحبسها فيها لئلا تطير.

وهنا سؤال: هل نحن نعي ونفقه ألفاظ السنة كما وعاها النبي ﷺ أو وعاها الصحابة ﷺ؟ لو كنا كذلك فكيف تكون حالنا؟

إن المصطلحات تتبدل، والأحوال تتغير، والمسميات تختلف بشكل سريع ولابد من ملاحقة هذا التسارع وأن نبين لكل ما نصادفه في الحياة موقعه من السنة وأن يكون الربط بين المصطلحات المستجدة وألفاظ السنة ربطًا صحيحًا دقيقًا لا يحرف الحقائق ولا يبدل المعاني.

المفتاح التاسع: الترتيب

إن كلامًا بهذه العظمة وبتلك الأهمية لا يمكن أن نعامله كغيره من الكلام فنطبق عليها مبادئ القراءة السريعة أو القراءة التصويرية أو غيرها من موديلات وموضات القراءة التي غزت قاعات التطوير وبناء الذات، بل ينبغي أن نطبق عليه قواعد القراءة التربوية والتي من أهم مفاتيحها الترتيل ويراد به التمهل والتأني، كمن يسير في منطقة ذات طبيعة خلابة مليئة بالمناظر والثمار وبالجواهر والكنوز المباحة لمن مر بها يأخذ منها ما شاء ويقطف منها ما تشتهيه نفسه وتلذ به عينه، فهل ترى من يسير في أرض هذا شأنها يسير بسرعة عالية أو أنه يتمهل في السير وربما يقف بل ويطيل الوقوف في كل نقطة منها ليستمتع غاية الاستمتاع ويستثمر غاية الاستثمار.



المفتاح العاشر: الجهر والتغني

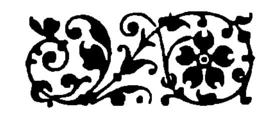
وهذا المفتاح هو أشبه بالحلاوة التي توضع في أدوية الأطفال لتذهب مرارة الدواء، وأشبه بالحداء للإبل لتنشط في السير، فالتغني بالكلام مع الجهر ومحاولة التطريب يساعد على مواصلة السير وإيصال المعاني للقلوب، وهذا أمر مشاهد في واقع الناس في كل كلام يستحسنونه ويتلذذون به وللناس في هذا فنون وفنون بل لهم فيه علوم وفهوم، فأهل اللهو والطرب، وأهل الأوراد والموالات، والأناشيد، كل هؤلاء يسعون للفت الأنظار لكلامهم وتوصيله إلى قلوب المستمعين له بهذه الطرق وتلك الوسائل، وليس في الدنيا كلام يستحق مثل هذه الرعاية وتلك العناية سوى كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فهو الكلام الذي لا يليق بعاقل أن يتغنى بغيره ولا أن يمتع نفسه بسواه على أن يكون في ذلك متبعًا لا مبتدعًا فيكون تغنيه حسبما ورد عمن أمره بالتغني والجهر به كما تناقله المسلمون جيلًا عن جيل وحفظه القراء لنا تامًّا مضبوطًا بحركاته وسكناته هذا في حق القرآن، ويمكن التغني بقراءة السنة بطريقة خاصة بها لا لاعتقاد مشروعيته كما هو في حق القرآن إنما لإعانة النفس على قراءة السنة وطول الوقوف مع أحاديثها والتأمل في معانيها.

والجهر والتغني يساعد جدًّا على قوة التركيز وبالتالي قوة الحفظ وسرعة الفهم، قال أبو هلال العسكري: وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه... وقال: وحكي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه:

إذا درستم فارفعوا أصواتكم فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم[(٢٢٥)].

وعن الزبير بن بكار قال: دخل علي أبي وأنا أروي في دفتر ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي، فقال لي: إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك وما أدى سمعك إلى قلبك[(٢٢٦)].

يرى بعضهم أن القراءة الصامتة للفهم، والقراءة الجهرية للحفظ فقط، وهذا صحيح إذا أريد فهم الفكرة الإجمالية الاستكشافية للمقطع أو الكتاب، أما إذا أريد حفر الألفاظ والتنقيب عن المعاني وكانت الألفاظ المقروؤة مليئة بالمعاني العظيمة والصور الكثيرة وكان المراد تثبيت المعاني والصور في القلب فإن القراءة الصامتة حينئذ لا تكفي وأثرها محدود جدًّا، وقد بدأ عدد من المنظرين للقراءة السريعة بالتوجه إلى الجهر بالقراءة ويؤكدون على تتبع السطور بالإصبع أو بأداة.



(٢٢٥) «الحث على طلب العلم» (٧٢).

(٢٢٦) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٦٦).

الخاتمة

• أخي القارئ ها قد انتهيت من قراءة هذه الرسالة، فماذا فهمت؟ وماذا تنوي أن تفعل؟

• هل ستضع الكتاب في مكانه من مكتبك ثم تنسى ما فيه من العلم إلى الأبد؟ إن كان هذا قرارك فأعد النظر فيه.

• لست بهذا الكلام أدعو إلى تكرار قراءة كتابي أو كلامي، بل أدعو إلى تكرار قراءة ما تضمنه من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف في هذه القضية الكبرى في حياتنا.

• إن كان هذا قرارك فأنت تكرر معاناة الكثيرين الذين يقولون: نقرأ ولا نتغير ولا نترقى!

• إن القراءة المجردة العابرة لا تحقق تغييرًا ولا تأثيرًا.

• إن أردت الطريق للتغيير والتطوير فأسأل نفسك: كما سيبقى ما تعلمته من هذا الكتاب حاضرًا في قلبك يوم؟ شهر؟ سنة؟

• إنه بقدر حضور هذا العلم في قلبك بقدر ما تحصل من تقدم ورقي وأنت الحكم.

• نسأل الله بمنه وفضله أن يهدينا للصراط المستقيم، ويجعل مآلنا جنات النعيم، إنه قريب مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الحفظ التربوي للقرآن

وصناعة الإنسان

إعداد

د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحفظ التربوي

للقرآن وصناعة الإنسان

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

۞ أما بعد:

فهذه إيضاحات لمسألة تشتد حاجة الأمة إليها، وخاصة إذا أصيبت بالضعف واستذلها الأعداء، وابتليت بالأمراض، وعصفت بها الفتن.

إن إهمال العمل بهذه المسألة هو الباب الذي منه دخل النقص على الأمة، وهو الثغرة التي نفذ منها الكائدون إلى حصوننا بعد أن كانوا يكتفون بالمراقبة وتحين الفرص.

موضوع هذه المسألة هو الأداة التي بنيت به أول دولة للإسلام، وبها يمكن أن يبني المسلمون ما يريدون من الدول القوية في أي مكان في العالم إنه «الحفظ التربوي للقرآن الكريم» لست فيما أقول شاعرًا يسبح في بحر الأحلام، أو واعظًا يحلق في سماء الأماني، بل، بين يدي

العلم اليقين، والوعد المكين ممن خلق هذا العالم، ويدبر شؤونه صباح مساء سبحانه كل يوم هو في شأن، وهو وعد صريح لا يقبل التأويل ولا النقاش يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: الآية ٥٥].

والوعد ليس لأي أحد إنما فقط للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهل نظن أن ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥]. تأتي بالأماني والأحلام أو أن الطريق إليها هو الجد والعمل وهو متحقق بالحفظ التربوي للقرآن فهو الطريق السريع والقوي لتحصيل ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥]. وهو الثمن الذي من دفعه نال ما يريد من العزة والتمكين على مستوى الفرد والمجتمع.

ومن أجل توضيح هذه المسألة وضعت بين يديك أخي المسلم - أينما كنت - هذه الأوراق والتي سميتها: «الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان».

هذا الكتاب يعتبر امتدادًا لكتاب مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة فهو حلقة في هذه السلسلة التي تبين وتوضح لكل مسلم ومسلمة كيفية تحقيق النجاح الشامل في الحياة الدنيا وفي الآخرة من طريق القرآن والسنة، الذي قل السالكون له في هذا الزمان حين حصل من بعض الناس الانبهار بالحلول المستوردة، وتهيب آخرون هذا الطريق تعظيمًا واحترامًا للقرآن خشية الخطأ وذلك بسبب القصور في معرفة الطريق وكيفية السير فيه.

أسأل الله الرحمن الرحيم، أن يهدينا الصراط المستقيم، ويوفقنا لبيان الحق، إنه سميع مجيب، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

د. خالد بن عبد الكريم اللاحم

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بريد إلكتروني/ lahim@Quranlife.com



المبحث الأول

مفهوم الحفظ التربوي

۞ المسألة الأولى: تعريف الحفظ التربوي للقرآن:

الحفظ التربوي للقرآن: هو الحفظ المتقن لألفاظ القرآن الكريم وحفظ معانيه بقوة تيسر استدعاءه عند كل أمر من أمور الحياة بحيث يبقي حاضرًا حيًّا في القلب على مدار الساعة مما يضمن تطبيقه والعمل به.

شرح التعريف:

تضمن التعريف أركان الحفظ التربوي الثلاثة وهي:

١- حفظ الألفاظ.

٢- حفظ المعاني.

٣- حفظ العمل.

أما الركن الأول: فالأداة التي تحققه هي الحفظ الأسبوعي وسيأتي تفصيله في المبحث الثالث.

وأما الركن الثاني: فالأداة التي تحققه هي مفاتح تدبر القرآن وتم بيانها وتوضيحها في كتاب مستقل مطبوع.

وأما الركن الثالث: فهو الهدف والغاية من إنزال هذا الكتاب العظيم، وكان بيانه في المبحث الخامس.

إن من يتربى على الحفظ التربوي بهذه الأركان الثلاثة يتحقق فيه ما وصف الله تعالى في كتابه المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥].

وأي نقص في حصول ما جاء ذكره في هذه الآية فسببه قصور في تطبيق هذه الأركان الثلاثة.

۞ المسألة الثانية: محترزات التعريف:

بناء على المقياس المرسوم في تعريف وتحديد الحفظ التربوي فهناك عدد من الصور الموجودة في واقع المشتغلين بالتربية والتعليم بالقرآن الكريم لا تنطبق عليها مقاييسه وبيان ذلك كما يلي:

قولنا: «الحفظ المتقن لألفاظ القرآن الكريم» يخرج الحفظ الضعيف للفظ، ومقياس الحفظ الضعيف: أنه كل حفظ يرى صاحبه عندما يطلب منه التسميع أنه بحاجة إلى مراجعة، أو هو كل حفظ لا يوجد عند صاحبه الاستعداد الفوري المستمر للتسميع في أي لحظة يطلب منه ذلك.

وقولنا: «حفظ معاينة» يخرج الاقتصار على حفظ اللفظ حتى لو كان متقنًا فكل حافظ متقن لألفاظ القرآن وحروفه لا يطبق مفاتح تدبر القرآن كاملة فهو عن الحفظ التربوي بمعزل مهما كانت قوة حفظه ودقة ضبطه لألفاظ القرآن الكريم، ويمكن أن يسمى هذا النوع من الحفظ بـ«الحفظ اللفظي للقرآن» لأنه اقتصر على حفظ اللفظ وأهمل حفظ المعنى وحفظ

العمل.

وقولنا: «بقوة تيسر استدعاءه...» يخرج الاقتصار على حفظ ألفاظ القرآن وحفظ معانيه دون سعي حثيث لربطها بالواقع وتكرار للتدريب والتمرين حتى يتم الاقتران القوي بين العلم والعمل فيحصل المقصود من إنزال القرآن والأمر بتلاوته وحفظه.

أنبه إلى أن التعريف لم يشترط الحفظ الكامل للقرآن بل يمكن تطبيق أركان الحفظ التربوي وأدواته على أي قدر من القرآن الكريم.



المبحث الثاني

صناعة الإنسان

۞ المسألة الأولى: تعريف صناعة الإنسان:

صناعة الإنسان تعني صناعة قلبه ونفسه وروحه صناعة محكمة متكاملة هي التزكية العلمية للنفس، أي بناء النفس بالتدريج حتى ينضج الإنسان ويستوي على سوقه.

ومصطلح صناعة الإنسان ورد في القرآن الكريم في قول الله تعالى ممتنًا على نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: الآية ٣٩]. فقد تولى الله سبحانه وتعالى صناعة أنبيائه وأدبهم فأحسن تأديبهم، هيأ لهم الفرص ويسر لهم الأسباب التي تسهم في تكوينهم وإعدادهم لحمل رسالاته.

وصناعة الإنسان لها أركان وهي المرتكزات أو الأسس التي تتحكم في بنائه وتشكيله وهي أركان النجاح الأربعة التي بينها الله تعالى أتم بيان في سورة العصر، فأركان صناعة الإنسان الفردية والجماعية أربعة:

الأول: الإيمان.

الثاني: العمل الصالح.

الثالث: التواصي بالحق.

الرابع: التواصي بالصبر.

وصناعة الإنسان أيضًا لها مواصفات ومقاييس جاء بيانها بكل دقة وتفصيل في القرآن والسنة.

وقد كتبت مبحثًا في كل من: أركان صناعة الإنسان، ومواصفاتها، في كتاب القرآن والنجاح.

۞ المسألة الثانية: منهج صناعة الإنسان:

في المسألة السابقة أوضحت تعريف صناعة الإنسان وأنها تستهدف نفسه وروحه، وعلى هذا فإن منهج صناعة الإنسان يجب أن يسير في هذا الخط ويركز عليه، فصناعة الإنسان لها جهتان:

الأولى: الأفكار والمعتقدات والقناعات.

الثانية: المهارات والعادات والسلوك.

والثانية متوقفة على الأولى ومبنية عليها، فصناعة الإنسان إذًا تتوقف على مقدار القناعات والمعتقدات والأفكار التي يمكن غرسها في نفس الإنسان بحيث تشكل حياته.

وعند التأمل والنظر نجد أن الذي يؤثر في صناعة الإنسان ويؤثر على تفكيره، ويغير آراءه ويبدل معتقداته وبالتالي سلوكه وأخلاقه وتصرفاته فيرسم بذلك شخصيته ومنهجه في الحياة ثلاثة أمور:

الأول: الكلام أو اللغة «ويدخل في هذا جميع الوسائل الناقلة والموصلة للكلام صوتًا أو صورة».

الثاني: النظر والتفكر في الكون والحياة ويدخل فيه النظر إلى: القدوات والنماذج والأمثلة الماضية أو الحاضرة والتأثر بهم.

الثالث: الأحداث والمواقف والفرص «وهذه لا اختيار للإنسان فيها بل هي أقدار تساق إليه إن خيرًا أو شرًّا ثم تختلف النتيجة باختلاف التعامل معها».

هذه مصادر صناعة الإنسان في الحياة وبحسب ما يتوفر له منها تتشكل شخصيته.

وعند الموازنة بينها نجد أن الأمر الأول هو أقواها وأشملها وأدومها وأعمقها أثرًا في معظم الأحوال والأوقات، وهذا عام في كل أمور الحياة في كل تخصصاتها ومتطلباتها وفي مقدمة ذلك يأتي البناء الداخلي للإنسان إذ هو المنطلق والأساس لأي أمر آخر يراد من هذا الإنسان.

وأيضًا فإن الأمرين الآخرين يمكن بسهولة ترجمة وتحويل مضمونهما بواسطة الأمر الأول بكل دقة وبكافة التفصيلات والمشاعر والأحاسيس والمؤثرات، فأي حدث مؤثر أو موقف معبر أو نموذج فذ فريد يمكن ترجمته بواسطة الكلمات، فالله أعطى الإنسان لغة يترجم بها كل ما يريد ويحفظه لنفسه أو ينقله إلى الآخرين.

إن الكلام أو اللغة الحية تتحكم في مشاعر الإنسان وتديرها إلى أي جهة تراد، ألم تر أن إنسانًا يستمع لمتكلم فيبكي وآخر يستمع لمتكلم فيضحك وثالث يتحمس وينشط وكله كلام لكنه كلام يختزن في حروفه آلاف الصور والمشاعر التي يتم نقلها عبر الأذن استماعًا أو العين قراءة، وهذا التأثير هو الذي يمارسه الخطباء، وتمارسه أجهزة الإعلام.

إننا نرى في الواقع الأثر القوي الذي يحدثه المعلم أو الخطيب أو المحامي أو المستشار، فما الذي يفعله هؤلاء؟ وكيف يحدثون هذا

الأثر؟ إنها الثروة اللغوية الحية التي تعبر عما في النفس وتصف الواقع بكل دقة وتجسده تجسيدًا عميقًا وتقف على أبعاد وخفايا الموضوع المطروح، تجد خطيبًا يقف فيهز الجماهير ويلهب المشاعر والأحاسيس ويغير آراءها ومعتقداتها، بينهما يقف خطيب آخر فلا يستطيع الوصول إلى ما وصل إليه الأول، ما الفرق ولماذا؟[١] الفرق في الروح التي تسري من المتكلم إلى المستمع فتبعث في كلماته الحياة، ومن أجل ذلك كانت قراءة النبي ﷺ للقرآن تحدث الأثر العظيم حتى في نفوس الكفار مما يجبرهم على الاعتراف بهذا الأثر، ولهذا السبب فإن الناس يختلف تأثيرهم بالقرآن قراءة وتربية ووعظًا ورقية، فمنهم قوي التأثير ومنهم دون ذلك، ومرجع ذلك كله إلى مقدار حياة مفردات القرآن في نفس القارئ.

الصور في عصرنا الحاضر قد تطورت بشكل ملحوظ وواسع لكن تبقى الكلمات هي سيدة الموقف والمتفوقة في هذا التخصص ولك أن تقارن بين ثلاث لوحات إعلان:

الأولى: احتوت كلمات فقط، **والثانية**: صورًا فقط، **والثالثة**: كلمات وصور، أيها أقوى أثرًا؟ فيما أحسب أن الثالثة أقوى، ثم الأولى، ثم الثانية، وسر قوة الثالثة نابع من الكلمات، ولعل المتأمل في منهج

---

(١) يتردد في أوساط الدورات نظرية نقلها البعض من الغرب مفادها: أنه في كل اتصال فإن نسبة أثر الكلمات: سبعة بالمائة، ونبرة الصوت: ثمان وثلاثين بالمائة، ولغة الجسد: خمس وخمسين بالمائة. وهذا غير صحيح بل مدار الأمر على حياة الكلمات في نفس المتحدث، وحياة الكلمات هي التي تصنع نبرة الصوت وهي التي تصنع لغة الجسد، أما من يتكلف نبرة الصوت ولغة الجسد دون حياة الكلمات فلن يجد من الجمهور إنصاتا وقبولًا مهما فعل.

شركات الدعاية والإعلان يلاحظ باستمرار محاولتهم الربط بكلمة معينة لما يريدون من المستهلك تذكره والانتباه إليه.

الكلمات تفوق الصور في مهارة التصوير والتجسيد للمعاني الذهنية بمرات عديدة، فالإنسان الذي ربيت ملكة التصوير اللغوية لديه يفوق تصويره لما يسمع أي صورة مهما كانت بل إن خياله يتعداها بمراحل بدليل أنه حين يشاهد الصورة يرى أنها أقل مما تخيل(٢).

إذًا نحن أمام قضية تربوية كبرى والتي يمكن تسميتها بـ: «التربية بالنصوص».

ماذا نقصد بالنصوص؟

المقصود بها نصوص القرآن والسنة وما يتصل بها.

النصوص مكونة من كلمات وألفاظ، وهي الحروف المرئية أو المسموعة، وكل كلمة لها معنى أو أكثر، والمعنى هو كل ما يدل عليه اللفظ من أمور معهودة في الذهن.

ولنضرب مثالًا على تفاوت الناس حين سماعهم لكلمة معينة بسبب تاريخهم الذهني لها وسجلها العلمي لديهم:

مثل كلمة «مكة» يسمعها مجموعة من الأشخاص:

الأول: يعيش في أقصى الشرق أو الغرب ولأول مرة يسمع الكلمة ولا يعرف شيئًا عنها.

---

(٢) أما قولهم: الأمر ما ترى لا ما تسمع، فالسبب هو عجز المتكلم عن الوصف بسبب ضعفه اللغوي.

الثاني: مسلم يعيش في أحد البلاد الإسلامية وسمع أو قرأ عنها.

الثالث: يسكن في مكة منذ سنوات ويقرأ ما كتب عن تاريخها.

الرابع: شخص مسؤول عن تطوير مكة من كافة جوانبها وقرأ كل ما كتب عنها في الماضي والحاضر وهي مدار عمله اليومي ومحور اهتمامه صباح مساء.

فإن هؤلاء يختلفون عند سماعهم لهذه الكلمة وتختلف مشاعرهم وأحاسيسهم حينما يطلب من كل منهم أن يتذكر كل ما يعرفه عنها، ولو أمكن قراءة ما يدور في قلوبهم أثناء هذه التجربة لوجدنا اختلافًا كبيرًا.

وبالمثل كلمات:

الحمد/ لله / رب / العالمين / سبحان الله / الله أكبر.

فإنه من المحقق والمؤكد أن الذين تطرق أسماعهم هذه الكلمات يتفاوتون تفاوتًا كبيرًا في فهمها ووقعها في أنفسهم وتفاعل قلوبهم معها.

لماذا بعض الناس حين يسمع كلمة تولد عنده الرعب أو الحزن أو الفرح أو النشاط أو تصنع الابتسامة على شفتيه، بينما لا يحدث هذا الأثر عند آخر مجاور له في المجلس؟

لماذا بعض الناس يسمع آيات القرآن فتسري الكهرباء في جسمه ويحصل له التأثر العظيم ويبكي وآخر بجواره يسمع الآيات نفسها لا تحرك له ساكنًا؟

هذا هو السؤال الكبير الذي نبحث عن جوابه، ومتى وجدناه وفهمناه أمكننا بإذن الله تعالى فهم تركيبة الإنسان وتفسير سلوكه وبالتالي علاج

مشكلاته بل صناعته صناعة صحيحة.

العالم اليوم بأمس الحاجة إلى إتقان صناعة الإنسان، وأقرب طريق إلى تحقيق هذا الأمر هو الحفظ التربوي للقرآن والسنة، فهو الطريق إلى صناعة الإنسان وتشكيله وصياغته وتغييره.

إن الألفاظ يحصل لها تشويه أو تفريغ، فالتفريغ أن تفقد معناها فيسمعها السامع ولا تعني له أي شيء وأما التشوية فقد يكون بتغيير معناها والتلاعب بدلالاتها.

نجد النبي ﷺ حين وصف الخوارج ذكر اجتهادهم في الصيام والصلاة ولما جاء للأمر المهم الذي عليه مدار صناعة الإنسان وهو صناعة الكلمات أكد فشلهم فيه فقال: «**يَقرَءُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**» وفي لفظ: «**حناجرهم**»، أي قد اقتصروا على الحفظ اللفظي للقرآن دون الحفظ التربوي.

بعض الناس يقصر معنى «تعاهدوا هذا القرآن» على اللفظ دون المعنى، والصحيح العموم ولو كان مجال لقصره على أحدهما لكان قصره على المعنى أولى وأحرى.

اللفظ هو الجسر الموصل إلى المعنى، المعنى هو روح اللفظ وحياته فالنسبة بينهما كالنسبة بين جسد الإنسان وروحه.

ويقابل هؤلاء طائفة أخرى ترى أنه يمكن تحصيل المعاني دون حفظ الألفاظ وهو مفهوم قاصر كسابقه، والصحيح أنه لابد من الاثنين معًا مضافًا إليهما العمل.

إن إحياء النصوص يكون بحفظ ألفاظها وحفظ معانيها، فحفظ

الألفاظ دون حفظ المعاني الحية يجعل النصوص ميتة لا حراك فيها.

إنه بقدر رصيدك من الكلمات الحية وبقدر حياة كل منها يتحدد مستواك وتكون منزلتك، فمثلًا أحمد رصيده من المفردات الحية ألف كلمة، وخالد رصيده مئتان، فأحمد أفضل من خالد، وإذا أراد خالد أن يسبق أحمد ويكون أعلى منه فعليه أن يسعى حثيثًا في زيادة رصيد مفرداته اللغوية الحية وليعلم أن الأمر يحتاج إلى جد واجتهاد.

هل أستطيع أن أعرف رصيدي من المفردات اللغوية الحية؟ وكيف ذلك؟

نعم يمكنك ذلك والطريقة سهلة وهي أن تقوم بقراءة النصوص التي ترى أنها حية، فكل كلمة تحس لها نفسك عمقًا ووعيًا وإدراكًا يتعدى حدود الحروف ويجبرك على الوقوف عندها طويلًا فهي حية وإلا فلا.

هل يكفي إحياء الكلمة مرة واحدة؟

الجواب: ما قمت بإحيائه من الكلمات عليك المحافظة على حياته ليستمر عطاؤه، أما إن منعت عنه الطعام والشراب والحركة فسيموت بكل تأكيد.

إذًا باختصار الإنسان معجم لغوي وبقدر ما يحتوي هذا المعجم من مفردات حية تكون قيمته.

لقد حان الوقت أن تقف وتفتش وتقوم بجرد مخزونك اللغوي وتفقد محتوياته وتقييمها كم المفردات الموجودة فيه؟ وما نسبة حياة كل منها؟

إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.

العلم صيد والكتابة قيد   فقيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الورى طالقة

العلم هنا هو المعاني التي نحبسها ونقيدها داخل الألفاظ ونعبر عنها بالحروف التي تشاهدها العين وتسمعها الأذن.

كم نص تقرؤه أو تسمعه فتفهم منه عددًا من المعاني المؤثرة، ثم لا تلبث الأيام أن تمضي فتعود إلى ذلك النص فلا تفهم منه أي شيء مما سبق، فما الذي حدث؟

الذي حدث أن النص قد مات لخروج الروح منه، والروح هي المعنى، والمعنى شيء لا نراه ولا نلمسه إنما نصل إليه من خلال اللفظ حين تقترن به الروح، تمامًا مثل روح الإنسان لا يمكن أن نلمسها أو نراها لكن نتواصل معها من خلال الجسد، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: الآية ٢٤].

ما أعجب هذه الآية! وما أدق دلالتها على هذه المسألة التي نحن بصدد الحديث عنها!

ما هو الذي يحيينا؟

إنه كلمات القرآن الكريم، فالذي يحيينا هو هذه الكلمات هذه المفردات، لكن ليس بألفاظها وحروفها فحسب، بل هناك ما وراء الألفاظ وهو روحها أي المعاني التي تفيض بها، ولهذا فإن الله يحذر عباده من سلب الروح من تلك الألفاظ فيحول بين المرء وقلبه، اللفظ أمامه لكنه لا يحرك فيه ساكنًا بينما شخص آخر بجواره يسمع ذات الألفاظ فتسري القشعريرة في بدنه وتفيض عينه بالدمع.

إن روح الألفاظ بيد الله تعالى يرسلها متى شاء ويمسكها متى شاء بحكمته وتدبيره.

هل لتحصيل هذه الروح وهذه الحياة أسباب؟

الجواب: الطريق إلى تحصيل حياة النصوص هو الحفظ التربوي بأركانه الثلاثة.

ولا يفهم أحد مما سبق أني أدعو إلى تفكيك الجمل والتعامل مع الكلمات منفصلات؟ هذا غير صحيح، لكن بقدر قوة اللبنات التي تشكل البناء تكون قوية.

حياة الإنسان هو بحياة كلمات القرآن في نفسه فقد جعله الله روحًا ونورًا لروح الإنسان ونفسه كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

لنستغل حياتنا وأوقاتنا بإحياء آيات القرآن في نفوسنا بدل الاشتغال بما يستهلك الوقت ويقل نفعه من أطروحات الشرق والغرب.

احفظ فكل حافظ مؤمن، فالحفظ من أجل الإيمان، هذا هو مقصود الحفظ التربوي وهو المفهوم الصحيح الذي ينبغي أن نركز عليه فزيادة إيمانك يكون بزيادة مفردات القرآن الحية في نفسك.

وهل يحق لشخص بعد هذا البيان أن يقول: كيف أزيد إيماني؟ كيف أطور ذاتي؟ كيف أنجح في الحياة؟

إن الطريق واضح والكنوز مباحة ومتاحة فمن يسبق إليها ينتفع بها.

إن ما نتطلع إليه من التطوير الإداري والاقتصادي والاجتماعي

والعسكري مبني على صناعة الإنسان، وهي مبنية على صناعة اللغة والمفردات فهي الصناعة التي تنتج النماذج الإنسانية الراقية التي تعمل بكفاءة عالية وإبداع رفيع، وينتج لنا القادة والجنود الذين تنصر بهم الأمة، ويذل ويقهر بهم الأعداء.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

إن أول قوة نطالب بإعدادها هي القوة البشرية، فمتى توفرت هذه النوعية لأمة من الأمم كتب لها النصر والعزة والتمكين.

۞ المسألة الثالثة: العلاقة بين صناعة الإنسان والشيطان:

قال الله تعالى: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٣].

توضح هذه الآية العلاقة القوية بين صناعة الإنسان وبين الشيطان، فالله سبحانه وتعالى حين أهبط آدم إلى الأرض أهبط معه الشيطان وحكم بالعداوة والصراع بينهما، وعليه فإن أي محاولة من الإنسان للبناء والتغيير للأفضل والأعلى والأكمل فإن الشيطان يحاول بجهده الضعيف ردها ومنعها لأنه قد قطع على نفسه العهد بذلك.

ومدار الصراع بين الإنسان والشيطان هو الهدى الذي وعد الله تعالى من تمسك به أنه لا يضل ولا يشقى، فالقرآن الكريم هو محل النزاع والصراع بين الإنسان والشيطان، الإنسان يحاول التمسك به والشيطان يحاول صده عنه، لذلك تشتد عداوة الشيطان ويتضاعف جهده ونشاطه

حين يرى هذا الإنسان قد اتجه إلى القرآن؛ لأنه يعلم أنه إن أفلت منه في هذه الجبهة يكون قد انتصر عليه وتحصن من كيده وعداوته، وقد يحاول الشيطان في هذه الحالة أن يغريه بشتى أنواع النجاحات بمناهج وطرق وأساليب تحقق له ما يريد من أمنيات في هذه الحياة لكن من غير طريق القرآن، فإن تفطن الإنسان لهذه الحيلة سلم من كيده وشره، وإن لم يتفطن انتصر عليه الشيطان في هذا الميدان وصرفه عن القرآن ومضت حياته بعيدًا عن النجاح بالقرآن.

إن التربية بالقرآن سهلة ميسرة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: الآية ١٧].

وربما صعبت على البعض ابتلاء واختبارًا لتمحيص الصادق من الكاذب، ولعل البعض يجد سهولة في بعض الطرق وبعض المناهج فيظن النجاح فيها ويترك ما هو أعلى منها وأرفع، لكن من يتدبر آيات القرآن الكريم لا يخفى عليه هذا الأمر ولا يرده عن الاستمرار في السير إلى أن يحصل على ما يريد من النجاح والتفوق والقوة والتطوير.

۞ المسألة الرابعة: من يقوم بصناعة الإنسان والحياة؟

يرى البعض أن صناعة الإنسان بالقرآن لا يسمح بها إلا لمن تمكن من علوم الآلة ورزق نسبه عالية من العلم ومن عداه فلا يسمح له بذلك.

ويرى بعضهم أن تكون التربية من خلال كتب التربية وعلم النفس وكتب التطوير والتغيير المعاصرة وحجتهم في هذا أنهم غير مؤهلين للتربية بالقرآن والسنة وليس عندهم علم بذلك ويخشون الخطأ إن دخلوا هذا المجال؟

والسبب في مثل هذا الفهم هو النظرة الكلية الكمالية وأنه لا يدعو إلا من بلغ الكمال ولا يربى إلا من جمع العلم من أطرافه، وهذا الفهم غير صحيح فالنبي ﷺ يقول: «**بلغوا عني ولو آية**»، وكان كثير من الصحابة يأتون النبي ﷺ فيسمعون منه بضع آيات من القرآن وبعض الأحاديث ثم يأمرهم النبي ﷺ بالرجوع إلى أقوامهم وتعليمهم ما تعلموه، فلو كانت هذه النظرة صحيحة لكان المنهج أن يرسل النبي ﷺ إلى كل جهة رجل من الصحابة قد أتم حفظ القرآن وحفظ كل الأحاديث ويتميز بالذكاء ويعرف جواب كل مسألة وفتوى في كل شؤون الحياة.

لا يوجد أحد مهما كان يجمع كل العلم، فالأمر نسبي ولو أخذنا بهذا المفهوم لعطلنا التربية بالقرآن والسنة في الأسرة والمجتمع ومنعنا كثيرًا من الناس من التربية والإصلاح، ونتج عن هذا المفهوم إقصاء غير مقصود للقرآن والسنة عن التربية والتعليم المستمر كل هذا خوفًا من الخطأ.

الصحيح أن كل مسلم ومسلمة يمكنه المشاركة الفاعلة في صناعة الإنسان والحياة، حتى من كان أميًّا لا يقرآ ولا يكتب يستطيع أن يقوم بذلك من خلال ما يسمع من النصوص هنا أو هناك ويرزقه الله فقهها فيربي عليها أبناءه وكل من يصل إليه صوته.

ومما قد يكون سببًا في هذه المشكلة التربوية اعتبار بعضهم أن قول: (لا أدري) نقص وعيب، وهذه مشكلة أخرى يجب علاجها أولًا وتصحيح الاعتقاد فيها لتنحل المشكلة الأولى.

والمنهج في هذه المسألة يتلخص فيما يلي:

- ❑ أن التربية تكون بنصوص القرآن والسنة وما اتصل بهما.

❑ أن التربية تكون من خلال النصوص مباشرة.

❑ أنه يمكن وجود الفقه في نص دون آخر وفي مسألة دون أخرى.

❑ ألا يتكلم الإنسان فيما لا يعلم وأن يقول: (لا أدري) فهي الطريق إلى أن يدري، فمن كان هذا منهجه فإن الله تعالى يرزقه العلم بما لا يدري.

❑ الاجتهاد في تطبيق مفاتح تدبر القرآن والسنة يحقق الإثراء العلمي مع الزمن ويتيح الفرص الكثيرة المتكررة للتربية بالقرآن والسنة.

۞ المسألة الخامسة: صناعة الإنسان بين الحفظ والفهم:

إن الحفظ يواجه في هذه الأيام هجمة شرسة يتزعمها أعداء الإسلام وانخدع بها عدد من أبنائه ممن تتلمذوا في مدارسهم.

إنه لا سبيل لقوة الأمة دون حفظ، لكنه ليس أي حفظ بل الحفظ التربوي.

إن أي مقلل لشأن الحفظ لو تأمل في ذات نفسه لوجد أنه لا يمكنه أن يعيش ولا أن ينجح في الحياة دون حفظ، فهل يمكنك أن تتعامل مع الناس دون أن تحفظ أسماءهم وأحوالهم، وهل يمكنك أن تروي خبرًا دون أن تحفظه، هل يمكنك أن تطبق عمليات الرياضيات دون حفظ جدول الضرب، هل يمكنك أن تفهم كثيرًا من التفاعلات الكيميائية دون أن تحفظ الجدول الدوري، هل تستطيع أن تطبق نظامًا دون أن تحفظ مواده، هل يمكنك أن تتعلم لغة أجنبية دون أن تحفظ مصطلحاتها . . . إلخ من أمور الحياة، بل إن قوة الذاكرة والحافظة باعتراف الجميع هي أبرز أدوات النجاح في الحياة، فلم إذًا هذه الدعوات التي تنادي بإلغاء

الحفظ في مناهج التعليم وتحيد عنه إلى وسائل وأدوات يرون أنها تطوير للعملية التربوية وبديلة للطرق التقليدية، حتى لقد سمعت بعض التربويين من المتخصصين في القياس والتقويم يقسم التقويم إلى قسمين:

الأول: الأسئلة الحفظية.

والثاني: أسئلة التفكير والإبداع والاستنباط.

ثم يهون من الأول ويدعو إلى تركه ويمجد الثاني ويؤكد عليه، والحق أن كلا الأمرين مطلوب؛ فالحفظ والفهم هما ركنا التربية والتعليم.

إن ردة الفعل هذه سببها أن بعض المناهج التربوية تقتصر على الركن الأول من أركان الحفظ التربوي وتهمل الركنين الآخرين فتنتج بهذا المنهج نماذج غير مؤهلة تربويًّا فظن أولئك أن العيب في الحفظ ولم ينتبهوا إلى مكمن الخلل ومكان النقص فيقوموا بإصلاحه بدل أن يمارسوا إفسادا آخر إلا أن يكون هذا هو هدفهم.

إن إهمال هذا المبدأ الكبير من مبادئ التربية يؤدي إلى أن يتخرج أفراد المجتمع ضعافًا لا يصلحون لشيء وإلا فلا علم بلا حفظ حتى في العلوم الدنيوية من طب وهندسة وحاسب ولغات وصناعة وزراعة وتجارة وغيرها، وما البطالة التي بدأت تتفشى في صفوف الشباب إلا أحد الشواهد على ما ذكر، فقد عجزوا عن المنافسة في ميدان العمل وذلك بسبب ضعف التربية والتعليم التي أهمل بناؤها منذ الصغر، فقل لمن يحاول علاج البطالة في المجتمع بعد حصولها أن يعالجها من أصولها وهذا يكون في إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم الموجهة

لصناعة الإنسان وبنائه.

إن مسألة حفظ الأصول وتمثلها المتون، وفهم وفقه هذه الأصول ومثله شروح تلك المتون وما يستجد عليها من تطبيقات في الحياة هي المنهجية في صناعة الإنسان وهو فيما أحسب أمر محسوم عند من وجه إليه هذا الكتاب وإن كان غير مسلم عند بعض التربويين المعاصرين ممن تتلمذوا على الغرب وتأثروا بمناهجهم، وفي الوقت نفسه لم تتح لهم الفرصة للتعمق والتأمل في منهج السلف في التربية والتعليم بسبب انشغالهم بدراسة تخصصهم فهؤلاء تنقصهم الخبرة في هذا المجال.

ولا أقصد بالمتون: المتون العلمية المعروفة المتداولة في دروس العلم وشروحها هذه جزء مما أعنيه، وإنما أعني أنه لكل أم نريد صناعته في الإنسان حتى في تعلم الحرف والمهن، لابد من «متن» أي ملخص يحفظ لفظه، و«شرح» يوضح معانيه، وبهذه الطريقة يتم ربط المعاني بالألفاظ ويحصل حفظها وتطبيقها.

إن حفظ المتون هي القاسم المشترك بين كل الناجحين في كل الفنون، فهل رأيت أديبًا لا يحفظ كمًّا كثيرًا من الشعر؟ وهل رأيت عالم رياضيات لا يحفظ جداولها وفرضياتها ونظرياتها، وهل رأيت عالم نفس لا يحفظ أسماء مدارسها وروادها ومناهجها ونظرياتها وفلسفتها.. إلخ

إن تربية الإنسان وصناعته باختصار تقوم على تخزين المعلومات أي الأفكار والمعتقدات الصحيحة تخزينًا قويًّا راسخًا ثم توضيحها وشرح كيفية تطبيقها، ثم التدريب عليها حتى تثبت.

فأولًا يأتي حفظ الألفاظ ثم يأتي شرحها وتوضيحها وبيان صلتها بالحياة ثم تأتي التربية والتعويد على تطبيقها خطوات ثلاث تتزامن

باستمرار.

أما من يخلط هذا الترتيب فيخلط بين الحفظ والفهم فقد وضع الأمور في غير مواضعها.

الحفظ في الصغر والفهم في الكبر، فإذا شددنا على الصغير ليفهم ضاع علينا الوقت الثمين للحفظ، وإذا أردنا بناء الكبير وتفهيمه دون حفظ لم نجد الأساس الذي نبني عليه فنكون بهذا الخلط أضعنا فترة البناء وهي العشر السنوات الزهر من حياة الإنسان أي من الخامسة حتى الخامسة عشرة، فالخمس الأولى منها للحفظ والخمس الثانية للفهم المبدئي ثم الخمس التي تليها للفهم الأعمق وهكذا يتعمق الفهم مرحلة بعد مرحلة في خطط خمسية متتالية قوامها وأساسها الخطة الخمسية الأولى.

إهمال حفظ الألفاظ في الصغر سببه أن أصحاب هذا المنهج يريدون ظهور الأثر مباشرة وعليه رتبوا نظرية: أنه لا يجوز أن يحفظ الطالب ما لا يفهمه، بل قال بعضهم: إنه أمر متعذر، وما فقهوا أن الأمور تؤخذ بالتدريج، وأن المربي مثل الفلاح، فالفلاح يغرس النخلة - مثلًا - ويخدمها بجد واجتهاد مدة أربع سنوات ويصرف عليها وهو لا يرى أي ثمرة خلال هذه المدة لكنه يعلم أن الثمرة قادمة وأنه سيأتي وقت يجني ثمرة تعبه ومجهوده، ومثله التاجر تجده يتوقع الخسارة في السنوات الأولى لمشروعه ولا يرده ذلك عن الاستمرار إلى أن يوطد دعائم مشروعه ثم بعدها يبدأ بجني الأرباح فكذلك تربية الإنسان تمامًا، صحيح أنه يحفظ ونرى أنه لا يفهم لكنه بعد سنوات قليلة سيكون بأمس الحاجة إلى هذا الحفظ فإن ترك بدونه لحقه الضرر.

نحن في هذا العصر - وانسياقًا مع العولمة الغربية - صرنا نبحث عن الحلول العاجلة الفورية في كل شؤون الحياة ومنها التربية والتي لا تقبل هذا المنهج أبدًا، فمن يتابع البرامج التربوية والنفسية في القنوات الفضائية يلاحظ هذا التوجه، ولا يلام السائل على طلبه لكن اللوم على بعض أهل التربية حين يحذفون من مناهجهم أهم أصولها وحين ينساقون مع بعض التيارات الخاطئة.

إن إهمال الحفظ التربوي في الصغر يؤدي إلى صعوبة التربية عند الكبر، أما إذا استطعنا أن يحفظ الصغير ما نريد تربيته عليه في الكبر وجدنا فيما بعد الأساس الذي نبني عليه وهي تلك الثروة اللغوية من المعلومات والأفكار المهمة التي مصدرها القرآن والسنة فيسهل شرحها له ومن ثم تربيته على تطبيقها.

إن الطفل يمكنه الفهم بالتدريج لما حفظه في الصغر من معلومات وأفكار وعقائد فنقول له هذه هنا، وتلك مهمتها كذا، وهذه المعلومة نقصد بها كذا، وهذه القاعدة نطبقها في الحالات التالية... الخ.

أما إذا أهملنا الحفظ في الصغر ثم بلغ الإنسان العاشرة أو الخامسة عشرة وأردنا بناءه فماذا نصنع والوعاء فارغ، وتعبئته لا تتيسر في وقت سريع بل لا يمكن لأن الذاكرة لها مفاتيح لابد منها ليمكن الدخول إلى قلب الإنسان ونفسه ومن ثم تغيير أفكاره ومعتقداته.

إن الخلط بين الحفظ والفهم خطأ تربوي كبير وقعت فيه بعض مناهج التربية في عصرنا الحاضر لذلك أفلست وعجزت عن صناعة الإنسان القوي القادر على العطاء.

إذا أردت أن تعرف مقياس التربية في بلد، فانظر إلى سلوك طلاب

المرحلة الثانوية ونسبه الجادين في تلك المرحلة ونضجهم العقلي، فهم قد أمضوا تسع سنوات في التربية والتعليم.

إن تأصيل هذه المسألة وبيان الشبهات العلمية والعملية المتعلقة بها أوسع من أن تبينه هذه المساحة، إنما تعرضت لها لأذكر بأن الطريق لإصلاح المجتمع وصناعة الإنسان هو الحفظ التربوي لكل ما نحتاج إليه في هذه الحياة.

۞ المسألة السادسة: مشروعنا الحضاري:

إن كتاب مفاتح تدبر القرآن الكريم مع كتاب مفاتح تدبر السنة النبوية يمثل اللبنات الأولى للمشروع الحضاري الذي تحتاجه الأمة اليوم لصناعة الحياة، فهو مشروع حضاري يعالج البنية الأساسية للأمة، وهو بناء النفوس، بناء القوة المعنوية، علاج الوهن الذي استشرى في كيان الأمة.

إن مصطلح «المشروع الحضاري الإسلامي» من المصطلحات المعاصرة والتي يستعملها المفكرون الإسلاميون في مقابل المفكرين العلمانيين وغيرهم، ونجد المفكر جمال سلطان يدعو المثقف المسلم أن يتعامل مع الاصطلاحات الجديدة، والصيغ الفكرية والحضارية المستحدثة بشيء من الرزانة وسعة الأفق ورباطة الجأش ثم يقول: «إن تعبير «المشروع الحضاري الإسلامي» تعبير مستحدث وصيغة فيها من الجاذبية والطرافة ما يهول الأمر على الشباب، ويجعله كأنه أمام قضية جديدة لا قبل له بها ولا عهد له بمثلها في حين أن الأمر ببساطة شديدة يتعلق ببيان منهاج النبوة وهدي محمد ﷺ وأصحابه وإنزال المنهاج على واقع الناس اليوم». اهـ.

ويقول في تحديد مفهوم المشروع الحضاري: «هو خطة إنسانية عامة وشاملة متكاملة لصياغة الحركة الإنسانية للأمة في مستقبلها المأمول بحيث تتناول هذه الخطة صياغة وتكوين الفرد نفسيًا وتربويًا وعقليًا وعلميًا وعقديًا وقيميًا في ذات الوقت الذي تصوغ فيه حركة البناء الاجتماعي وشبكة علاقاته روحيًا وسلوكيًا وتنظيميًا بما يضمن اتساق حركة الفرد والمجتمع وفق رؤية واضحة ومناخ ثقافي موحد». اهـ(٣).

وتحقيق هذا المشروع يكون أولًا بالحفظ التربوي للقرآن والسنة، الذي يمكن تحقيقه بشيء من البساطة والقوة والوضوح من خلال التدريب العملي الجاد على مفاتح تدبر القرآن والسنة، سواء كان ذلك بواسطة أفراد، أو مؤسسات حكومية، أو خاصة.

إننا في هذا العصر نواجه حرب مصطلحات أحدثت غربة للقرآن والسنة بين أهلها بسبب ما يمارسه بعض الكتاب والمحاضرين والمدربين من تطوير للمصطلحات اللغوية بغية مجاراة الواقع وتقديم الإسلام للعالم بفهم العالم المعاصر دون أن ينتبه لآثار هذا التطوير وما يعقبه من فصل بين الناس وبين القرآن والسنة بسبب هذه المصطلحات الجديدة التي تتوالد يومًا بعد يوم.

لقد أصبح أهل الثقافة يتكلمون بلغة يصعب على غيرهم أن يستوعب ما يقولون وفهم ما يطرحون وقراءة ما يكتبون من مقالات وبحوث فصار أولئك بدل أن يقدموا القرآن والسنة للناس بألفاظها ومصطلحاتها وأن يحافظوا على هويتها أوجدوا مصطلحات جديدة لتكون أكثر جاذبية وأقوى رنينًا في أذن العالم وهذا التغيير للمصطلحات الإسلامية يمارسه

(٣) مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري جمال سلطان ص (٤) وما بعدها.

أيضا عدد من الفئات في المجتمع فأهل التربية وأهل علم النفس والاجتماع والإدارة والاقتصاد والبرمجة اللغوية العصبية ممن يحاولون تأصيل تلك المجالات كل هؤلاء وغيرهم يمارسون العملية نفسها(٤) حتى أصبحت لهم مفردات خاصة تحتاج إلى ترجمة وإلى شرح، فانظر إلى أي حد وصلت غربة المصطلحات الشرعية حتى صار بإمكانك أن تؤلف قاموسًا كبيرًا لتترجم به تلك المصطلحات وتعيدها إلى سيرتها الأولى.

إنه في التعامل مع تلك الظاهرة أمامك ثلاثة خيارات:

الأول: أن تترك المصطلح الأصلي وتستعمل الجديد.

الثاني: أن تبقى على الأصلي وتتجاهل الجديد.

الثالث: أن تقوم بالربط بين الأصلي والجديد مع التأكيد على استخدام الأصلي ومحاولة إحيائه في النفوس بدل هجره واستبداله بغيره.

الأخير هو أفضلها لأنك إن استعملت الجديد وتركت المصطلح الأصلي تسببت في فصل الجمهور عن ألفاظ القرآن والسنة ومصطلحاتهما، وإن بقيت على المصطلح الأصلي لم يفهم الناس ما تريد نظرًا لما يمارسه التعليم والإعلام من تحديث مستمر وحثيث للمعاني والأفكار وتسميتها بأسماء جديدة وهذا يفتك بالمسلمين ويضعف قوتهم العلمية المعنوية.

---

(٤) ويلحق بهؤلاء أصحاب المحلات والمؤسسات والشركات التي أعجبت بالأسماء والشعارات الأجنبية، وهو أمر يحرص عليه أولئك لأنهم يجدون جاذبيته عند الناس، وهذا أحد أعراض الفساد في صناعة الإنسان.

إنه في هذا المقام ينبغي أن نفرق بين جهتين:

الأولى: حينما نخاطب جمهور الأمة الإسلامية.

الثانية: حينما نحاور أهل الحضارات الأخرى.

ينبغي الفصل التام بين الجهتين وإعطاء كل جهة ما يناسبها دون خلط أو تهجين، فالمسلم الذي يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيا، ومرجعيته إلى القرآن والسنة في أي بيئة كان وتحت أي حضارة يعيش ينبغي أن يخاطب بالمصطلحات الأصلية التي يفهمها من هذين المصدرين وأن توضح له تمام الوضوح وبالمثل بعض المصطلحات التي اصطلح عليه علماء الإسلام في مراحل تدوين العلوم الإسلامية مادام المصطلح عرف واستقر فهو خير من أن نحدث مصطلحات جديدة ونبرمج لغة جديدة يحتاج المسلمون وطلاب العلم إلى وقت لتعلمها والتحدث بها، أما أهل الحضارات الأخرى ومن كان على فكرهم فنخاطبهم بما يفهمون وما يفقهون.

وأيضا ينبغي أن نفرق بين جهتين:

الأولى: بيان ما تضمنه القرآن والسنة من قواعد لصياغة الحياة ابتداءً.

الثانية: الرد على مكائد الكائدين وشبهات المغرضين ممن هم داخل صفوفنا أو خارجها.

في الجهة الأولى نغرس ونؤصل ألفاظ ومصطلحات القرآن والسنة مباشرة.

وفي الجهة الثانية ينبغي أن نكشف تلبيس الملبس ونترجم كلامه لجمهور الأمة ليفهمه على حقيقته، فلا يلبس على الأمة أمرها فالرد عليه

يقوم على أمرين:

الأول: كشف تحريفه للكلم عن مواضعه وتبديله للمصطلحات.

الثاني: دحض أدلته التي يستدل بها.

إن الخلط بين الأمور التي ذكرتها هو الذي أوجد الخلل عند بعض المفكرين في محاولتهم لصناعة الإنسان وصناعة الحياة فحدث فصل بين طرحهم وبين القرآن والسنة.



المبحث الثالث

حفظ ألفاظ القرآن الكريم:

وهو الركن الأول من أركان الحفظ التربوي.

والطريق إلى حفظ ألفاظ القرآن الكريم هو «الحفظ الأسبوعي».

والحفظ الأسبوعي هو الذي يعتمد الدورة الأسبوعية لتنظيم الحفظ بأشكال مختلفة.

۞ المسألة الأولى: نظام الحفظ الأسبوعي التفصيلي:

١- أن يكون الحفظ وفق ترتيب السور والآيات وليس الأجزاء والأثمان.

٢- البداية من قصار السور ثم أواسطها ثم طوالها، هذا هو الترتيب المنطقي حيث يتم الترقي والصعود بالتدريج.

٣- في كل يوم تحفظ قدرًا مناسبًا لطاقتك اليومية مراعيًا ما سيأتي تقريره في مفتاح «يسر» في المبحث السادس.

٤- تحديد مواعيد يومية لحفظ الجديد.

٥- ما تحفظه الآن تكرره بعد ربع ساعة ثم نصف ساعة ثم ساعة ثم بعد ساعتين ثم مع كل أذان، ويوصى بقراءته في السنن الرواتب لذلك اليوم.

٦- يتم الحفظ آية آية فإن كانت طويلة يمكن تقسيمها.

٧- يتم تكرار الآية جهرًا حتى يتم حفظها.

٨- ثم حفظ الآية التي تليها إلى نهاية السورة إن كانت قصيرة أو إلى نهاية المقطع.

٩- ثم الرجوع مرة أخرى بالطريقة نفسها آية آية وتكرار هذه العملية حتى يتم حفظ السورة أو المقطع تمامًا.

١٠- أفضل وقت للحفظ قبيل الفجر أو بعده حيث يجتمع نشاط النفس والبدن لمن اتبع السنة في النوم المبكر، حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يكره السهر بعد صلاة العشاء، أما من لم يعمل بهذه السنة فعليه أن يختار الوقت الذي يتوفر له هذان الأمران في أي وقت من ليل أو نهار.

١١- ليس هناك عدد معين للتكرار إنما المقياس الوصول إلى الإتقان.

١٢- بداية اليوم التالي وقبل الحفظ الجديد تسمع كل ما حفظته من بداية السورة إلى حيث وقفت ويسمى «مراجعة السورة».

١٣- عند إتمام حفظ السورة يتم تسميعها جملة دون أخطاء في جلسة واحدة في أكثر من يوم ولا يحسن الاستعجال في الانتقال للسورة التي تليها قبل تحقيق هذا الشرط.

١٤- لا تستعجل في حفظ السورة بل قلل مقدار الحفظ الجديد، لأنه كلما طالت مدة حفظ السورة كان أقوى في ضبطها لأنه يزداد تكرارها وتطول مدته، أما إذا استعجلت في حفظ السورة فاتت عليك هذه الفرصة فيقل الضبط ويصعب عليك ربط أول السورة بآخرها،

«ورب عجلة أورثت ريثًا».

١٥- تقسيم السورة إلى مقاطع يكون حسب موضوعاتها وبعض الموضوعات الطويلة يمكن أن تقسم إلى أكثر من مقطع كما يمكن جمع أكثر من موضوع في مقطع واحد حسب الطول والقصر، هذا التقسيم يسهل حفظ السور المتوسطة والطويلة فهو يجعلها كأنها سورًا قصيرة، وهذا التقسيم يغني تمامًا عن الأثمان ويحقق المصلحة التي تحققها ويلاحظ أن الحاجة إلى مثل هذا التقسيم في البداية فقط ثم بعد هذا يستغنى عنه عند حفظ السورة جملة؛ لأن تصويرها يتقارب ويسهل فيمكن للحافظ أن ينظر إليها نظرة كلية حتى لو كانت سورة البقرة، وهذا من فوائد الحفظ على السور.

١٦- تصميم جدول حفظ الجديد ينقسم إلى نوعين: إجمالي، وتفصيلي.

الإجمالي: يكون لمواعيد بداية حفظ كل سورة ويراعى فيه القدرة اليومية والأسبوعية للحفظ.



۞ مثال١:

أحمد قدرته اليومية في حفظ الجديد خمسة أسطر في اليوم في أربعة أيام من الأسبوع أي عشرين سطرًا في الأسبوع.

❑ جدول «حفظ الجديد الإجمالي» للمرحلة الأولى لأحمد من سورة الناس إلى سورة المرسلات.

	من	إلى	ملاحظات
السبت ١/١	الناس	الكافرون	
السبت ١/٨	النصر	الماعون	
السبت ١/١٥	قريش	القارعة	
السبت ١/٢٢	العاديات	البينة	
السبت ١/٢٩	القدر	الضحى	

وهكذا إلى آخر المرحلة الأولى.

❑ جدول «حفظ الجديد التفصيلي» للمرحلة الأولى لأحمد من سورة الناس إلى سورة المرسلات.

	من	إلى	ملاحظات
السبت ١/١	الناس		
الأحد ١/٢	الفلق	الإخلاص	
الاثنين ١/٣	المسد	النصر	
الثلاثاء ١/٤	الكافرون	الكوثر	
السبت ١/٨	الماعون	قريش	
الأحد ١/٩	الفيل	الهمزة	
الاثنين ١/١٠	العصر	التكاثر	
الثلاثاء ١/١١	القارعة		

۞ مثال٢:

❏ جدول «حفظ الجديد الإجمالي» للمرحلة الرابعة لأحمد من سورة الحديد إلى سورة الذاريات، على أن طاقته اليومية في حفظ الجديد خمسة أسطر في أربعة أيام في الأسبوع أي عشرين سطرًا في الأسبوع.

	من	إلى	ملاحظات
السبت ١/١	الحديد (١)	الحديد (١٢)	
السبت ١/٨	الحديد (١٣)	الحديد (٢٠)	
السبت ١/١٥	الحديد (٢١)	الحديد (٢٩)	
السبت ١/٢٢	الواقعة (١)	الواقعة (٥٦)	
السبت ١/٢٩	الواقعة (٥٧)	الواقعة (٩٦)	

وهكذا إلى آخر المرحلة.

❏ جدول «حفظ الجديد التفصيلي» للمرحلة الرابعة لأحمد من سورة الحديد إلى سورة الذاريات.

	من	إلى	ملاحظات
السبت ١/١	الحديد (١)	الحديد (٤)	
الأحد ١/٢	الحديد (٥)	الحديد (٨)	
الاثنين ١/٣	الحديد (٩)	الحديد (١٠)	
الثلاثاء ١/٤	الحديد (١١)	الحديد (١٢)	
السبت ١/٨	الحديد (١٣)	الحديد (١٤)	
الأحد ١/٩	الحديد (١٥)	الحديد (١٧)	
الاثنين ١/١٠	الحديد (١٨)	الحديد (١٩)	
الثلاثاء ١/١١	الحديد (٢٠)		

١٧- لا يحسن وضع المخطط التفصيلي لأكثر من أسبوعين ليكون قريبًا من الواقع وليقتصر التعديل في الجدول الإجمالي لخطة حفظ الطالب.

١٨- يحسن الاحتياط بالوقت والزيادة لئلا تحتاج إلى تكرار التخطيط كل مرة، ولكي تفرح النفس عند الإنجاز قبل الوقت المحدد فيكون نوعًا من التشجيع وحين العكس فإنه يحصل اليأس والخمول وهذا يعيق مسيرة الطالب.

١٩- إذا أكمل الطالب حفظ سورة جملة فإنها تنقل إلى مراجعة المرحلة، ويأتي بيان ذلك في نظام الحفظ التفصيلي، ثم يتم حفظ السورة التالية بتكرار الخطوات السابقة إلى أن يتم حفظ سور المرحلة كلها.

٢٠- مدة تكرار السورة بعد حفظها ثلاثة أيام على الأقل قبل أن يسمح للبدء في حفظ السورة التي تليها وهذا لغير قصار السور، أما قصار السور فقد يكفي يوم أو يومان.

۞ المسألة الثانية: نظام الحفظ الأسبوعي العام:

١- يقسم حفظ القرآن الكريم إلى مراحل.

٢- يتوقف طول المرحلة على مستوى الطالب وقدرة محافظته على ما يتم حفظه، أي قدرته اليومية على المراجعة، وعليه فليس هناك تقسيم ثابت موحد لمراحل حفظ القرآن.

۞ أمثلة:

❑ أحمد: يستطيع مراجعة ثلاثة أوجه في اليوم أي ٢١ وجهًا في الأسبوع أي من المرسلات إلى الناس.

* محمد: خمسة أوجه في اليوم أي ٣٥ وجهًا في الأسبوع أي من نوح إلى الناس.

* صالح: عشرة أوجه في اليوم أي ٧٠ وجهًا في الأسبوع أي من الواقعة إلى الناس.

٣- يتم توزع هذه المقادير على أيام الأسبوع حسب الجداول التالية:

❑ جدول أحمد، من المرسلات إلى الناس/ ثلاثة أوجه في اليوم.

	من	إلى	ملاحظات
السبت	المرسلات	عم	
الأحد	النازعات	التكوير	
الاثنين	الانفطار	الانشقاق	
الثلاثاء	البروج	الغاشية	
الأربعاء	الفجر	الليل	
الخميس	الضحى	البينة	
الجمعة	الزلزلة	الناس	

❑ جدول محمد، من نوح إلى الناس/ خمسة أوجه في اليوم.

	من	إلى	ملاحظات
السبت	نوح	المزمل	
الأحد	المدثر	المرسلات	
الاثنين	عم	التكوير	
الثلاثاء	الانفطار	الأعلى	
الأربعاء	الغاشية	الشرح	
الخميس	التين	التكاثر	
الجمعة	العصر	الناس	

❑ جدول صالح: من الواقعة إلى الناس/ عشرة أوجه في اليوم.

	من	إلى	ملاحظات
السبت	الواقعة	المجادلة	
الأحد	الحشر	الجمعة	
الاثنين	المنافقون	التحريم	
الثلاثاء	تبارك	نوح	
الأربعاء	الجن	المرسلات	
الخميس	عم	الطارق	
الجمعة	الأعلى	الناس	

٤- يبدأ أحمد بحفظ المرحلة الأولى من سورة الناس إلى سورة

المرسلات حسب نظام الحفظ التفصيلي.

٥- إذا أكمل حفظ المرحلة فإنه ينتظر مدة تطول أو تقصر إلى أن يتم تثبيتها.

٦- تثبيت المرحلة يعني العمل بجدول المراجعة الأسبوعي إلى أن يرسخ تمامًا وقد تصل إلى شهرين أو ثلاثة أو أكثر كل شخص بحسبه، وينهى عن الاستعجال في الانتقال من مرحلة إلى التي تليها قبل الإتقان.

٧- إذا انتهى أحمد من تثبيت المرحلة الأولى ويريد الانتقال للمرحلة الثانية فمرحلته الثانية كما يلي: ثلاثة أوجه في سبعة أيام ٢١ وجهًا أي من سورة تبارك إلى سورة الإنسان، يبدأ بحفظها بالطريقة السابقة التي حفظ بها المرحلة الأولى.

٨- يستمر العمل بجدول مراجعة المرحلة الأولى حسب أيام الأسبوع مضافًا إليه جدول مراجعة المرحلة الثانية، ففي كل يوم عنده أربعة أمور:

الأول: مراجعة المرحلة أو المراحل السابقة ويسمى «المراجعة العامة».

الثاني: مراجعة ما تم حفظه من السورة الحالية، ويسمى «مراجعة المرحلة».

الثالث: مراجعة ما تم حفظه من السورة الحالية، ويسمى «مراجعة السورة».

الرابع: حفظ المقطع الجديد من السورة، ويسمى «حفظ الجديد».

٩- يتم تحديد مواعيد يومية ثابتة لكل نوع من الأنواع الأربعة، ويمكن اجتماع الأمرين الأخيرين في موعد واحد.

١٠- المراجعة في النظام الأسبوعي بأنواعها الثلاثة لا تحتاج إلى جهد جديد أو حفظ جديد بل هي محفوظة تمامًا، فقط تحتاج إلى تسميع، وعليه فالمقدار اليومي لأحمد من الأنواع الثلاثة الأولى لا يحتاج سوى دقائق وخاصة في بداية حفظ القرآن الكريم.

١١- يكون مراجعة المرحلة ذاتيًّا يسمعه الطالب لنفسه ويوجه إلى قراءته في مواعيد محددة.

١٢- يمكن عمل اختبار كل أسبوع لكل ما تم حفظه من أجل التحفيز والتذكير ويفترض أن الطالب بهذه الطريقة دائمًا مستعد للاختبار لا يحتاج إلى تحضير ولا مراجعة.

١٣- إذا انتهى أحمد من المرحلة الثانية ومن تثبيتها أصبح حفظه ٤٢ وجهًا، وهو من سورة تبارك إلى سورة الناس يتم تقسيمه على أيام الأسبوع السبعة فيطلب منه ستة أوجه كل يوم حسب الجدول التالي:

	من	إلى	ملاحظات
السبت	تبارك	الحاقة	
الأحد	المعارج	الجن	
الاثنين	المزمل	الإنسان	
الثلاثاء	المرسلات	عبس	
الأربعاء	التكوير	الأعلى	
الخميس	الغاشية	العلق	
الجمعة	البينة	الناس	

١٤- إن صعب عليه فيمكن توزيعه على أسبوعين مع التأكيد على توفير أحسن الظروف للمراجعة اليومية في مثل هذه الحال وإلا فإن الحفظ سيضعف.

❑ جدول المراجعة على أسبوعين:

الأسبوع الأول	من	إلى	ملاحظات
السبت	تبارك	...	
الأحد	القلم	الحاقة	
الاثنين	المعارج	نوح	
الثلاثاء	الجن	المزمل	
الأربعاء	المدثر	القيامة	
الخميس	الإنسان	المرسلات	
الجمعة	عم	النازعات	

الأسبوع الثاني	من	إلى	ملاحظات
السبت	عبس	الانفطار	
الأحد	المطففين	البروج	
الاثنين	الطارق	الفجر	
الثلاثاء	البلد	الشرح	
الأربعاء	التين	البينة	
الخميس	الزلزلة	الفيل	
الجمعة	قريش	الناس	

١٥- إذا أكمل أحمد المرحلة الثالثة فأصبح مقدار الحفظ ٦٣ وجهًا أي من سورة قد سمع إلى سورة الناس فيمكن توزيعه على أسبوع بحيث يراجع كل يوم تسعة أوجه أو على أسبوعين ليراجع كل يوم ستة أوجه أو على ثلاثة أسابيع ليراجع كل يوم ثلاثة أوجه.

١٦- إذا كانت طاقة أحمد في المراجعة العامة هي فقط ثلاثة أوجه في اليوم أي يكمل دورة المراجعة في ثلاثة أسابيع في هذه الحالة يطلب منه التوقف عن الحفظ الجديد ويقال له هذه طاقتك ومقدرتك قف هنا، ومتى أراد المواصلة فعليه زيادة مقدار المراجعة اليومية إلى ستة أوجه فيتم توزيع المراجعة العامة على أسبوعين ومن ثم يمكنه البداية بالمرحلة الرابعة.

١٧- المرحلة الرابعة له كما يلي: ثلاثة أوجه في سبعة أيام ٢١ وجهًا أي من سورة الحديد إلى سورة الذاريات، وحسب النظام السابق يتم تصميم جدول المراجعة لهذه المرحلة.

١٨- وبالمثل يمكن تخطيط حفظ كل من محمد وصالح إلى أن يكملا حفظ القرآن.

١٩- كلما تقدم الطالب في الحفظ كلما زاد مقدار المراجعة اليومية إلى أن يختم القرآن فيصل إلى ٨٦ وجهًا في اليوم إن كان يراجع ما تم حفظه كل أسبوع، أو ٤٣ وجهًا كل أسبوعين، أو ٢٨ وجهًا كل ثلاثة أسابيع.

٢٠- المراجعة كل أسبوع هي أعلى المستويات وأقواها في ضبط الحفظ وتختصر الوقت والجهد.

٢١- عند حصول نقص في القدرة اليومية للمراجعة يتم التكيف مع الوضع الجديد ومثال ذلك:

مقدار حفظ أحمد ٨٤ وجهًا أي أنه ليكمل دورة المراجعة العامة في ثلاثة أسابيع عليه أن يراجع يوميًّا أربعة أوجه لكن تغيرت ظروفه، وبعد قياس وضعه الجديد تبين أنه لا يستطيع أن يراجع أكثر من وجهين في اليوم فماذا نعمل في تلك الحالة؟

- هل نزيد مدة دورة المراجعة إلى ستة أسابيع؟
- أو نقلل مقدار المراجعة إلى ٤٢ وجهًا؟

الرأي الأخير هو الصحيح لأننا بذلك نضمن بقاء حفظ قوي لقدر معين من القرآن.

أما في الحل الأول فإن الحفظ يبدأ بالتناقص شيئًا فشيئًا إلى أن يضعف ثم يتوقف تمامًا.

هذه نماذج لتوضيح الفكرة ومنها يمكن تفصيل أي خطة لأي شخص حسب مستواه وحسب ظروفه والتكيف مع الظروف سواء بالزيادة أو النقص.



۞ المسألة الثالثة: تحزيب القرآن بالسور:

قال ابن تيمية في «الفتاوى» (١٣/ ٤٠٥): «فالصحابة إنما كانوا يحزبونه سورًا تامة، لا يحزبون السورة الواحدة»، ثم ذكر حديث أوس ابن حذيفة وفيه: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟

قالوا: «ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد». وفي رواية أخرى: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن؟

فقالوا: «كان رسول الله ﷺ يحزبه ثلاثًا، وخمسًا...» ثم قال: وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبد الله بن عمرو في أن المسنون كان عندهم قراءته في سبع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة، وفيه أنهم حزبوه بالسور وهذا معلوم بالتواتر فإنه قد علم أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك، كان زمن الحجاج وما بعده، وروي أن الحجاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية، وتارة بالسور لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره فتعين التحزيب بالسور». اهـ.

وقال أيضًا: «إن هذا التحزيبات المحدثة تتضمن... الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون

المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئا بمعطوف كقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: الآية ٢٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: الآية ٣١]. وأمثال ذلك، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المتخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ [الكهف: الآية ٧٥]. . .» اهـ.

وقال أيضًا: «وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو أيضًا تقريب، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض والافتتاح بما فتح الله به السورة والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في ذلك التحزيب، وفيه أيضًا: من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها فصار راجحًا بهذا الاعتبار» اهـ.

إن الله سبحانه وتعالى حين أنزل كتابه تولى هذا الأمر ولم يجعل لمجتهد في ذلك مدخلًا ولا مخرجًا، فالله سبحانه وتعالى جزأ كتابه إلى سور معلومة البداية والنهاية، وجزأ كل سورة إلى آيات معلومة البداية والنهاية كل ذلك بنص من النبي ﷺ وعلمه الصحابة وتناقله المسلمون جيلا بعد جيل فلم هذا التطاول على كتاب الله تعالى وتشويه جماله بهذه التقسيمات التي تصرف ذهن المشتغل به عن التقسيم الأصلي لهذا الكتاب العظيم، حتى لقد رأيت بعض المصاحف قُسِّمت إلى أعشار وأخماس ويكون نهاية العشر أو الخمس في وسط الآية.

ومن أجل تلافي ما سبقت الإشارة إليه وإيجاد تحزيب للقرآن الكريم متوافقًا مع سوره فهذا تقسيم مقترح للقرآن الكريم إلى ثلاثين جزءًا:

رقم الجزء	بداية الجزء	عدد الأوجه
١	البقرة (١)	١٦
٢	البقرة (١١٣)	١٦
٣	البقرة (٢١٦)	١٦
٤	آل عمران	٢٧
٥	النساء	٢٩
٦	المائدة	٢٢
٧	الأنعام	٢٣
٨	الأعراف	٢٦
٩	الأنفال	١٠
١٠	التوبة	٢٠
١١	يونس	١٣
١٢	هود	١٤
١٣	يوسف	٢٧
١٤	الحجر	٢٠
١٥	الإسراء	٢٣
١٦	مريم	١٧
١٧	الأنبياء	٢٠
١٨	المؤمنون	١٧
١٩	الفرقان	١٨
٢٠	النمل	١٩
٢١	العنكبوت	٢٢
٢٢	الأحزاب	٢٢
٢٣	يس	١٨
٢٤	الزمر	٢٥
٢٥	الشورى	١٩
٢٦	الأحقاف	٢٠
٢٧	الذاريات	٢٠
٢٨	قد سمع	٢٠
٢٩	تبارك	٢٠
٣٠	عم	٢٢

قد يسأل البعض: هذه الأجزاء فأين الأثمان؟

فالجواب: أن السور مقسمة إلى آيات يتمكن القارئ بواسطتها معرفة أين وقف في قراءته، وبالنسبة للحفظ ذكرت في نظام الحفظ التفصيلي أن تقسيم السورة إلى مقاطع يكون في بداية الحفظ ثم يُستغنى عنه تمامًا عند حصول الضبط والإتقان.

۞ المسألة الرابعة: لماذا الحفظ الأسبوعي؟

إن لم تكن قادرًا على حراسة الجواهر فلا تضعها في جيبك لأنك بذلك تهديها للصوص.

والجيش الذي لا يقدر على المحافظة على فتح مدينة أو بلدة فلا يضيع جهوده وأرواح جنوده في فتحها.

وأنت لا تحفظ ما لا تقدر على المحافظة عليه ويكون فوق طاقتك اقتصر على ما تستطيع المحافظة عليه.

بعد كل إجازة صيفية وبعد انتهاء الدورات المكثفة نرى هنا وهناك من يسأل كيف أحافظ على ما حفظت، وتراه يسأل ويبحث عن حل لأمر يقلقه ويزعجه وحق له ذلك فما من أحد يرضى بعد العز بالذل وبعد الغنى بالفقر وبعد النصر بالهزيمة كيف لا يقلق وهو يرى حفظًا سهر عليه شهرين متتابعين يتفلت من بين يديه دون أن يستطيع فعل شيء لكن ماذا تصنع لإنسان لم يخطط لمشروعه تخطيطا استراتيجيًّا إنما كان تخطيطه إن صحت تسميته بذلك تخطيطًا وقتيًّا لم يدرس المشروع من كافة أبعاده.

إن من يتبع نظام الحفظ الأسبوعي بإذن الله تعالى يأمن من الوقوع

في هذا الحرج.

إن من يحفظ بطريقة الأسبوعين يحفظ السورة مرة واحدة في العمر ولا يحتاج إلى إعادة حفظها مرة أخرى لأنها تبقى محفوظة باستمرار.

طريقة الحفظ الأسبوعي تجعل الحفظ موجودًا باستمرار لا ينقطع بتوقف الحلقة أو المدرسة لإجازة أو اختبار ولو قدر أن الطالب لم يواصل فإنه يبقى حفظه معه يستفيد منه في الحياة وفي الأزمات.

إن ما يسمى بالمراجعة عند البعض ليست مراجعة بل هي حفظ جديد وهذه التسمية ربما كانت سببًا في اليأس والإحباط عند بعض الطلاب لأنه يطلب منه أن يستعيد حفظها في وقت قصير لكنه لا يستطيع لأن قدرات الطلاب تتفاوت فكونها تسهل على قلة من الطلاب لا يصح أن يعمم حكمها على الجميع.

إن تربية الطالب على نظام الحفظ الأسبوعي من البداية يوفر كثيرًا من الجهود التي تبذلها الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم لمتابعة الخاتمين، ويغنينا عن الدورات التي تقام لتثبيت الحفظ ومراجعته.

نظام الحفظ الأسبوعي يعطي طالب العلم فرصة قوية للترقي في سلم طلب العلم والبداية في حفظ متون أخرى بدل أن يذهب معظم وقته في ملاحقة حفظه للقرآن الكريم ومحاولة تثبيته مرة بعد مرة.

فالحفظ الأسبوعي يحقق عدة مصالح أجملها فيما يلي:

١- يمهد الطريق للركن الثاني من أركان الحفظ التربوي وهو حفظ المعاني.

٢- يوفر الوقت والجهد لأن ما يحفظ يتم المحافظة عليه بأدنى كلفة.

٣- الراحة النفسية حيث يحقق للحافظ المرونة والسهولة ويرى الحافظ ثمرة جهده تسير معه وتنمو باستمرار، ولا يحصل عنده قلق بسبب ضياع حفظه وحاجته لاستعادته مرة أخرى.

٤- استثمار الوقت بأعلى أنواع ذكر الله وهو القرآن الكريم حيث يكون محفوظًا باستمرار، وهذا يمكن الحافظ من القراءة في كل وقت وعلى كل حال وفي كل مكان، وخاصة في أوقات الشدائد فإنه لا يسعفك إلا الحفظ المتين.

٥- الحفظ الأسبوعي يوصلك برفق وهدوء إلى تحقيق حلمك وبلوغ أمنيتك في حفظ القرآن الكريم خطوة خطوة، ومرحلة بعد مرحلة حتى لو طالت مدة تنفيذ هذا المشروع، فإنه بإذن الله سيأتي يوم يتم إنجازه وإكماله.

٦- فيه تدريب على التخطيط والتنظيم وإنجاز الأهداف وإدارة المشاريع.

۞ المسألة الخامسة: الحفظ الأسبوعي في الدورات المكثفة:

يمكن تطبيق الحفظ الأسبوعي في الدورات المكثفة على النحو التالي:

١- ينظر في عدد أسابيع الدورة المكثفة ومقدار ما سيتم حفظه.

٢- ينظر إلى قدرة الطالب اليومية في المراجعة العامة وبالتالي المحافظة على ما سيتم حفظه واكتسابه في هذه الدورة فلا يضيع من الحافظ بعد انتهاء الدورة ويعود جديدًا كما بدأ.

٣- إذا كانت قدرته في المراجعة العامة عشرين وجهًا كل يوم فتكون

خطة حفظه: عشرين وجهًا في سبعة يساوي ١٤٠ وجهًا.

٤- إذا كان الحافظ مثلًا قد حفظ إلى سورة الزمر ويريد المواصلة فيكون حفظه الجديد من سورة ص إلى سورة الأنبياء وجدول مراجعة المرحلة على النحو التالي:

	من	إلى	ملاحظات
السبت	الأنبياء	الحج	
الأحد	المؤمنون	النور	
الاثنين	الفرقان	الشعراء	
الثلاثاء	النمل	القصص	
الأربعاء	العنكبوت	السجدة	
الخميس	الأحزاب	فاطر	
الجمعة	يس	ص	

٥- إذا كانت مدة الدورة ستة أسابيع فهذا يعني أنه لابد أن يحفظ في اليوم أربعة أوجه، ويطبق عليها «نظام الحفظ الأسبوعي التفصيلي».

٦- التذكير بأن مع الطالب مراجعة عامة لما سبق حفظه على النحو التالي:

	من	إلى	ملاحظات
السبت	الزمر	غافر	
الأحد	فصلت	الجاثية	
الاثنين	الأحقاف	ق	
الثلاثاء	الذاريات	الحديد	
الأربعاء	قد سمع	التحريم	
الخميس	تبارك	المرسلات	
الجمعة	عم	الناس	

٧- إن كان الحفظ السابق حفظ بطريقة ضعيفة فيقترح على الطالب أن يكون هو حفظه الجديد وعليه الحكم الدقيق الصحيح على نفسه لأن المراد الحصول على حفظ متقن للقرآن ينتفع به في الدنيا والآخرة وليس المسابقة أو المباهاة.

٨- من أراد أن يحفظ القرآن كاملًا في دورة مكثفة فعليه أن يكون مستعدًّا لتطبيق جدول المراجعة التالي:

	من	إلى	ملاحظات
السبت	البقرة	النساء	
الأحد	المائدة	التوبة	
الاثنين	يونس	النحل	
الثلاثاء	الإسراء	الفرقان	
الأربعاء	الشعراء	يس	
الخميس	الصافات	الحجرات	
الجمعة	ق	الناس	

٩- وهذا الجدول يوافق تحزيب الصحابة ﷺ للقرآن حيث كانوا يختمون القرآن كل أسبوع.

١٠- وهذه المراجعة تكون أثناء وبعد الدورة لمدة ستة أشهر أو سنة ثم بعدها يمكن توزيعه على أسبوعين أو ثلاثة إن صعب الاستمرار كل أسبوع.

ما سبق ذكره مثال، ويقاس عليه الحالات الأخرى، فيكون لكل طالب جداوله الخاصة به حسب مستواه وقدراته وحسب مدة الدورة.

۞ إضاءة:

يوجد العديد من الشباب اشتركوا في دورات مكثفة لحفظ القرآن الكريم وبعد انتهائها لم يتمكنوا من متابعة المشوار نظرًا لفقد المحفزات التي توفرت لهم في الدورة ومن أهمها: الفراغ، والصحبة، والبيئة، فنقول لهؤلاء لا تيأسوا وأعيدوا التجربة مرة أخرى وفق هذه المغايير وواصلوا المسير وسترون أن حلمكم في إنجاز مشروع حفظ القرآن كله أو بعضه قد بعثت فيه الحياة من جديد.

۞ المسألة السادسة: حفظ القرآن في مدارس تحفيظ القرآن:

يلاحظ أن الحفظ في مدارس تحفيظ القرآن الكريم قائم على مبدأ الحفظ المنفصل «احفظ وانس» وهو النظام المتبع في كل المواد باستثناء ما يعتبر متطلبًا سابقًا لمقرر حالي وهذا يكون في مثل قواعد اللغة العربية والإملاء والرياضيات ونحوها من المواد حيث لا يستطيع الطالب السير في المنهج الحالي دون استحضار الخبرات السابقة، أما ما عدا ذلك من المواد كالتاريخ والجغرافيا والفقه والتوحيد والحديث ونحوها فهي تسير على مبدأ الحفظ المنفصل؛ فالطالب خلال دراسته من الابتدائية إلى الجامعية يسير على هذا الخط فإذا وصل إلى المحطة الأخيرة تبين له أنه لم يحمل علمًا، وهذا يعتبر أحد أسباب ضعف التكوين العلمي للطلاب.

والمقترح فيما يتعلق بالقرآن الكريم أن يطبق مبدأ الحفظ التربوي ومنه تطبيق نظام الحفظ الأسبوعي وهذا قد يتطلب تقليل المقدار ولا مانع من ذلك مقابل الحصول على نتائج قوية ونماذج ممتازة وبهذا يحافظ الطالب على كل ما يحفظه من السنة الأولى ابتدائي إلى أن

يتخرج من المرحلة الثانوية، يتخرج الطالب وقد أتقن ما قرر عليه حفظه وهو في غاية الثقة بما حفظ لا أن يتخرج وهو يتحسر على ما حفظ ويراه تفلت منه وضاع ويتمنى رجوعه.

الطالب في مراحل التعليم العام لا يزال قليل الخبرة حديث التجربة لا يدري كيف يتصرف، ويخطئ في حقه من يجعله يسير في هذا الطريق، فقليل يدوم خير من كثير منقطع.

لقد سلكت «نظام الحفظ الأسبوعي» مع بعض الطلاب وكنت أسميه «الحفظ التراكمي» أو «احفظ واحفظ» فكان التذمر والشكوى يحصل منهم أثناء الفصل الدراسي أما في آخره فكان الفرح والسرور هو المسيطر على مشاعرهم حين يرون ثمرة جهدهم.

وقد طبقته مع طلاب دبلوم القراءات في عام ١٤٢٣هـ في حفظ الشاطبية في الفصل الأول كانت نتائج اختبار الفصل الأون مشجعة جدًّا، ثم مراعاة للمطالبة بتركه تركته في الفصل الثاني فلما جاء الاختبار النهائي تعبوا في المراجعة وكانت النتائج ضعيفة فكان الفرق شاسعًا بين الحالين، وبشهادة الطلاب أنفسهم فقد لمسوا الفرق الواضح بين ما حفظ بالطريقة الأولى وما حفظ بالطريقة الثانية حتى بعد انتهاء الدبلوم ومضي سنوات على الحفظ.

۞ إضاءة:

هل تعلم أنه يمكنك حفظ الشاطبية كاملة خلال ثلاث سنوات دون أي جهد يذكر من خلال تطبيق نظام الحفظ الأسبوعي؟.

۞ المسألة السابعة: تدريس القراءات في مدارس تحفيظ القرآن:

الملاحظ أن منهج القراءات في المرحلة الثانوية مضغوط بصورة كبيرة لا تتوافق مع المنهجية في التعلم فلم تراع الفروق الفردية للطلاب بل لم تراع الساعات المعتمدة للمقرر ولم تراع أن تدريس القراءات يقوم على الطريقة الفردية فليست كالتفسير أو الحديث التي يمكن تدريسها للمجموعة في آن واحد[٥] فمن أجل ذلك تكثر الشكوى في هذا الجانب وما ذاك إلا أن الطالب يراد منه تحقيق مهارات عالية ومتداخلة في وقت وجيز مع الانقطاع في الإجازات الطويلة فكل هذا يشكل صعوبة وحرجًا على المعلم والمعلمة والطالب والطالبة في تنفيذ هذا المنهج، صحيح أن الطالب النابه الذي توفرت له الظروف لتكوين نفسه خارج أسوار المدرسة يمكنه السير أما من عداه فلا يستطيع اللحاق بالركب إلا بشيء من التفكيك وعدم المنهجية.

إن مادة القراءات من أهم المواد التي تحتاج الحفظ الأسبوعي، وتطبيقه لا يمكن إلا بإعادة النظر في المنهج ومما أقترحه في هذا المجال ما يلي:

تكون السنة الأولى بفصليها للقسم النظري أي شرح الشاطبية، والتدريب على استخراج القراءة منها مباشرة دون الحاجة للرجوع إلى أي شرح خاصة في باب «فرش الحروف»، ولا يتعرض للتطبيق في هذه المرحلة إلا ما له تعلق بفهم الشاطبية.

---

(٥) وقد يأتي بعض المعلمين فيضيف إليها مقررًا آخر وهو توجيه القراءات، ينبغي ألا نثقل الطالب في مراحل التعليم العام بمثل هذه المعلومات بل تؤجل للمرحلة الجامعية، وإن كان ولابد فيخصص لها كتاب مستقل وساعات مستقلة.

وتكون الفصول الثلاثة التي تشكل السنة الثانية والفصل الأول من السنة الثالثة كل فصل منها لرواية واحدة «شعبة، قالون، ورش».

الفصل الثاني: من السنة الثالثة يكون للتدريب على الجمع ضمن الروايات التي تمت دراستها سابقًا.

ثم بعد هذا تأتي المراحل الجامعية لتكمل المسيرة على أن يتخرج الطالب من البكالوريس وهو مؤهل تمامًا لتدريس المادة أما إذا اختار تخصصًا آخر فيكون قد أتقن أربع روايات فإن رغب في الإكمال بنشاطه الخاص وجهده الذاتي على أيدي المقرئين في المساجد كان بها وإلا فقد حصل بعض المستويات في علم القراءات.

أكثر من ثلاثين سنة من التعليم في مدارس تحفيظ القرآن الكريم وفي الجامعات ومازالت البلد تعاني من ندرة المدرسين في هذه المادة أليست هذه علامة واضحة على ضعف المخرجات؟! وكل هذا بسبب فقد المنهج الصحيح لتدريس هذه المادة(٦).

بقي أن أنبه إلى أن ما دعوت إلى تطبيقه هو المنهج عند المتقدمين في تلقي القراءات، فالإفراد هو السنة، وهو منهج السلف في تلقي القرآن، ولم يظهر الجمع إلا عند ظهور الحاجة إليه لما طالت الأسانيد وتعددت الروايات وتشعبت الطرق، وذلك في القرن الخامس الهجري، ومع هذا فقد اشترطوا له شروطًا منها: إفراد كل راو بختمة.

---

(٦) قبل أربع سنوات قامت كلية المعلمين بالرياض بفتح مسار خاص بالقراءات في مرحلة البكالوريس، وما زال العدد فيه محدودًا بسبب ضعف التأهيل لهذا المسار في مراحل التعليم العام.

قال أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني:

وأذكر أشياخي الذين قرأتها عليهم فابدأ بالإمام أبي بكر

قرأت عليه السبع تسعين ختمة بدأت ابن عشر ثم أكملت في عشر

وقال أبو شامة في «إبراز المعاني» (ص ١٢): «والقارئ المبتدئ: من أفرد إلى ثلاث روايات، والمنتهي من نقل منها أكثرها» اهـ.

ويقول ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٩٢): «وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث إنه لم تكن عادة السلف عليه، ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول» اهـ.

وقال نظما:

وقد جرى من عادة الأئمة إفراد كل قارئ بختمة

وقال الصفاقسي في «غيث النفع» (ص ٢٥): «لم يكن في الصدر الأول هذا الجمع المتعارف عليه في زماننا بل كانوا لاهتمامهم بالخير وعكوفهم عليه يقرؤون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية إلى رواية، واستمر العمل على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة عصر الداني ومكي وغيرهم، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستمر عليه العمل إلى هذا الزمان وكان بعض الأئمة ينكره من حيث إنه لم يكن عادة السلف، قلت: وهو الصواب، إذ من المعلوم أن الحق والصواب مع الصدر الأول في كل شيء» إلى أن قال: «فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع وربما يترتب عليه الفساد والغلط والتخليط والداعي إليه

النفس لتحصيل حظوطها من الراحة وتقصير العبادة، جنح إلى هذا الكسالى والمقصرون ووافقهم على ذلك شفقة عليهم وخوفًا من انسلاخهم من الخير بالكلية الأئمة المجتهدون المشمرون والمتنزل لا يستدل بفعله فيما تنزل فيه». اهـ.

فالجمع بهذه الصورة لم يظهر إلا عند المتأخرين لما ضعفت الهمم وضعفت الحوافر واشتغل الناس بكسب معاشهم وقل المتفرغون لأخذ القراءات وخشي ضياعها، أما اليوم فإن مثل هذا التعليم النظامي الذي تنفق عليه الدولة - حفظها الله - أوجد الإقبال على هذا العلم والعناية به والحرص عليه، فلم لا نعود إلى منهجية السلف في تلقي القراءات.



المبحث الرابع

حفظ معاني القرآن الكريم

۞ المسألة الأولى: نظام حفظ المعاني:

لو تأملنا في منهج التكوين والبناء الذي رسمه الله تعالى لنبيه ﷺ ولأتباعه حينما اختارهم لحمل رسالته ودعوته لوجدنا أنه سهل واضح خال من كل تعقيد وغموض، يفهمه كل أحد وفي الوقت نفسه قوي مؤثر يتغلغل إلى أعماق النفوس فيربيها ويشكلها بالشكل الذي تريد.

إن هذا المنهج يتضمن قواعد تربوية ونفسيه لو اجتمع مفكرو العالم من شتى حضاراته وأفنوا أعمارهم في البحث والتنقيب لما توصلوا إلى مثلها ذلك أنها من عند العليم الحكيم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

هذا المنهج جاء تقريره وتأصيله في ثاني سورة نزلت من الوحي المبارك القرآن الكريم، إنها سورة المزمل ويتمثل هذا المنهج في النقاط التالية:

١- ﴿قُمِ﴾.

٢- ﴿اللَّيْلَ﴾.

٣- ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي كثيرًا من الليل.

٤- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾.

٥- ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

٦- ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

لماذا قم ألا يكفي اجلس؟ ولماذا الليل بالذات؟ ولماذا كثيرًا؟ وماذا يصنع إذا قام؟ وما الهدف من هذا كله؟ هذه هي الخطوط العريضة لهذا المنهج ثم يأتي تطبيق النبي ﷺ ليزيده وضوحا.

لقد فرض الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ومن معه القيام بالقرآن سنة كاملة، نعم سنة كاملة من التدريب المكثف، والنتيجة صناعة الإنسان إنتاج نماذج إنسانية فذة فريدة لا يماثلها أي نموذج في العالم، هذه الفئة القليلة هي التي أوكل الله ﷻ إليها حفظ دينه وتبليغ رسالته وإقامة دولة الحق.

قد يتصور البعض من علماء النفس أو الخبراء العسكريين أو بعض المفكرين أن إعداد القوة للفئة التي يناط بها التغيير يكون بدورات علمية وتدريبات عسكرية هذا الذي يتبادر للذهن وقد يعتقده أمثال هؤلاء لكن الله تعالى وهو الحكيم العليم قد اختار لهذه الصفوة من خلقه أمرًا آخر وهو ما سبق ذكره.

لقد كان القيام بالقرآن بالمواصفات السالف ذكرها الأداة التربوية التي ركز عليها النبي ﷺ في بناء الجنود الذين يحملون الحق ويبلغونه للناس كافة.

إنها الأداة التي يمكن بها صياغة الإنسان وصناعته ومن كان في شك فليجرب، الباب مفتوح والخير متاح، جرب أن تقوم بالقرآن سنة كاملة كل ليلة ثلاث ساعات على الأقل ترتل القرآن ترتيلًا حفظًا وجهرًا

وتكرارًا ثم انظر النتيجة كيف تكون، إن النتيجة مؤكدة لكن مثل هذا العمل لا يتيسر إلا لمن يسره الله له.

مفاتح تدبر القرآن هي الطريق لتحقيق الركن الثاني من أركان الحفظ التربوي وكان بيانها وتفصيلها في كتاب مستقل بعنوان «مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة» وألخص هنا نظام حفظ المعاني:

١- فهم وفقه مفاتح تدبر القرآن متطلب أساسي للسير في نظام حفظ المعاني.

٢- تحديد مقدار معين من القرآن سبق حفظه بنظام الحفظ الأسبوعي.

٣- تقسيم هذا المقدار على أيام الأسبوع لكل يوم قدر محدد.

٤- يتم قراءة هذا المقدار في صلاة في ليل بجهر وتغن وتكرار وترتيل وتمهل ومناجاة.

٥- ليس هناك زمن محدد لقراءة آية أو سورة فربما آية تقف فيها ربع ساعة وربما مئة آية تقرؤها في ساعة.

٦- إذا لم يمكن أداء هذا العمل في موعده ليلًا فيقضى بموعد آخر يكون فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر.

٧- إذا انتهى الوقت المحدد للقيام بالقرآن ولم ينته المقدار المحدد للقراءة وهذا يحصل بسبب تطويل الركوع أو السجود أحيانًا أو بسبب التوقف عند بعض الآيات طويلًا، فهل يفرض وقت آخر لإكماله؟ أو يقرأ في الليلة التي تليها؟ خياران كلاهما ممكن، المهم التأكد من عدم بخس القرآن حقه من الوقت وتفضيل غيره عليه.

٨- الوقت اليومي اللازم لمثل هذا العمل ما بين ثلث الليل إلى نصفه إلى أدنى من ثلثيه أي من ثلاث ساعات إلى ست ساعات إلى ثمان ساعات وهو يختلف صيفًا وشتاء.

٩- لا يتوقع الوصول إلى هذا المستوى من البداية وإنما يتم الصعود بالتدريج وقد يتطلب الأمر إلى سنوات حتى تصل إلى هذا المستوى، فتكون البداية بنصف ساعة مثلًا ثم بعد ستة أشهر تزاد إلى ساعة ثم بعد سنة تزاد إلى ساعة ونصف.

١٠- كلما زادت قناعتك بأهمية هذا العمل وقوي إيمانك بضرورته لحياتك كلما سهل عليك زيادة الزمن المخصص له.

١١- القيام بالقليل مع التطبيق التام للمفاتيح خير من الكثير الذي يهمل فيه تطبيق المفاتيح.

١٢- من المفيد إن أمكن تحضير ما يراد قراءته أثناء النهار مع قراءة تفسير موجز لآياته، أو تكون القراءة بعد القيام به لحل ما طرأ من أسئلة أثناء القراءة السابقة، أو الجمع بينهما أي قبله وبعده.

١٣- التوقف حين القراءة طويلًا والتفكير في معاني الآيات.

١٤- ما يفتح لك من معان وفهم للآيات يلزم عرضه على أهل العلم إن كان مما يتطلب ذلك.

١٥- تطبيق هذه المفاتيح يفيد في تعميق فهم الآيات والنزول إلى أعماق المعاني، فهذه المفاتيح تشبه أدوات الغوص في البحار فالقرآن له ظاهر وباطن فظاهره الألفاظ التي يشترك في رؤيتها وسماعها كل الناس وباطنه لا حد له وكل يصل إلى ما يفتح الله عليه، بعض الناس

يسبح فوق سطح البحر من العقبة إلى عدن فإذا وصل قال لم أجد ما تذكرون من اليواقيت والجواهر واللؤلؤ والمرجان وغيرها من الكنوز الثمينة فنقول له الأمر يحتاج إلى أدوات غوص وأنت لم تستخدمها.

١٦- نريد بالمعاني: الفهم الدقيق العميق لما تعنيه الألفاظ، ومن أمثلة ذلك:

۞ مثال (١):

إذا سمعت كلمة «جنة» عليك أن تقف عندها لتتخيل وتتصور ظلالها وأنهارها ولباسها وأراضيها وأثاثها وخضرتها ومجالسها ونساءها... تصورها بكل تفصيلاتها الدقيقة من لون وطعم ورائحة ومنظر وطول وعرض وملمس.

۞ مثال (٢):

وإذا قرأت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: الآية ٣٧]. تقف لتتصور هذا المعنى من كافة أبعاده وتحاول تعميقه في قلبك.

١٧- يتم زيادة المقدار إذا وجدت إمكانية لزيادة الوقت المخصص لحفظ معاني القرآن الكريم.

١٨- إذا لم يمكن زيادة الوقت فلا يسمح بزيادة المقدار لأنه يؤدي إلى النقص في تطبيق مفاتح التدبر.

١٩- القراءة تكون حسب ترتيب القرآن فمن وصل إلى سورة عبس مثلًا فإنه يبدأ بها ثم التكوير ثم الانفطار إلى سورة الناس.

٢٠- القلب هو الميدان الذي يدور فيه الصراع بين النفس والشيطان

وتطبيق حفظ المعاني يملأ القلب بالصور والمشاهد والأفكار الحية المفيدة مما لا يبقى معه للشيطان ووساوسه مساحة يتحرك فيها فهو بهذا الاعتبار أقوى الأدوية لتحقيق طمأنينة القلب وسكينة النفس والخلاص من الوساوس وقوة التحكم بالخواطر والأفكار ومن ثم التحكم بالسلوك والأفعال وما يترتب على ذلك من قوة معنوية في كافة مجالات الحياة.

٢١- يمكن في البداية التدريب على القيام بالقرآن نهارًا حتى يسهل ثم نقله إلى الليل.

٢٢- دائمًا تأكد أنك تطبق المفاتيح كاملة وعدم النقص في أحدها أو في جزء منها.

٢٣- الهدف النهائي الذي تسعى إليه أن تختم القرآن كاملًا حفظًا كل أسبوع في صلاة في ليل جهرًا بترتيل وتكرار مما يؤدي إلى قوة ربط القرآن بواقع الحياة والإيمان بالله وكلماته، فإن أمكنك بلوغ هذا الهدف في حياتك وإلا فأنت على نيتك مادامت نية صادقة حاضرة، فمن سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

۞ المسألة الثانية: أيهما أولى حفظ القرآن أم تدبره؟

الأصل أن هذا السؤال غير وارد لأنه لا تعارض بين حفظ ألفاظ القرآن وتدبر معانيه فيجب أن يسيرا معًا، ولم يكن هذا السؤال واردًا في أذهان الصحابة ﷺ فمنهجهم في هذه القضية واضح ظاهر وإنما نشأت الحاجة للكلام في هذه المسألة بعد وفاة النبي ﷺ وتوسع الفتوحات وتعدد أجناس وفئات الداخلين في الإسلام حين خفي على البعض الهدف والغاية التي من أجلها أنزل القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ

مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ [ص: الآية ٢٩].

فنسوا أن حفظ الألفاظ وسيلة إلى تدبر المعاني ومن ثم العمل بها فقصروا همتهم وغايتهم وهدفهم على حفظ الألفاظ فصار جل وقتهم وجهدهم وانتباههم ووعيهم منصب على تثبيت صور الكلمات وحروفها مع نسيان للمعاني، وحتى حفظ الألفاظ لا يتم بصورة منهجية بل ما يحفظ اليوم ينسى غدًا ثم يعود للأول وينسى الثاني وهكذا دأبه طول حياته تعاقب بين الحفظ والنسيان.

وقد جاهد الصحابة ﷺ في علاج هذه القضية، ومن أقوالهم في هذه المسألة:

١ - عن ابن عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر الأمة لا يحفظ القرآن إلا السور ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن وإن آخر الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به(٧).

٢- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا صعب علينا ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به(٨).

٣- وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كان يقترئون من رسول الله عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل

(٧) تنمية القدرة على تدبر القرآن (ص ١٥)، محمد الدويش.
(٨) المصدر السابق.

قالوا: فعلمنا العلم والعمل[٩] وقد حذر النبي ﷺ من الفصل بين حفظ اللفظ وتدبر المعنى حين وصف طائفة من المسلمين أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأن مثل هذا النقص في تدبر القرآن يكون سببًا للخروج من الدين والزيغ عن الصراط المستقيم، ويصبحون شؤمًا على الأمة وسببًا في تفريق صفوفها وتمزيق وحدتها.

فالمنهجية في هذه القضية أنه عندنا ثلاثة أمور لابد من العناية بها:

الأول: الحفظ المتقن للألفاظ ولو كان المحفوظ قليلًا.

الثاني: التأكيد على هدف التفكر والتدبر وأنه الأصل، والاجتهاد في الأخذ بالأسباب المؤدية إليه.

الثالث: الاجتهاد في ربط العلم المكتسب بالعمل بتدريب مستمر مكثف إلى أن يحصل النجاح في اقتران العلم بالعمل والنظر بالتطبيق.

إن تحقيق هذه الأمور هو الطريق إلى التربية على أخلاق القرآن، أما الاقتصار على الحفظ المهلهل أو غياب قصد التدبر أو فقد محاولة ربط العلم بالعمل فهو السبب في أنك ربما وجدت من يقال إنه يحفظ القرآن كاملًا ومع هذا تصدر عنه أمور لا ترضى ولا تحمد بل يصعب التصديق بأن فاعلها يحفظ القرآن، فمتى تتفطن مدارسنا ومحاضننا التربوية إلى هذه القضية المهمة الخطيرة في مستقبل أجيالها.

إن الحفظ التربوي يربي التفكير وينمي الإبداع ويحقق الفهم السديد للحياة لأنه بأركانه الثلاثة يوسع مدارك الإنسان وينمي ملكاته الذهنية ويصقل مهاراته العملية أما الاقتصار على الركن الأول والاكتفاء به فقد

---

(٩) مسند أحمد - (ج ٤٧/ ص٤٦٤) (٢٢٣٨٤).

كان مدخلًا للطاعنين في سلاح الحفظ التربوي الذي وهبه الله لهذه الأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس تحمي به نفسها وتحقق لدين الله تعالى النصر والتمكين.

۞ المسألة الثالثة: التكرار التربوي:

«لأن تقرأ كتابًا ثلاث مرات خير من أن تقرأ ثلاثة كتب» قاعدة سمعتها عن بعض مشايخنا.

التكرار التربوي ركن أساسي في التربية ينبغي أن يراعيه المربي أيًّا كان موقعه، في البيت، في المسجد، في المدرسة، في المجتمع، وكون المعلومة تذكر ولا تكرر فإنها تنسى، والعلم بحر لا ساحل له فليس أمامك إلا أن تقتصر على قدر معين تكرره باستمرار لكي يحفظ فلا ينسى ويحدث أثره في النفوس.

النفس تمل من التكرار وما ذاك إلا بسبب فراغ الألفاظ من المعاني وإلا اعتبرته تكرارًا.

لقد كان النبي ﷺ يطبق التكرار التربوي في القراءة في الصلاة فكان غالب قراءته من المفصل، وانظر إلى أي كتاب في الصلاة تجده يذكر هذا الأمر(١٠) حتى إن كتب الفقه حين تبين القراءة في الصلاة تقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار، قال ابن قدامة: «ويسن أن يقرأ بعد الفاتحة سورة تكون في الصبح في طوال المفصل وفي المغرب في قصاره وفي سائرهن من أوساطه لما روي جابر بن

---

(١٠) «صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها» الألباني (ص٨٩) وما بعدها، و«زاد المعاد» لابن القيم (١/ ١٩٣) وما بعدها.

سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ(ق) رواه مسلم، وعنه: أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطارق: الآية ١]، و﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: الآية ١]، ونحوهما من السور رواه أبو داود، وعنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دحضت الشمس صلى الظهر ويقرأ بنحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [الليل: الآية ١] والعصر كذلك والصلوات كلها إلا الصبح فإنه كان يطيلها، رواه أبو داود وما قرأ به بعد أم الكتاب في ذلك كله أجزأه» اهـ[١١].

نعم ورد أن النبي ﷺ قرأ بسور أخرى مثل الأعراف والأنفال والمؤمنون والروم وغيرها لكن الغالب على قراءته المفصل حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ»[١٢]، ومن التكرار التربوي الأسبوعي قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان في كل جمعة في صلاة الفجر وسبح والغاشية أو الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، ومن التكرار التربوي اليومي قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاة فريضة أو نافلة وقراءة سورتي الكافرون والإخلاص في راتبة الفجر، هذا التكرار التربوي في قراءة القرآن في الصلاة أما التكرار التربوي في الأذكار والأدعية داخل الصلاة وخارجها فأمر معلوم وهو كثير.

إن السنة في قراءة القرآن في الصلاة واضحة وضوح الشمس إلا أن البعض غفل عنها فتجد بعض أئمة المساجد منهج قراءته في الصلاة

---

(١١) «الكافي» لابن قدامة (١/ ٢٤٢).

(١٢) صحيح البخاري (٣/ ٢٣٤)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٥٩)، سنن الترمذي (٢/ ٤٧٩).

الجهرية انتقاء المقاطع من القرآن طول العام طلبًا للتجديد والتنويع - حسب رأيه - أو ليسمع الناس معظم القرآن، وبعضهم يقرأ القرآن متتابعًا في الصلوات الجهرية فيختمه في السنة مرة أو مرتين وإلى كل هؤلاء أقول: أأنتم أعلم أم رسول الله ﷺ، المربي الحكيم الذي يعرف ما يصلح الناس وما يصلحهم ويعرف أسرار النفوس وما تحتاجه من منهجية في الوعظ بالقرآن.

إن من يتأمل ويمعن النظر في هذه المسألة ويقف فيها وقفة صادقة يتبين له الحق، أما من ليس لديه وقت لكي يقرأ ويتدبر فأنى له أن يصل إلى المنهجية الصحيحة في أموره كلها.

وليس من التكرار التربوي التزام أواخر وأواسط سور معينة، لأن فيه مخالفة للسنة.

قال ابن تيمية في «الفتاوى» (١٣/ ٤١٢): وأما القراءة بأواخر السور وأوساطها فلم يكن غالبًا عليهم ولهذا يتورع في كراهة ذلك، وفيه النزاع المشهور في مذهب أحمد وغيره، ومن أعدل الأقوال قول من قال: يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا لئلا يخرج عما مضت به السنة وعادة السلف من الصحابة والتابعين اهـ.



المبحث الخامس

حفظ العمل بالقرآن الكريم

حفظ العمل هو الركن الثالث من أركان الحفظ التربوي وحقيقته ربط العلم بالعمل أي بالواقع، بحيث يتم تطبيق ما تضمنه القرآن الكريم من توجيهات في جميع أمور الحياة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: الآية ٣٢].

في هذه الآية سؤال عن هدف التمهل في إنزال القرآن وتفريقه على سنوات حياة النبي ﷺ كلها طوال ثلاث وعشرين سنة وكان سبحانه وتعالى قادرًا أن ينزل القرآن الكريم جملة، ينزله كله في ليلة واحدة، فيأتي الجواب الذي يعتبر منهجًا لكل مسلم في هذه الحياة إنه: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، وتثبيت الفؤاد يعني قوة القلب وصحة النفس التي هي شرط لتحقيق النجاح في جميع مجالات الحياة، ومثل هذا البناء التربوي لا يتناسب معه العجلة بل يحتاج إلى التدرج والتمهل، لأن بناء النفوس يختلف عن بناء أي شيء في هذه الحياة يحتاج إلى قاعدة: ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، فثبات اللفظ ورسوخ المعنى الذي يسهل ربط العلم بالعمل وتكوين المهارات التربوية يحتاج إلى ترتيل أي تمهل وطول نفس وصبر وأناة أما الاستعجال فلا يبني الرجال.

فمن أجل ذلك كان نزول القرآن منجمًا على الأيام والسنين تربية

للنبي محمد ﷺ وأصحابه حالًا بعد حال وسنة بعد سنة، وهو منهج لتربية الناس في كل العصور.

فهذا سر عظيم من أسرار التربية بالقرآن الكريم فمن أراد أن يحصل على طمأنينة القلب وسكينة النفس وثبات الفؤاد فعليه بحفظ القرآن رويدًا ومهلًا وتؤدة وسكينة وليحذر من العجلة.

إن ما نسمع عنه من المفاخرة في حفظ القرآن في شهرين أو (٥٦) يومًا أو حفظ البقرة في يوم أو حفظ (٤٧) وجهًا في يوم كل هذا ليس على الهدي الصحيح وإن كان القصد والنية صالحة، فالمنافسة ينبغي أن تكون بطول المدة وليس بقصرها وبقلة العدد لا كثرته فهذا هو المنهج المأثور عن السلف المقرر في القرآن والسنة.

قد يقول بعضهم: أحفظ اللفظ أولًا ثم أتفرغ بعد ذلك للتدبر، فنقول له: لم تفصل بين الأمرين؟ وقد رأيت الصحابة رضي الله عنهم لم يفصلوا بينهما، ثم لم العجلة وما الذي يمنعك من التمهل والتأني وجمع أركان الحفظ جميعا؟.

إن حفظ القرآن يكون بالتدريج مع اجتهاد شديد في التطبيق لما يتم حفظه حتى يرسخ علمًا وعملًا.

من يحفظ القرآن متبعًا هذا المنهج الرباني يحصل له ما وعد الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ من تثبيت الفؤاد وما يترتب عليه من نجاح في كافة مجالات الحياة، ومن أمثلة ذلك:

۞ المثال الأول: في حالة الغضب:

من يسير على منهج الحفظ التربوي بأركانه الثلاثة مدة كافية فإنه إذا

تعرض لمثل هذا الموقف فإنه يتصدر انتباهه ووعيه قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٤]، ويسرح خياله فيما أعده الله تعالى لمن يملك نفسه عند الغضب من أجر وثواب، ويرد إلى قلبه بكل قوة قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠]، ويسمع نداء الله يناديه قائلًا: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: الآية ٦].

وتنهال عليه الآيات من كل جهة كلها تقول له: اثبت اثبت، وهكذا تتسلسل الروابط ويشتد تداعيها حتى ربما يتعجب من حاله من يراه ويراقبه فيقول: ما هذا البرود؟ أهو أعمى لم ير؟ أو أنه أصم لم يسمع؟ لا ليس الأمر كذلك بل إنه لنثبت به فؤادك.

ثم قارن هذه المنزلة العالية والمرتبة الرفيعة من سكينة النفس وثبات القلب لمن كانت صناعته بالقرآن وبين بعض التمارين التي يذكرها المستوردون لفكر الغرب وثقافتهم ومن ذلك:

۞ تمرين (١):

إنه أذا أغضبك شخص فعليك أن تعد من العشرة إلى الواحد لمدة عشرين ثانية فإنك بهذا تنجو من كثير من الحماقات. اهـ.

۞ تمرين (٢):

أنه إذا جاءك ما يغضبك فإنك تتخيل أنه سهم يريد الدخول إلى دماغك وأن في يدك ريموت ليزر فتشير إليه بيدك وتقوم برفعها تجاهه ثم إنزالها بقوة من الأعلى إلى الأسفل مع النطق بكلمة «شست» فأنت

بذلك تقوم بإحراقه والقضاء عليه وهذا مجرب واستفاد منه الكثيرون اهـ

۞ المثال الثاني: حالة الشدائد والمصائب:

في هذه الحالة تتوارد عليك الآيات التي صحبتها طول السنوات الماضية تعزيك وتسليك وتثبتك فيأتي إليك: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وتكون قوية مؤثرة ويأتيك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. أي الآن في مثل هذه المواقف العصيبة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في عرصات القيامة وكرباتها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، ويرد إليك قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: الآية ٤].

فتحس بالسكينة تغمر قلبك، ويأتيك قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: الآية ١١].

فتحس ببرد الإيمان واليقين يثلج صدرك ويطفئ حرارة حزنك وهمك.

إن بعض الناس حينما يقعون في مثل هذه الأحول ويمرون بمثل هذه المواقف لا يجدون ما يسعفهم وينقذهم حتى إنهم أحيانًا ليتشبثون بقشة الغريق طلبًا للنجاة فتراهم يرددون بعض الكلمات التي يُصبِّرون بها أنفسهم ويحاولون بها شد أزرهم وهي لا تغني عنهم شيئًا.

الفرق بين من يطبق الحفظ التربوي ومن لا يطبقه أن الثاني في مثل

تلك المواقف يذهل ولا يتذكر هذه الآيات أبدًا ولو ذكر بها فإن يقينه بها ضعيف لا يفيده شيئًا، بينما الأول ترد إليه الآيات تلقائيًّا وفي سرعة خاطفة وبقوة مثبتة ففرق بين الاثنين ومن جد وجد ومن زرع حصد والمكارم لا تنال إلا بالمكاره أي بالجد والعمل على منهج صحيح، فالحياة معادلة فبقدر ما تتعب وتجتهد بقدر ما تجني وتربح وخاصة في مثل هذا الميدان، فهذا الجزاء وهذه النتيجة وعد صادق من عند الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦].

۞ المثال الثالث: عند وساوس الشيطان:

عندما يهم الشيطان بإزعاجك بالوسواس والأفكار التي تسيء إليك فإن آيات التوكل والاستعانة بالله تعالى التي تم تثبيتها بقوة في القلب تتفاعل في قلبك فتؤيدك وتحوطك وتحرسك، وكذا آيات التحصين من الشيطان وغيرها فتكون محفوظًا محروسًا من كل فتنة ومن كل شدة من كل شبهة.

مثل هذا الربط ومثل هذه القوة القلبية النفسية قد لا يتأتى من أول موقف أو الثاني والثالث لكنه يرسخ بعد تكرار المجاهدة ومحاولة الربط.

وسهولة الربط وصعوبته تتوقف على مقدار الجهد الذي يبذل في الركنين الأول والثاني فكلما قوي تطبيقهما كان تطبيق الثالث وحصول الربط أسرع وأسهل.

إنها روابط كثيرة جدًّا كفيلة بأن تملأ على الإنسان تفكيره حتى ربما لا يجد وقتًا للتفكير في كثير من الأمور وخاصة تلك الخواطر التي تعيق الإنسان عن تحقيق طموحاته ونجاحاته في الحياة مثل النظر أو التفكير في الصور المحرمة، أو الحسد والغيرة، أو شرود الذهن في الصلاة وعند قراءة القرآن.

فمن يقيم هذا الركن من أركان الحفظ التربوي يحصل على نسبة عالية في تركيز الذهن مما يساعده جدًّا في تحقيق أهدافه في الحياة والتخلص من كل صور المعاناة التي تعيقه عن التقدم والتطوير.

إنه ما من أمر من الأمور العلمية أو العملية التطبيقية التي يراد تأصيلها وتوصيلها في حياة الناس إلا ويمكن تحقيقه من طريق القرآن والسنة وخاصة فيما يتعلق بصناعة الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٣].

إنه يمكن لأبناء المسلمين أن يكتبوا في مثل هذه المجالات كتابة مستقلة تمامًا وصافية ونقية، كتابات تفوق بكثير كتابات أهل الحضارات الأخرى.

إن ما أدعو إليه من الاستقلال في الطرح يحتاج إلى قناعة أولًا ثم تشمير وجد في التفكير والمعالجة والتنظير، أما الترجمة والنقل فلا تحتاج أكثر من قص ولصق فإذا النكهة نكهتهم والنغمة نغمتهم والطعم طعمهم والمذاق مذاقهم فأنى لأمة هذا نهج مصلحيها ومفكريها ومثقفيها ومدربيها أن تتفوق على غيرها.



المبحث السادس

مفاتيح حفظ القرآن الكريم

مفاتيح إنجاز مشروع حفظ القرآن سبعة مجموعة في قولك: «حور عين».

الأول: حدد، وله سبع أدوات مجموعة في قولك: «كم أملك».

الثاني: حدث.

الثالث: وكل.

الرابع: ركز.

الخامس: عقب.

السادس: يسر.

السابع: نفذ.

۞ المفتاح الأول: حدد:

حدد تعني قرر أي اتخذ القرار الحازم الأكيد القوي لما تريد فعله أي اعقد النية الجازمة التي لا تردد فيها.

إن هناك فرقًا بين أحدد وبين أرغب، الفرق بينهما هو الفرق بين الجد والكسل بين الحقيقة والخيال بين العزائم والأماني.

جرب أثر اتخاذ القرار على أمر حيوي يمر معك يوميًا وهو الاستيقاظ

من النوم فحين يكون القرار حازمًا وصريحًا وواضحًا لا يقبل الشك فإن الاستيقاظ يتم في الموعد المحدد وفي كثير من الأحيان يحصل الاستيقاظ تلقائيًا دون منبه، أما إذا لم يوجد القرار أصلًا أو كان رخوًا ضعيفا هزيلًا فيه تردد وتنازعه رغبات متعددة فالغالب في مثل هذه الحال لا يحصل الاستيقاظ حتى مع وجود المنبه أو يحصل الانتباه ثم مواصلة النوم مرة أخرى.

ومما يكشف صدق أحدد أو أقرر ويوضحها ست أدوات في غاية الأهمية متى أمكنك تطبيقها اكتشفت الفرق، وهي ست أدوات مجموعة في قولك: «كم أملك».

ك: كم.

م: متى.

أ: أين.

م: ماذا.

ل: لماذا.

ك: كيف.

وتفصيلها كما يلي:

۞ الأداة الأولى: كم:

القياس مهم جدًّا لإنجاز أي مشروع أو هدف في هذه الحياة، يقول بعضهم: هدف لا يمكنك قياسه الأولى لك أن تنساه.

وهذا كلام حق وواقع فالقياس من الأدوات المهمة وخاصة في هذا

الوقت بعدما تطورت الآليات وتشعبت أمور الحياة صار لابد من القياس لتعرف ماذا تحتاج وما حجم المشروع ومتطلباته ثم لتعرف ما مضى وكم بقي في كل مرحلة من مراحل المشروع.

وتطبيق هذه الأداة على مشروع حفظ القرآن الكريم أن تحدد المقدار الذي تريد حفظه، هل القرآن الكريم كاملًا أو نصفه أو ربعه أو عشرة الخيار لك لكن لابد أن تتخذ قرارًا واقعيًّا لا تتراجع عنه ولا تتركه إلا بقرار آخر يعدل القرار السابق.

ثم تحدد المدة الكافية تمامًا لإنجاز هذا القدر أو الكمية المحددة هل شهر أو سنة أو خمس سنوات.

ومن القواعد المهمة ضمن هذه الأداة قاعدة كم بقي؟ فإذا حددت كمية معينة لإنجازها خلال مدة محددة ربطت بموعد محدد وكان هذا الموعد بعيدًا فمن المهم يوميًّا أو أسبوعيًّا معرفة المنجز ومعرفة كم بقي سواء في ذلك الكمية أو الزمن أي المدة.

فمثلا حددت أن تحفظ عشر سور من القرآن خلال ثلاثة أشهر، ابتداء من شهر محرم إلى نهاية شهر ربيع الأول، فمن المهم بل الضروري يوميًّا وكل صباح أو مساء أن تعرف كم أنجزت؟ وكم بقي عليك؟ وهل تطبيق الخطة يسير بخطوات صحيحة أو لا؟

إن عدم التحديد ودعوى المشي بالبركة كما يقولون يعتبر فوضى وليست من البركة في شيء، بل الصحيح أن تحدد حسب طاقتك وتسأل الله تعالى التسهيل والتيسير والبركة بأن تنجز ما حددت من الكمية في المدة المحددة لها أو قبل ذلك أما ترك التحديد فهو من أبرز العلامات على عدم اتخاذ القرار.

۞ الأداة الثانية: متى:

وهذه أداة عظيمة النفع والفائدة، من يستطيع أن يمتلكها ويتعامل معها يصبح من الناجحين البارزين في تحقيق الأهداف وإدارة المشاريع والأعمال وتنظيم الوقت. بعد أن حددنا كم الكمية وكم المدة، نكون حددنا المسافة وحددنا الزمن بقي علينا أن نحسب وقت الوصول، وهو الموعد الذي تحدده لإنجاز الكمية المطلوبة على خط الزمن وهو موعد عام يدخل تحته مواعيد تفصيلية صغيرة تؤدي إليه.

يمثل تطبيق هذه الأداة جداول الحفظ التي سبق شرحها في حفظ ألفاظ القرآن الكريم.

ونحتاج إضافة إليها تحديد مواعيد مؤكدة لتطبيق كل جدول من تلك الجداول فمثلًا نحتاج تحديد موعد للمراجعة العامة، وموعد لمراجعة المرحلة، وموعد لحفظ الجديد ويشمل مراجعة السورة وحفظ مقطع جديد منها.

ولتعلم أن النجاح في تحقيق مشروع حفظ القرآن يتوقف على نجاحك في تحديد هذه المواعيد وتنفيذها وبدونها فلن تتقدم شيئًا يذكر، والنجاح فيها متوقف على فقه المفاتيح السبعة علميًّا ثم فقه تطبيقها عمليًّا وكثرة التدريب عليها.

تذكر أنك أنت المدير وأنت الموظف فتابع نفسك بنفسك.

لابد من تحديد مواعيد لحفظ القرآن، مواعيد تحترمها وتحرص تمام الحرص عليها.

إن البعض يريد حفظ القرآن في الفراغ أي خارج الأربع وعشرين

ساعة لأنك لو سألته أين المواعيد اليومية لحفظ القرآن لم تجد جواب، إن مثل هذا هو العاجز الذي يتمنى على الله الأماني، فأنى له أن يحفظ القرآن ما دامت هذه حاله، أين الجود والكرم والسخاء بالوقت على القرآن، ألا تجود نفسك أن تخصص له يوميًّا ساعة أو ساعتين من بين تلك الساعات التي تذهب هباء منثورًا وتضيع سدى، إنك لو خصصت ساعة يوميًّا لحفظ القرآن من خالص وقتك فإنك ستحفظه بإذن الله مهما كنت ومهما كانت قدراتك لكن تبقى مسألة وقت.

إن من يصرف للقرآن ثلاثمائة وخمسين ساعة كل سنة فإنه على خير.

۞ الأداة الثالثة: أين:

وهذه الأداة تبين مكان تنفيذ المشروع وما يتطلبه من إمكانات وأدوات وعوامل مساعدة، فقد تحتاج مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم أو معهدًا مميزًا وقد تحتاج زملاء من نوع خاص تختارهم بعناية ليكونوا عاملًا مساعدًا على تحقيق المشروع وقد يتطلب الأمر بعض الأجهزة والأدوات المكتبية والنماذج وغيره فكل هذا تجيب عنه هذه الأداة الصغيرة في حجمها الكبيرة في فائدتها. بعض الناس ممن يتمنى ولا يقرر يقول في نفسه: إنه يريد حفظ القرآن الكريم ويتمنى ذلك لكن لو سألته: أين؟

فجوابه: لا أدري المهم أني سأحفظ.

۞ الأداة الرابعة: ماذا:

أن تعرف ماذا تريد هو البوابة الأولى لاتخاذ القرار الصحيح.

«ماذا» تعني العلم العميق الواسع المفصل بمضمون الهدف الذي تسعى لتحقيقه من كل جوانبه، علمًا مكتوبًا بل حاضرًا في القلب كل

حين، وفي مشروع حفظ القرآن الكريم الجواب عن هذه الأداة واضح ومحدد.

۞ الأداة الخامسة: لماذا:

هذا السؤال هو الفيصل والفارق بين الناجحين والفاشلين، فمن يملك الإجابة الواضحة المحددة القوية العميقة عن هذا السؤال تجاه الهدف الذي يسعى لتحقيقه الغالب أنه ينجح فيه ويقفز خطوات كبيرة وسريعة في تحقيقه.

وتشغيل هذه الأداة يتطلب جهدًا غير عادي والملاحظ أن العديد ممن يحاول تحقيق أهدافه أنه لا يولي هذه الأداة العناية التي تستحقها أو الرتبة التي تتطلبها، والمقصود بهذه الأداة أن تعرف المقاصد والغايات للهدف الذي تسعى لتحقيقه أي: المكاسب التي تحصل عليها عندما يتحقق، والخسائر التي توجد عندما لا يتحقق أي: المنافع والأضرار.

وفي مشروع حفظ القرآن الكريم يلزمك أن تكتب بخط يدك وبقلمك كل آمالك وأحلامك وأمنياتك التي تتوقع أن تحصل لك حين تنجز هذا الهدف وتقوم بقراءتها يوميا أو أسبوعيا قراءة تربوية متكاملة ذلك أن النقص في تحقيق هذه الأداة هي الفيروس الذي يفترس مشروعك فيذهب به عن الأنظار ويلقيه في غياهب النسيان فاختر لنفسك ما شئت فإن كنت حقا تريد حفظ القرآن الكريم فعليك بهذه الأداة المهمة والتي لا تكلفك شيئا في مقابل ما تحققه لك من أرباح.

۞ الأداة السادسة: كيف:

وهذه أيضا أداة مهمة جدًّا يحتاجها كل من يريد النجاح في تحقيق أهداف وإنجاز مشاريعه، وإنه من الخطأ والخطر التقليل من شأنها ذلك

أنه ربما فرق يسير في الكيفية يكون مفترق الطريق بين النجاح والفشل، وحفظ القرآن له كيفيات وطرق وأساليب بينتها في نظام الحفظ الأسبوعي فعليك بتعلم مفردات هذه الطريقة ومحاولة تطبيقها بمفردك أو بمساعدة زميل أو معلم أو مستشار أو مدرب.

۞ المفتاح الثاني: «حَدِّث»:

بعد أن انتهيت من تصميم هدفك وتخطيطه بشكل متكامل من كافة جوانبه أنت محتاج إلى حفظ المشاعر والأحاسيس والأفكار والمعلومات التي صاحبت هذا التصميم وعليه فأنت بأمس الحاجة إلى هذا المفتاح «حَدِّث» وهو يعني تلخيص المخطط وحفظه وتكرار التفكير به طوال الوقت ليكون في مقدمة الوعي والاهتمام فيحصل التركيز عليه وتذكره ويستمر الحماس لتنفيذه فتقل المقاومة المضادة له وخاصة من بعض المثبطين من زملاء وأقران وربما أقارب وقبل ذلك الشيطان الذي يوسوس لك على مدار الساعة فأنت بأمس الحاجة إلى سلاح قوي يكون مضادًا لكافة أنواع المقاومات، احذر من المثبطين من يقول لك صعب، لا يمكن، مستحيل، واقترب ممن يشجعك، ويعينك.

إن «حَدِّث» تمثل الجهاز الإعلامي في شخصيتك فبعد أن أصدرت القرار يجب نشره بكل ما أوتيت من قوة وبكافة الوسائل والأدوات، فأي قرار مهم يراد تنفيذه وتطبيقه لا يصح أن يبقى حبيس الأدراج أو حبيس النسيان بل لابد من إعلانه مرارًا وتكرارًا سرًّا وجهارًا واستعمل في هذا جميع الإمكانات المتاحة لك من طباعة وألوان، ولوحات إعلان وجدران، وتسجيل صوتي ومرئي، يلاحقك في كل مكان يلح

عليك ويطالبك بالتنفيذ.

ومن الأساليب المفيدة استخدام بعض الصفحات في مفكرتك لتحتوي على نسخ من مخططاتك.

ومن الوسائل المفيدة في هذا المجال سبورة الإعلانات اللاصقة تكون في غرفتك أو مكتبك أو مكتبتك بحيث تراها معظم اليوم تعلق عليها جميع مخططاتك وعباراتك التحفيزية، إنها بمثابة المذكر الدائم تجبرك على القراءة في كل وقت، يجب تجديدها باستمرار وإعادة كتابة ما يراد استمراره، استعملها بشكل متحرك وحيوي ونشيط واخدمها لتخدمك، تفنن في الإخراج تعلم أساليب الإعلان وادرس أسراره واستفد منه في التأثير والتغيير.

۞ المفتاح الثالث: وَكِّلْ:

هذا المفتاح هو الأول من حيث الأهمية وجاء ترتيبه الثالث من أجل الترتيب الموضوعي للمبحث.

التوكل على الله وحسن الظن بالله تعالى وقوة اليقين هو الطريق لتحقيق الأهداف والوصول إلى التطلعات والأحلام وتحقيق الرغبات والأمنيات، فالله سبحانه وتعالى عند ظن عبده به فإن ظن به خيرًا أعطاه(١٣) فظنَّ بالله خيرًا ظنا جازمًا لا تردد ولا شك فيه ولا تجريب، اعزم المسألة، وادع الله تعالى وأنت موقن بالإجابة، تخير أوقات الاستجابة، وعليك بالأدعية المأثورة، فهي أبلغ في النص على المراد وأثرها في النفس أقوى متى وجد فهمها وإدراك معانيها.

---

(١٣) راجع الأحاديث ذات الأرقام (٨، ١٢٠) من «معجم السنة التربوي».

أكثر من الدعاء وتيقن الإجابة في كل وقت وإن لم تر ذلك فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده ويمتحن صدقهم ثم بعد ذلك يغدق عليهم الخيرات وينزل عليهم البركات فاصبر ولا تيأس من روح الله تعالى ولا تقنط من رحمة ربك، اثبت على الطريق وتوقع الفرج وحصول المطلوب في أي لحظة. وفي هذا المقام أؤكد على عدم الانسياق مع الأفكار المستوردة من الغرب التي توجه في مثل هذه الحالة إلى الاعتماد على النفس وتنسى الاعتماد على الله ﷻ أو تخلط الأمرين معًا خلطًا يفسد صفاء الإخلاص وينقص قوة الاستعانة بالله تعالى، ومن الأمثلة على ذلك قولهم: أنا قادر على ذلك، أنا أستطيع، أنا جدير بذلك، أنا استحق ذلك إلى غير ذلك من «الأنا» التي لم نجد لها مثالًا يحتذى في هدي النبي ﷺ وفي تطبيقات السلف لهذه المسألة، بل ما وجدناه هو التحذير الشديد من مثل هذه العبارات وأنها ربما دون قصد تكون ذريعة ووسيلة إلى العجب بالنفس وهو من الشرك بالله تعالى.

إن المعنى والهدف الذي يراد تحقيقه من هذه العبارات وأمثالها هو إيجاد الثقة والقوة واليقين بسهولة ويسر ما يراد تنفيذه من أهداف ومشاريع، وهذا يتحقق وبشكل أقوى وأفضل في حال إخلاص العبودية والاستعانة بالله تعالى وحده لا شريك له، ولا مقارنة بين الحالين.

۞ المفتاح الرابع: ركز:

تكاثرت الظباء على خراش وما يدري خراش وما يصيد

هذا البيت مثل من أمثلة العرب وأصل قصته أن خراشًا كلب صيد أرسله صاحبه على عدد من الغزلان أو الظباء وكانت كثيرة فاحتار وتردد أيها يصيد إلى أن ذهبت وأفلتت من يده فلم يصد شيئًا، وهو يصور حال

الكثير من الشباب في بداية صحوتهم ونهوضهم وإرادتهم البناء تجده يريد أن يصبح كل شيء وفي يوم وليلة تجده قد وزع وشتت نفسه بين كثير من مجالات البناء والتكوين وتمضي الأيام وهو لم يتقدم شيئًا يذكر.

ومن التطبيقات الخاطئة في هذا المفتاح أنك ترى أحدهم يسعى جاهدًا لحفظ القرآن كله في شهرين مثلًا بينما طاقته أقل من ذلك بكثير فتراه يحفظ هذه السورة ثم ينتقل للتي بعدها ثم ينسى الأولى وهكذا يدور في حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر، وترى بعضهم من محدودي القدرة إما بسبب القدرة الذهنية أو بسبب الانشغال بطلب المعاش تراه يكابد في حفظ السبع الطوال بينما لا يحفظ قصار السور حتى ربما لو طلبت منه قراءة سورة البروج أو الفجر لما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

إن الشخص إذا ركز جهده على هدف معين واستفرغ وسعه وأخذ الأمور بالتدريج وبدأ سلم الترقي من أوله فإنه ينجز أهدافه واحدًا بعد الآخر في وقت يسير وهكذا ينتقل من نجاح إلى نجاح وفق خطة مدروسة وبخطوات رتيبة تؤدي السابقة منها للاحقتها.

إن الاستعجال هو الداء العضال الذي يقضي على جهود المصلحين والمربين فالحماس غير الواعي وفي غير مكانه مرض تربوي خطير جدًّا يجب على المربي أن يشخصه فيمن تحت يده ويسلك في سبيل علاجه كافة الوسائل والسبل الحكيمة بالمنطق والحجة والتجربة وضرب المثل والمقارنة بين الناجحين والفاشلين، ومما يؤكد عليه في هذا المقام قياس القدرات واكتشافها فلا يهضم ذا المواهب فيعطل عما يمكنه تحقيقه ولا يظلم الأقل قدرة وموهبة فيقاس بمن فوقه بل يجب القياس

الدقيق المدروس وإعطاء الأرقام الصحيحة لكل فرد مع إقناع كل بمستواه بطريقة مناسبة وأنه في كل خير وليحذر المربون أشد الحذر في هذه القضية إذ الملاحظ أن الخطأ فيها يقضي على الهمم ويحطم العزائم ويؤدي إلى الفشل في التربية وتسرب الطلاب والشباب وانحرافهم عن طريق الخير.

البعض لو قلت له: هل تريد حفظ القرآن كاملًا بأناة وهدوء في خمس سنوات؟

فإنه يقول: الخمس كثيرة جدًّا بل أستطيع حفظه في أقل من سنة، ثم تمضي الخمس ومعها خمس أخرى وربما أضعافها وهو لم يحفظ شيئًا.

۞ المفتاح الخامس: عقب:

التعقيب: هو تعقب الشيء أي السير وراء المشروع بآليات تؤدي إلى متابعة سيره إلى أن يتم إنجازه.

وينقسم التعقيب إلى قسمين:

القسم الأول: المتابعة، وتنقسم إلى جهتين:

الجهة الأولى: متابعة التنفيذ.

ومن صور متابعة التنفيذ وضع جداول تبين المواعيد التفصيلية لإنجاز المشروع ومن ثم النظر في مدى المطابقة بين التخطيط والتنفيذ وتعديل ما يلزم باستمرار.

يوصى بالمرونة التامة في هذا الأمر فالتحديد الأول كان اجتهادًا وظنًّا وحكمًا على أمر مستقبلي، فقد تتغير بعض المعطيات أو المؤثرات فيوصى بعدم التحجر على التحديد الأول ولوم النفس على التقصير بل

يتم التعديل الفوري المباشر بما يضمن سير العملية وعدم توقفها.

ومن المهم في إدارة المشاريع تسجيل نتائج التنفيذ أولًا بأول موثقة بوقتها وملابساتها كاملة بطريقة منهجية ثم قياس الفرق والمقارنة بين التجارب المتنوعة والاستفادة من التاريخ والتأمل الطويل فيها وكثرة قراءتها ففيها تنشيط وحافز وفيها إصلاح وتغيير، وفيها دروس وعبر.

ومن المفيد في المتابعة توثيق مراحل الإنجاز باليوم والتاريخ واللحظة والمشاعر وكل ما يحتف بالتجربة من مؤثرات، إن الكتابة بحد ذاتها حافز على الإنجاز وقراءة التاريخ بعد مرور الوقت عليه له أثر مهم ويكون مرجعًا لتجارب أخرى، فالتوثيق مهم جدًا لكل تجربة مهما كانت، ويستوي في ذلك التوثيق الفردي أو المؤسس، ومن ذلك المدارس الخيرية التي لوحظ على بعضها عدم عنايتها بجانب الدراسات وتوثيق الخبرات والاستشارات.

الجهة الثانية: متابعة الأداء ومراقبة الجودة.

متابعة الجودة يعني تطبيق مقاييس وأنظمة الحفظ المذكورة في هذا الكتاب وغيرها بمعنى ألا تتنازل عن مستوى الجودة وألا تنسى أثناء الانشغال بالتنفيذ فيحصل النقص والضعف دون وعي وانتباه.

القسم الثاني: **التحفيز**:

وله وسائل متعددة من أهمها:

١- التذكير المستمر بمقاصد المشروع اتباع كافة الوسائل الإعلانية والإعلامية لإيصالها بقوة إلى أعماق النفس، ومقاصد وأهداف مشروع حفظ القرآن تجمعها النصوص الواردة في فضائل حفظه وفقهه والعناية

به وهي كثيرة جدًّا كل نص منها يبين نوعًا من أنواع الجوائز والمكافآت والأعطيات والهبات التي لو أدركنا قيمتها لما انشغلنا بغير القرآن طرفة عين ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٢- اختيار شيخ تثق بعلمه ودينه ومنهجه تعاهده على إنجاز هذا المشروع العظيم ويكون لك مستشارًا ومربيًا وموجهًا وناصحًا يرشدك إلى الأصلح والأفضل إلى أن تصل إلى نهاية الطريق وينبغي على المعلمين والمعلمات في المدارس أو الحلقات أن يعتنوا بهذه المهمة لأن لها أقوى الأثر في بناء اللبنات الجديدة فالناشئة بأمس الحاجة إلى التوجيه الفردي ونقل الخبرات الصحيحة بطريقة منهجية وهو أولى من التوجيه العام في الحلقة أو الصف فلابد أن يكون لكل طالب موجه مسؤول عنه يتابعه إلى أن يصل إلى النهاية، ولا مانع من تعدد الموجهين بشرط التنسيق بينهم فمثلًا يمكن أن يوجه الطالب من قبل معلمه في الحلقة ومعلمه في المدرسة ووالده ووالدته في البيت وبعض أقاربه، كلهم يتابعونه ويحثونه ويرشدونه.

٣- وبالنسبة إلى الكبار يمكن معاهدة شخص تحترمه وتقدره فتبلغه قرارك وتقول له مثلًا: قد قررت أن أحفظ ربع القرآن من سورة يس إلى سورة الناس خلال ستة أشهر أي سأنهي هذا المشروع بإذن الله تعالى في اليوم الأول من الشهر السابع.

أعرف أحد المشايخ - أثابه الله - له جهود مميزة في هذا المجال وذلك عن طريق الهاتف فيتصل بمن يتابعهم في الموعد المحدد وينصح ويوصي ويحث وقد نفع الله بجهوده.

وآخر يطلب ممن يريد الحفظ عليه مبلغًا من المال يكون رمزًا لإثبات

الجدية وتأمينًا للمصداقية يعاد في حال الإنجاز ويفوت على الطالب في حال الإخفاق.

٤- أن تعلن ذلك في الأسرة وأكثر من مرة وأن يكون ذلك بنية الحث والتحفيز وليس بنية المفاخرة والأعمال بالنيات، فأنت لا ترجو منهم نفعًا ولا تخاف منهم ضررًا إنما هو مجرد التذكير، وقد يصحب مثل هذا الإعلان وعد بهدية أو مكافأة لشخص معين إن تم إنجاز المطلوب في موعده المحدد.

٥- اختيار زميل يكون قريبًا منك مكانًا وطموحًا تتحداه ويتحداك تتنافس أنت وإياه على إنجاز المشروع فهذا له أكبر الأثر في مواصلة السير وحضور الهدف في كل وقت والتغلب على كثير من المعوقات النفسية وطارد فعال للكسل والخمول ومنشط مجرب على الجد والسير، والأمثلة في تاريخ سلفنا الصالح كثيرة جدًّا وقد أمر الله ﷻ بهذا المبدأ في آيات كثيرة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٦].

٦- تذكر تحدي الشيطان وهو من الحوافز المهمة التي لا يصح أن نغفل عنها أو ننساها طرفة عين وقد جاء تقريره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدًّا.

تذكر دائما أن الشيطان يحاول إبعادك عن هذا الكتاب العظيم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٣].

فهذا القرآن هو الهدى الذي وعد الله بإرساله إلى آدم وذريته من بعده

وهو موضوع الصراع بين الإنسان والشيطان، فهذا القرآن أخبر الله عنه أنه روح ونور للإنسان كما في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

والشيطان قطع على نفسه العهد أن يبعد هذا الإنسان عن مصدر هدايته إلى الصراط المستقيم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٦].

إن ما يسميه المستوردون لعلوم الغرب بالرسائل السلبية المثبطة المعوقة مصدرها الشيطان، فكلما ورد عليك شيء منها وأنت في طريق تحقيقك لهذا المشروع العظيم - مشروع الحفظ التربوي للقرآن الكريم فاستعذ بالله منه كما وجهك الله ﷻ إلى ذلك ودع عنك تلك الطرق والأساليب السطحية في التعامل مع هذه القضية الكبيرة الخطيرة.

٧ - ومن طرق تحفيز الخامل إكسابه أي نجاح مهما كان صغيرًا ومن ثم تكبيره والإشادة به فهذا يبعث في نفسه الأمل والطموح ويكسبه نشاطًا وتأثيره يفوق أثر أي جائزة ذلك لأنه يعدل من اعتقاده عن نفسه ويطلعه على ما وهبه الله تعالى من قدرة على التفوق والنجاح.

وأنبه هنا إلى بعض ما يلاحظ على نظام التحفيز في الحلقات:

من ذلك التركيز على الحوافر الدنيوية ويقتصر عليها بينما ينسى التحفيز الأخروي أو الشرعي.

ومن الملاحظ أيضًا في مجال الحوافز الغفلة عن بعض الجوانب التربوية في التحفيز من ذلك - وهو خطأ شائع - الاقتصار على تشجيع

وتحفيز المثالي وإهمال من دونه أو إشعاره بالنقص والدونية من خلال ما يعلن من الدرجات أو يمنح من الجوائز والمكافآت غير ملتفتين لما يحدث من وراء الكواليس والخفاء بين الطلاب والأقران إنها مسألة حساسة وتحتاج من المربي إلى يقظة وانتباه وفطنة وصدق.

إن مكافأة أحسن طالب، وأفضل بحث، وأجود مقال... الخ، أسلوب تربوي يهدم أكثر مما يبني فهو يلغي جهود الباقين ويقتل الطموح ويشل الإبداع، ويحصر التشجيع في أفراد معدودين ويهمل الآخرين.

إن الاقتصار على مكافأة الموهوب والمثالي(١٤) لا يعني أبدًا النجاح الإداري للحلقات والمدارس إنما النجاح في هذا المجال أن تصنع من الفاشل ناجحًا وأن تستطيع أن تثير همم الجميع وتنشط عزائم كل الصف بحيث يصبح الجميع مثاليًّا والجميع موهوبًا لكن كل على قدر طاقته وقدرته، فمثلا طالب طاقته حفظ خمس آيات في اليوم وآخر طاقته حفظ خمسين آية هم متساوون في المكافأة والجائزة مع أن مقدار الحفظ متفاوت جدًّا، بل لو حفظ الأول خمس آيات بينما حفظ الثاني عشرين آية فإن الأول أجدر بالمكافأة والجائزة من الثاني فالقياس بالكم وحده وإهمال القدرة خطأ تربوي شائع في نظام التحفيز.

وأختم الكلام في هذا المفتاح بالتنبيه على أمر مهم وهو أنه إذا تم تشغيل المفتاح الثالث بشكل صحيح تقل الحاجة جدًّا إلى هذا المفتاح

---

(١٤) انظر: «الحلقات القرآنية» عبد المعطي طليمات (ص١٤٤)، و«حياة في الإدارة» غازي القصيبي (ص٥٥)، ومعظم المصادر في الإدارة والنجاح تكلمت عن هذه القضية.

ذلك أن حسن الظن بالله تعالى يصنع العجائب فكلما قوي اليقين بوعد الله والإيمان بسعة رحمة الله تعالى وعظيم فضله وكرمه وبره وإحسانه كان هذا من أقوى الدوافع وأعظم الحوافز، ولا يعني هذا الكلام إلغاء ومسح ما سبق ذكره فهي أسباب وهي أدوية يجب على من احتاج إليها أن يتداوى بها.

۞ المفتاح السادس: يسر:

هذا المفتاح العظيم الجليل القدر رسمه النبي ﷺ لنا وذلك حين سئل عن أحب العمل إلى الله فقال: أدومه وإن قل، إنها ثلاثة أحرف لكنها مدرسة تربوية متكاملة فما من أمر في الحياة إلا وتجد نفسك محتاجًا فيه إلى هذه القاعدة وإن من المعاني الكبيرة العظيمة لهذه القاعدة ما عبر عنه الحكماء بقولهم: «الوقاية خير من العلاج» ذلك أن البناء والتربية والتكوين للنفس أو للجسم لا يمكن أن يسير على منهج الطوارئ ولا يمكن أن يأتي دفعة واحدة وبكميات مضغوطة فصناعة الإنسان لا يفيد فيها الضغط أبدًا، بل لابد من استغلال وقت الرخاء للبناء والتكوين بالتدريج لإقامة نفس وجسم قويين يتحملان معظم الصدمات والأزمات التي يتوقع أن يواجهها الإنسان في هذه الحياة، أما طلب الحلول السريعة لمشاكل كبيرة تراكمت على مر الأيام والسنوات فهذا طلب عسير وهو مثل من ترك الأكل مدة عشرة أيام فجاء في اليوم العاشر ليأكل كمية العشرة أيام مرة واحدة وتطبيق هذه القاعدة على حفظ القرآن أنه ينبغي السير البطيء المستمر بمعنى أن يحفظ كل يوم باستمرار لكن بمقدار قليل جدًّا وفي هذا المعنى يقول الناظم:

اليوم شيء وغدا مثله ... من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وما السيل إلا اجتماع النقط

إن تحميل الإنسان نفسه ما لا يطيق نهايته معروفة ونتيجته مؤكدة إنها الفشل وغالبًا ما يكون مثل هذا التصرف دفع إليه مؤثر وقتي إما مسابقة عامة أو اختبار أو الانتصار على الأقران أو غير ذلك من الأسباب الدنيوية أما إذا كان الحفظ لوجه الله تعالى فلا يمكن أن يسلك هذا المسلك الخاطئ المخالف لمنهج النبي ﷺ.

إن الطريق الطويل يقطع على مراحل بين كل مرحلة وأخرى فاصل يتم فيه إعلان نهاية المرحلة السابقة وتحديد موعد لبداية المرحلة التالية وموعد لنهايتها وكلما كان تخطيط هذه المراحل مناسبًا كلما كان السير أثبت وأدوم وتذكر دائمًا أن «من كبر اللقمة غص» فاجعل إنجازك لأهدافك مثل أكلك لطعامك لقمة لقمة ووجبة وجبة لا توقف فيه ولا اندفاع بل يومًا بيوم باستمرار.

ومن تطبيقات هذا المفتاح المرونة مع المتغيرات وعدم التحجر على نمط معين أو مستوى محدد لا تحيد عنه بل يجب التكيف التام مع المتغيرات نفسيًّا وعمليًّا بمعنى أنه في حال النشاط والفراغ وحصول الفرص يكون لك مقياس، وفي حال الفتور أو الانشغال أو عدم توفر الفرص يكون لك مقياس آخر، وبين هذا وهذا تدرجات يلزم أن تكون خبيرًا بها وتعطي كل ظرف ما يستحقه، وتحذر من إكراه النفس إلى أن تسقط بل يجب سياستها حال الفتور إلى أن تنقشع تلك الحالة وتزول وتكون قد سرت في تلك الفترة بالحد الأدنى مما يمكن تحقيقه بدل الإفلاس التام.

وقد ذكرت في كتاب مفاتح تدبر السنة في المفتاح الخامس أقوالًا عن السلف تؤكد معنى هذا المفتاح وتقرره.

لا تقف أبدًا استمر في السير ولو آية كل يوم فإن الوقوف هو الداء العضال الذي قعد بالسائرين في مشروع حفظ القرآن الكريم، فالإنسان إذا توقف ضاع عليه الوقت ومرت الأيام دون إنجاز، ألم تر حين تسافر برًّا كيف تسبقك السيارة الكبيرة ذات السرعة البطيئة بسبب توقف دقائق معدودة فكونك تسير بسرعة بطيئة وباستمرار خير ألف مرة من السير بسرعة عالية ثم التوقف المفاجئ ثم معاودة السير بعد مدة فهذا الانقطاع المتكرر وتناوب حالات اليأس والاستعجال يبعثر الجهود ويقضي على الإنجاز، فما من أسلوب للإنجاز أفضل من أسلوب أدومه وإن قل.

عليك بالتعلم التطبيقي لهذا المفتاح حتى الإتقان.

ومما يبين الجانب التطبيقي لهذا المفتاح قول النبي ﷺ: «**صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**...» أي المرونة مع المتغيرات والتيسير عند كل تعسير والإرخاء حين تشتد الأمور والشد حين الرخاء والصفاء في عملية مستمرة متوافقة مع الحال، وتطبيق ذلك في مشروع حفظ القرآن تنويع الجدول حسب الظروف، وسرعة التكيف مع المتغيرات وعدم التحجر لطلب أعلى مستوى بل لابد من المرونة التامة ليستمر السير وعدم التعمق في المقارنة بين الأمس واليوم وبين فلان وفلان بل السماحة التامة في هذا الشأن ليحصل الانبساط والسير.

إضاءة:

إذا خصصت كل يوم (١٥) دقيقة لحفظ القرآن الكريم فإنك تنهي حفظه خلال سنتين.

عند تطبيق هذا المفتاح يمكنك حفظ عدة متون في وقت واحد دون

تعارض أو تداخل.

۞ المفتاح السابع: نفذ:

هذا المفتاح هو النتيجة التلقائية للتطبيق الصحيح للمفاتيح السابقة، أما حين يتعذر التنفيذ أو يتعثر فيجب مراجعة النفس في تطبيق المفاتيح واحدًا بعد الآخر حتى يتم اكتشاف مكان الخلل ويتبين سبب النقص فيتم إصلاحه فتعود النفس إلى السير مرة أخرى فنحصل على نفذ وعند الصباح يحمد القوم السُّرَى.



المبحث السابع

مفاتيح الذاكرة

۞ مقدمة:

قد سمى الله تعالى كتابه المبين ذكرًا فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٤٤].

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: الآية ٥٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٤].

فهذه الغاية من إنزاله أن يكون ذكرًا للعالمين يتذكرونه في كل وقت وبأعمق مستوى كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [الدّخان: الآية ٥٨]. فإذا كانت ذاكرة الإنسان تعمل بشكل صحيح أمكنه الانتفاع بكتاب ربه وإلا حرم منه وعلى قدر قوة الذكر تكون المنزلة.

وقد عاب الله تعالى النسيان في مواضع كثيرة من كتابه المبين، منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٤٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفُرقان: الآية ١٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجَادلة: الآية ١٩].

فالذاكرة أمرها عظيم وعليها مدار نجاة الإنسان ونجاحه في الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: الآية ١١٥].

فما دخل النقص على آدم وأوقعه في الخطيئة إلا النسيان الذي أورث ضعف العزيمة والإرادة، وهذا عام في كل بني آدم كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُمَر: الآية ٨].

ففي حال الضر والشدة يحصل الذكر فيوجد التوحيد والإخلاص لله رب العالمين وفي حال الرخاء يحصل النسيان فيعود الإنسان إلى شركه وغفلته مرة أخرى.

هذا الإنسان ما هو إلا هذا القلب الذي عليه مدار صلاحه أو فساده وما الجسد إلا حامل له ووسيط بينه وبين العالم الخارجي فالحواس الخمس هي وسائط نقل المعلومات من وإلى العالم الخارجي، وأما الدماغ فهو وسيط بين الحواس وبين القلب، جاء في الحديث الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

فالذكر والنسيان محله القلب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥].

فالقلب هو محل الذاكرة ومحل الإدراك ومعالجة المعلومات وهو محل الإرادة وإصدار الأوامر ومنه تتشكل شخصية الإنسان.

من ينظر ويتأمل يدرك أن الإنسان ما هو إلا ذاكرة، فعلم النفس حقيقته علم الذاكرة وكل علومه تتفرع عنه وتدور عليه بشكل أو آخر وهذا يفسر لنا بوضوح سر رواج «البرمجة اللغوية العصبية» لأنها ركزت على هذا الجانب وما يتصل به من أمور الحياة وبطرق عملية لذلك استحوذت على اهتمام كثير من الناس من مختلف الطبقات.

وما يسمى بغسيل الدماغ ما هو إلا نوع من مسخ الإنسان وجعله بدون ذاكرة أو بذاكرة ضعيفة أوبسلبه بعض المعلومات وهذا يتم بطرق وحيل نفسية معروفة، فالإنسان ما هو إلا ذاكرة تم تخزين محتوياتها النظرية والعملية مع مرور الوقت منذ السنوات الأولى بل ربما منذ كان جنينًا في بطن أمه إلى آخر لحظة من حياته، ولتغيير هذا الإنسان أو صناعته يجب التعديل أو التغيير في هذه الذاكرة «القلب».

ولقد قالت العرب قديمًا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.

ونظمها زهير بن أبي سلمى فقال:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقال بعضهم: ليست العبقرية أكثر من تركيز الذهن.

القلب يتكون من جهتين:

الأولى: الذاكرة: وهي مخزن المعلومات ومستودع الذكريات والتجارب والخبرات.

الثانية: الذكاء أو الوعي أو الانتباه أو الفهم: وبه يتم معالجة مخزون التجارب والخبرات والقناعات والمعتقدات وتطبيقها على المواقف اليومية.

هناك أمور تعزى إلى الذكاء والحقيقة أن مرجعها إلى الذاكرة لكن الذكاء ساعد على تحصيلها، المهم أن الذكاء والذاكرة أمران منفصلان من حيث التقنية لكن يؤثر كل منهما في الآخر، وبناء عليه فإن نقص الذكاء عند الإنسان يمكن تغطيته بتقوية الذاكرة.

فالعقل: هو مجموع الذكاء والذاكرة، فذكي بدون ذاكرة أحمق، ولو وجد ذو ذاكرة دون ذكاء أو فهم فهو أيضًا أحمق، وبتفاعل الذكاء «الفهم» مع الذاكرة «الحفظ» يتم إصدار الحكم.

والعقل عمل القلب كما أن السمع عمل الأذن والبصر عمل العين.

اللغة أصلها صوت يعبر عن معنى وتم ترجمة وتحويل تلك الأصوات إلى صور الحروف والكلمات فأصبح عندنا ثلاثة أمور:

١- المعنى.

٢- الصوت.

٣- الصورة.

الصوت يسمع بالأذن، والصورة ترى بالعين، والمعنى يفهم بالقلب، فهذه أدوات التعلم الثلاثة التي جاء ذكرها معًا في مواضع من القرآن منها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: الآية ٧٨].

فالقلب هو المترجم للمعاني دخولًا وخروجًا وهو الذي يحفظها

ويقوم بتخزينها إلى أن نحتاج إليها فيقوم بمعالجتها وإخراجها على الصورة المطلوبة، والأذن والعين وباقي الحواس أدوات نقل ووسيطة بينه وبين العالم الخارجي.

وتقسيم الناس إلى أنماط ثلاثة: سمعي وبصري وحسي كما يقول ذلك أهل البرمجة غير صحيح، وما يوجد من اختلاف في طباع الناس لا يمكن تقسيمه بهذه الصورة بل له كلام آخر ليس هذا موضعه، ومن يقرأ كتب البرمجة أو يحاور مدربيها يجد أنهم يتناقضون حين يناقشون بأمثلة من الواقع فيلجؤون إلى القول بالنمط الغالب... الخ

ما يؤثر في تكوين شخصية الإنسان أمران هما: الصوت والصورة وطريقهما السمع والبصر أما باقي الحواس فهي لتمييز الأشياء من حولنا والحكم عليها بالقبول أو الرفض ومن ذلك الروائح وملمس الأسطح وحرارتها وذوق الأطعمة والأشربة أما ما يتعلق بالعلم والإدراك الذي يتوقف عليه البناء النفسي فهو مقصور على السمع والبصر لذلك اقتصر التنويه بهما في القرآن في كل المواضع التي ورد فيها أدوات التعلم.

ووجه إفراد السمع وجمع البصر في القرآن الكريم - والله أعلم - أن الإنسان لا يستطيع أن يستمع إلى متكلمين في وقت واحد، أما البصر فيمكنه رؤية عشرات الأشخاص أو الأشياء في وقت واحد، وقيل غير ذلك.

ووجه تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم - وذلك في الآيات التي تحدثت عن الإنسان - لأن الأصل في التواصل هو اللغة أو الكلام وطريقه الأصلي السمع وهو الغالب والسريع في الاستعمال فهو أهم وهو أبلغ وأكثر استعمالًا في الاتصالات اليومية.

قد يسأل بعضهم فيقول: أيهما أقوى في توصيل المعلومات التلفزيون أو الإذاعة «مع افتراض تساوي المتغيرات الأخرى»؟

الجواب: التلفزيون أقوى لأنه جمع بين الصوت والصورة بين السمع والبصر، أما لو كان التلفزيون صورة دون صوت لكان أثره لا يقارن مطلقًا بالإذاعة، فالجمع بين الصوت والصورة في نقل المعلومات من أقوى الطرق، يليه الصوت وحده، ثم الصورة وحدها.

أيهما أقوى في التركيز الاستماع إلى القرآن من شريط فيديو أو من شريط الكاسيت.

إذا كان شريط الفيديو يعرض صورة الصفحة التي تقرأ دون أي ملهيات أخرى فهو أقوى، أما إذا كان يعرض صورة القارئ أو يعرض رسومات متحركة ومستمرة مع القراءة فهذا يشغل الذهن عن التركيز ولا يليق بالقرآن، وإذا وجد مع الاستماع لشريط الكاسيت المتابعة في المصحف فهو أقوى، وأقوى من هذه كلها أن يقرأ الإنسان بنفسه حفظًا وأن يتخيل صورة الصفحة التي يقرأ، ويجهر بالقراءة ويركز أذنه لاستماع قراءته هذه أعلى المراتب.

إن حلقات التلقين تعتمد على السمع دون البصر في الحفظ، والمنهجية في تعليم الطفل القرآن الكريم، وخاصة من سن الرابعة الجمع بينهما وهذا يكون حسب الخطوات التالية:

الأولى: تعليم الحروف والقراءة.

الثانية: تعليمه قراءة القرآن نظرًا من المصحف.

الثالثة: أن يحفظ من المصحف بنفسه.

أعرف أن هذا المنهج متبع في بعض البلدان الإسلامية منها الباكستان حيث يتعلم الطالب قراءة الحروف والكلمات ثم يختم القرآن نظرًا ثم يبدأ بالحفظ أما إشغال هاتين السنتين بالتلقين والاشتغال باختراع وتصنيع الأجهزة لهذا الغرض مع توفر وسائل ومناهج التعليم فهو قصور في تربية الطفل، وهضم لقدراته ومواهبه(١٥).

لم تتضمن مفاتيح الذاكرة تمارين عملية لأنها ليست من صميم الكتاب وقد تلحق في مذكرة مستقلة، أو يترك المجال لاجتهاد المعلمين والمعلمات فيها خاصة أن المادة العلمية لهذه المفاتيح تضمنت ما يساعد على الابتكار والإبداع في هذا الجانب.

جرب أن تحفظ مستخدمًا ما تستطيع من هذه المفاتيح واكتشف الفرق، ما تجد أنك تنتفع منه أكبر ركز عليه بصورة أكبر وأدخله ضمن استراتيجياتك وتدرب عليه حتى تتقنه.

البعض لا يزال يشتكي من تأخره وهو لو سألته ما هي مفاتيح الذاكرة يقول: لا أدري! لا يعرف ما هي فضلًا عن فهمها وحفظها والتدريب عليها.

إن تطبيقك الكامل والمفصل لهذه المفاتيح أثناء حفظ القرآن لا يقتصر نفعه عليه فقط بل يتعداه إلى كل مجالات الحياة على العكس من

---

(١٥) بإذن الله تعالى يأتي مزيد بيان لهذه القضية التربوية المهمة في: «مشروع تعليم اللغة العربية، ومعجم اللغة التربوي»، وهو يعالج تعليم اللغة من جوانبها الثلاثة: القراءة «الهجاء»، والكتابة «الإملاء»، والتحدث «التعبير والإنشاء»، وهذا المشروع بديل لما يعرف بالقاعدة البغدادية، أو القاعدة النورانية، ونحوهما من طرق تعليم القراءة للمبتدئين، من خلال معجم ميسر يبدأ بالحروف المفردة وينتهي بالتراكيب اللغوية العالية ويعالج في طريقه كل مشاكل الإملاء.

شخص يحفظ دون تعلم مفاتيح الذاكرة ومحاولة تطبيقها.

تعلم هذه المفاتيح وافهمها وتدرب عليها في كل فرصة.

سجل مستواك الآن ثم بعد مضي ستة أشهر أعد الاختبار نفسه وقارن وانظر الفرق فإن وجدت نفعًا فالحمد لله، وإن لم تجد فأعد النظر وارجع البصر لعلك تكتشف موطن النقص ومحل العلة فيتم علاجه ويتم الشفاء بإذن الله تعالى.

هذه ٣١ مفتاحًا لإدارة ذاكرتك وترقيتها وإصلاحها، اسأل نفسك كم مفتاحًا من هذه المفاتيح تستخدم في حياتك اليومية وبصورة صحيحة.

لعلك تلاحظ أن مفاتيح تدبر القرآن هي جزء من هذه المفاتيح.

يمكنك التوقف عن لوم ذاكرتك واتهامها بالنسيان والاعتراف بأن التقصير منك حيث لم تسعفها بالوقود اللازم لعملها فاحزم أمرك واستدرك ما تبقى من عمرك لتستمع بحياتك بدل أن تعيش بين تفريط ولوم.

إذا أخذت الأمر بمأخذ الجد وسعيت في تعلم هذه المفاتيح وتطبيقها فبعون الله تعالى سيتضاعف مستوى ذاكرتك ثلاث مرات أو أكثر عما هي عليه الآن وستوصف بأنك فعلًا قد تغيرت.

لقد وهبنا الله طاقات وقدرات من اجتهد في تنميتها واستثمارها استفاد ومن قصر وأهمل فقد جنى على نفسه.

أهمية الذاكرة ليس للدنيا فقط، بل هي للدين والدنيا وللآخرة، إنه أمضى سلاح في وجه الشيطان، وأقوى حصن من الأمراض النفسية بإذن الله تعالى، وذلك حينما يتم بناء ذاكرة الطفل بشكل مدروس

ومنهجي، نضع فيه بعناية ما نريد مما يفيد.

حياة الإنسان متوقفة على ما يتذكره من معلومات فلو قدر أن اختلت هذه الذاكرة لم يستطع أن يسير في حياته حتى في نومه وطعامه وشرابه ومسكنه ولباسه فضلًا عن عمله وما يراد منه من إنجازات حضارية.

مفاتيح الذاكرة هي مفاتيح النفس، هي مفاتيح صناعة الإنسان فليس الموضوع ترفًا علميًّا أو بحثًا أكاديميًّا إنها تقنية مهمة وضرورية لكل إنسان عليه أن يتعلمها بأي ثمن وأن يستفيد منها في كل لحظة من حياته وفي كل جهة من جهاته.

هذه المفاتيح حقيبة تدريبية متكاملة لصناعة نفس الإنسان وتشكيلها الشكل المطلوب وأجزم أني لم أوفها حقها ذلك أنها تحتاج إلى زيادة جمع وإلى تكامل وربط وتحتاج إلى طول ممارسة وكثرة تجارب.



۞ مفاتيح الذاكرة (٣١) مفتاحًا مجموعة في قولك:

«تحرت نجاحًا تترى تمنت أن تتميز لذا تنصت» وتفصيلها كما يلي:

١- التاء: تكرار.

٢- الحاء: حب وحماس.

٣- الراء: ربط.

٤- التاء: تركيز.

٥- النون: نية وقصد وهدف.

٦- الجيم: الجهر والتغني.

٧- الألف: أناة وعدم استعجال.

٨- الحاء: حسن الظن بالله والثقة بعونه وتأييده.

٩- الألف: أدومه وإن قل.

١٠- التاء: ترتيب.

١١- التاء: تحدي.

١٢- الراء: رسم.

١٣- الألف: إعلام، إعلان، إلقاء.

١٤- التاء: تصوير.

١٥- الميم: مذاكرة مدارسة مناقشة.

١٦- النون: نوم.

١٧- التاء: تنفس.

١٨- الألف: اتخاذ القرار.

١٩- النون: نفهم.

٢٠- التاء: تبكير.

٢١- التاء: تقسيم.

٢٢- الميم: مكان.

٢٣- الياء: يلخص.

٢٤- الزاي: زمان.

٢٥- اللام: لغة.

٢٦- الذال: ذكر الله.

٢٧- الألف: استعاذة.

٢٨- التاء: تسميع.

٢٩- النون: نشاط البدن.

٣٠- الصاد: صيام.

٣١- التاء: تدريب وتمرين.

۞ المفتاح الأول: التكرار:

هذا المفتاح أجمع كل من تكلم عن الذاكرة أنه لا غنى عنه لمن يريد الحفظ فالتكرار أساس المهارات، فلا حفظ أبدًا دون تكرار، ومن يروم الحفظ بدونه كمن يريد الري بلا شرب أو الشبع بلا أكل.

التكرار المفيد هو التكرار المبرمج، ومعنى المبرمج أي الموزع على

مواعيد مناسبة تتقارب أولًا ثم تتباعد شيئًا فشيئًا.

التكرار ليس له عدد محدد بل له مواعيد محددة وبرمجة مدروسة والمطلوب هو التكرار في كل جلسة أو موعد إلى الإتقان.

الحفظ عرضة للتبخر بعد بضع ثوان من الحفظ بسبب الانشغال ذهنيًّا عما تم حفظه الآن بأمور أخرى وكلما كان المشغل قويًّا وعميقًا كانت فرصة النسيان والتبخر أكبر؛ ولهذا السبب تتفاوت قوة الحفظ بين الصغير والكبير وبين المتحمس للحفظ ومن يجاهد نفسه عليه.

ذكرت في نظام الحفظ الأسبوعي المواعيد المناسبة للتكرار ليتم المحافظة على ما تم حفظه.

حفظ العمل يحتاج هذا المفتاح حاجة شديدة فحفظ العادات وحفظ السلوك الجديد يتطلب تكرارًا كثيرًا حتى يرسخ خاصة إن كان بديلًا لسلوك آخر فيحتاج وقتا أطول حتى يتم حفظه والاعتياد عليه.

۞ المفتاح الثاني: الحب:

هذا هو القانون الأكبر للذاكرة ومتى وجدت الرغبة والاهتمام والحماس لما يراد حفظه وتذكره فإن حاجتك للمفاتيح الأخرى تقل ويمكنك قطع المسافات الطويلة في وقت قصير، وأما كيفية تحصيله فتم بيانه في كتاب مفاتح تدبر القرآن.

بسبب هذا المفتاح تجد أن الناس يتفاوتون في تذكرهم لأمور اشتركوا فيها معًا مثل مجلس أو رحلة أو اجتماع فكل يتذكر ما لم يتذكره الآخر والسبب هو تفاوت الاهتمام أي الميل والرغبة، وبعض أهل البرمجة يعزون هذا إلى اختلاف النمط من سمعي وبصري وحسي

وليس الأمر كذلك بل مرده إلى ما ذكرت وأيضًا فبعض المفاتيح الأخرى للذاكرة لها أثر في هذا الأمر.

مفتاح الحب ليس هو المفتاح الوحيد للذاكرة لذلك لا تقلق حين يكون ضعيفًا لديك أو لا يمكنك تحصيله فبقية المفاتيح يمكنها تعويضك وتحقيق ما تريد.

۞ المفتاح الثالث: الربط:

هذا المفتاح يكاد يكون هو التفسير الشامل لكيفية عمل الذاكرة وتقنياتها فالمتتبع لما كتب في هذا الموضوع يكاد يجزم بأنهم يدورون في فلك هذا المفتاح والمتأمل في حالات النسيان والتذكر على نفسه أو من حوله يجد أن هذا القانون يتحكم في نسبة كبيرة من حالات التذكر والنسيان.

وتكاد المفاتيح الأخرى ترجع وتؤول إلى هذا المفتاح فكلها تساعد على تكوين الرابط لأنه متى تشكل وكان قويًا تم الحفظ والتخزين وإلا فلا.

تتنوع الروابط التي تقوم الذاكرة ببنائها أثناء عملية الحفظ، وهي مرتبطة بقنوات التواصل بين الذاكرة والعالم الخارجي فهي خمسة: صوتي، صوري، شمي، ذوقي، لمسي، ويلاحظ أن أقوى هذه الروابط هو: الصوت، الصورة، وهما اللذان يعتمد عليهما في التعامل اليومي، وحفظ القرآن الكريم يتم من خلال هاتين القناتين: الصوت والصورة، الصوت يحققه الجهر بالقراءة مع التغني، والصورة يحققها النظر في المصحف ومحاولة تصوير الصفحة، لذلك من يحاول الحفظ دون جهر بالقراءة فإنه يفقد خمسين بالمائة من قوة الحفظ.

والربط يشبه ربط وعقل الإبل لئلا تشرد فكذلك الألفاظ تمامًا نقوم بربطها برباط معنوي يمسك بها، والربط يكون بشيء تم حفظه سابقًا ورسخ مثل اسم شخص جديد نربطه باسم شخص نحفظه سابقًا، والربط يكون لأمر معقول بأمر محسوس ملموس يسهل تذكره وحفظه مثل ربط اسم شخص بطوله أو وزنه ويدخل في هذا النوع ضرب الأمثلة.

الحفظ على السور يحقق حفظ مواقع الآيات بشكل واضح وهذا نوع من الربط الذي يقوي الحفظ ويثبته فأنت تحفظ الآية وتحفظ ترتيبها أو موقعها من السورة.

والتشابه اللفظي في القرآن يعين جدًّا على حفظ القرآن إذ إنه يساعد على تكوين الروابط بين الآيات فيمسك بعضها ببعض.

هذا التشابه ميزة عظيمة وسر أودعه الله في كتابه العظيم لنستفيد منه في ترسيخ الحفظ ومزيد من التدبر لآيات الكتاب الكريم.

ومن فوائد هذا التشابه أيضًا إيقاظ القارئ كلما غفل أو سهل فهو يولد يقظة شديدة وهذا أمر ظاهر يدركه كل حافظ للقرآن فلله الحمد والمنة.

إنه من غير المنهجية أن تحاول ضبط المتشابه من خلال الكتب التي ألفت في المتشابه اللفظي بل ضبطه يكون بجهدك الشخصي من خلال مفتاحين من مفاتيح الذاكرة:

الأول: الربط.

الثاني: التكرار.

فتكرار دون ربط يعني عدم انتباه وعدم وعي، وربط دون تكرار يعني نسيان الرابط وعدم تثبيته.

وأي جهد يقوم على تجميع المشابه تجميعًا مجردًا ومحاولة المقارنة بينها دون ارتباط بقواعد فهو جهد قاصر وقد يزيد التشابه على الحافظ.

والتشابه أمر نسبي يتفاوت فيه الحافظون فقد يشتبه على أحدهم ما لا يشتبه على الآخر.

يمكنك الاستفادة من برنامج «المكتبة الشاملة» الإصدار الثاني، حيث يمكنك البحث عن الآيات المتشابهة، فيسردها لك البرنامج فتتأمل فيها وتقارن بينها ثم تستنتج قاعدة تربط بينها فيزول بذلك التشابه ويسهل عليك حفظها، ومن لم يتوفر له البرنامج فيمكنه الاستفادة من «معجم ألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي.

۞ وقواعد ضبط المتشابه كثيرة منها:

أولاً: قاعدة كليات المتشابه:

ويراد بها ضبط ما ورد متشابهًا بضابط كلي يزيل التشابه.

۞ مثال (١):

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وردت في البقرة (١١٦)، والنحل (٥٢)، والحشر (٢٤) وبقية القرآن: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وهو في تسعة مواضع.

۞ مثال (٢):

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ وردت فقط في سورة سبأ الآية (٩).

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ وردت في خمسة مواضع: الأنعام ٦، الأعراف (١٤٨)، النحل (٧٩)، النمل (٨٦)، يس (٣١).

وبقية القرآن ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ في (١٢) موضعًا أولها في الرعد (٤١)، وكل ما في العنكبوت بالواو.

۞ مثال (٣):

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ وردت في الأنعام (١١) فقط، وبقية القرآن بالفاء وهو في خمسة مواضع أولها آل عمران (١٣٧).

۞ مثال (٤):

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ في موضعين فقط: الأنعام (٦)، والسجدة (٤)، وباقي القرآن بتاء واحدة وهو في سبعة مواضع.

۞ مثال (٥):

١- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾، ٢- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ كل ما في الأنعام، ويونس، والنمل، والقصص، والزمر، والدخان، والطور، فمن الأول.

وكل ما في البقرة، وهود، ويوسف «خمسة مواضع»، والرعد، والنحل، والإسراء، والفرقان، والروم «موضعان»، وسبأ «موضعان»، وغافر «ثلاثة مواضع»، والجاثية، فمن الثاني.

أما سورة الأعراف فموضعان، الأول من الأول، والثاني من الثاني.

ومجموع ما ورد من النوعين في القرآن الكريم ٢٩ موضعًا.



ثانيًا: قاعدة مجموعة في قولك:

وهذه القاعدة تفيد في ربط ما يتشابه من أواخر الآيات:

۞ مثال (١):

أواخر آيات الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام ختمت الأولى بقوله: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ والثانية بقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ والثالثة بقوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ فيمكن جمع الحرف الثاني من كل هذه الكلمات في قولك: «عذق» ويمكن بواسطة هذه الكلمة حفظ ختام كل آية دون تشابه أو تداخل.

۞ مثال (٢):

الآيات (من ١٧٦ إلى ١٧٨) من آل عمران جاء ختامها كما يلي: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يمكن جمعها في كلمة «عام».

ثالثًا: قاعدة الربط بحرف من اسم السورة:

۞ مثال:

جاء في سورة الإسراء قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾، وجاء في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ﴾، ولضبط هاتين الآيتين نقول جاء في سورة الإسراء تقديم كلمة الناس وبينها وبين اسم السورة حرف مشترك هو حرف السين.

رابعًا: قاعدة الربط بالتجويد:

۞ مثال:

جاء في سورة المجادلة الآية ١٧ قوله تعالى: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ

أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المجادلة: الآية ١٧]، ولأنه قد تشتبه كلمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [البقرة: الآية ٥] هل هي بالواو أو بالهمزة نقول إن الحكم هنا إظهار وليس إدغامًا.

خامسًا: قاعدة الترتيب:

۞ مثال:

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤].

جاءت بالترتيب من الأعلى إلى الأسفل بالنسبة لجسم الإنسان.

سادسًا: قاعدة ليس.

۞ مثال:

مما يشتبه على بعض الحفاظ الآيتان في عدة المتوفى عنها زوجها في سورة البقرة (الآية ٢٣٤، والآية ٢٤٠) ومما يضبط حفظ هاتين الآيتين ويزيل التشابه أن تدرك أن الآية الأولى تكررت فيها الباء سبع مرات، بينما الآية الثانية ليس فيها حرف الباء مطلقا.

۞ المفتاح الرابع: التركيز:

التركيز يعني الإقبال الكامل الكلي على ما يراد تذكره وعدم انشغال الذهن عنه بأمر آخر داخليًا أو خارجيًا.

ويتحكم في تحقيق هذا المفتاح بعض المفاتيح الأخرى للذاكرة مثل: مفتاح الحب، ومفتاح الجهر، ومفتاح المكان حيث لا صوت ولا صورة، ومفتاح التدريب والرياضة، فكلها تساعد على تقويته.

هناك الكثير من التدريبات تحاول تنمية هذه المهارة وينتج عنها قوة الملاحظة والنظر الدقيق العميق لما يراد تذكره وفهمه، وإن من أقوى التدريبات لهذا المفتاح هو الصلاة وقراءة القرآن حفظًا، إنهما تدريبان مهمان يكشفان لك عن مستوى قدرتك على التركيز ومدى حاجتك لزيادته ورفعه.

ومن فوائد هذا المفتاح توفير الوقت، فما يحتاج حفظه إلى عشرين دقيقة بدون هذا المفتاح يمكن حفظه في سبع دقائق عند تطبيقه.

ومن تطبيقات مفتاح التركيز في الحياة ما جاء في حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**». قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ. فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(١٦).

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ أَخْبَرَهُ أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا،**

---

(١٦) صحيح مسلم (٢/ ٢٥).

ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١٧).

إن قوة التحكم بالخواطر وحديث النفس من أهم مفاتيح الذاكرة فمن تدرب على هذه المهارة حتى يتقنها فإنه يستفيد منها، ومن كان مهملًا لها قد ترك العنان لنفسه تفكر كيف شاءت ومتى شاءت، فإنه يكون مثل الطفل الذي تربى على الفوضى فهو معرض للخطر والهلاك في أي وقت، ويصعب قيادته وتوجيهه للوجهة المطلوبة حين الحاجة.

إن كنت نشأت على هذه الطريقة في التفكير فيجب عليك الآن أن تبدأ بالتدريب والتربية لتفكيرك ليكون طوع أمرك يذهب حيث تأمره فإن فعلت ذلك أمكنك تحقيق النجاح في كثير من المجالات الدينية والدنيوية.

التركيز قسمان: تركيز الصوت وتركيز الصورة وتشغيل أحدهما دون الآخر يؤدي إلى انشغال الذهن بأمر غير المطلوب.

۞ مثال (١):

من يقرأ حفظًا جهرًا فإنه قام بتشغيل الصوت، فإن قام بتخيل الصفحة ومكان الآية التي يقرؤها فإنه يتم تشغيل الصورة ومثل هذا لا يمكنه أن يسرح خياله بعيدًا عما يقرأ، أما من يكتفي بتشغيل الصوت دون الصورة فتجد ذهنه ينشغل بينما هو يقرأ.

۞ مثال (٢):

من يتابع الأذان بأذنه أي بالصوت فقط بينما عينه أي الصورة تدور في كل مكان فهذا لا يمكنه التركيز.

---

(١٧) صحيح البخاري (١/ ٢٧٧)، ومسلم (٢/ ٨).

۞ مثال (٣):

من يُسبِّح بعد الصلاة بلسانه وعينه تدور في كل جهات المسجد فمثل هذا غير منتبه لما يقول.

قد ذكرت في مفاتح تدبر السنة أنواعًا من التركيز في المفتاح الثالث من تدبر السنة.

شرود الذهن أثناء الحفظ علاجه يكون بضغط الوقت عشر دقائق تقول يجب أن أحفظ هذا المقطع قبل أن ينتهي هذا الوقت.

ومنه تقسيم الوقت الطويل إلى فترات قصيرة يفصل بينها وقت راحة مثلًا كل نصف ساعة منها خمس دقائق راحة فهذا يفيد جدًّا في توليد التركيز.

وإن مما يحقق التركيز وخاصة عند التسميع الذاتي مسك المصحف وتركيز النظر إليه فهو يعطي نوعًا من الراحة حين القراءة.

كيف يحصل شرود الذهن؟

هذا سؤال مهم والأهم منه سؤال:

كيف يمكن التركيز؟

وجوابه: أنه يحصل بتطبيق مفاتيح الذاكرة أو بعضها ومن أهمها الجهر بما يدور في القلب والتصوير والربط والتكرار.

عند ضعف التركيز حين القراءة حفظا يحصل الانتقال من موضع إلى آخر مشابه له في اللفظ مثال ذلك: كان أحد الطلاب يقرأ في سورة الجن فانتقل إلى سورة مريم بسبب التشابه في قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ﴾

في السورتين، وآخر كان يقرأ المزمل فانتقل إلى سورة نوح بسبب التشابه في قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ﴾ في السورتين، وأمثال هذا كثيرًا جدًّا.

۞ المفتاح الخامس: النية:

إن حضور النية ومعرفة الهدف سبب مهم في تقوية وتنشيط الذاكرة فمن يملك إجابة واضحة ومكبرة عن سؤال: لماذا أحفظ هذا؟ أو لماذا أريد تذكر هذا الشيء؟ فإنه يمكنه حفظه أو تذكره ومن لا يملك هذه الإجابة أو تكون غامضة وصغيرة في ذهنه فحري به أن ينسى أو ألا يحفظ أصلًا.

إنك في اللحظة التي تتذكر فيها هذا السؤال وتكون الإجابة قوية ومقنعة فإن قلبك يفتح أبوابه ويرحب بهذه المعلومة ويختزنها في مكان أمين.

إن التكرار إذا تم لمرات كثيرة دون حضور لنية الحفظ ونية العلم وغيرها من النيات الصحيحة فإن أثر التكرار في تثبيت الحفظ يكون أقل فلابد من حضور النية والهدف أثناء الحفظ من أجل زيادة كفاءة الذاكرة وتسريع عملية الحفظ.

۞ المفتاح السادس: الجهر والتغني:

هذا المفتاح من جزأين:

الأول: الجهر، وهو رفع طبقة الصوت.

الثاني: التغني، وهو تلحين الصوت.

وكل جزء منهما له أثر معين في تحقيق الحفظ وتقوية التذكر،

والأقوال في هذا كثيرة مشهورة والتجربة تغنيك عن كل قول فجرب بنفسك ثم انظر الفرق وكلما ارتفع الصوت كان أقوى في الحفظ والسر في هذا أمران:

الأول: أنه يحقق التركيز أي يطرد الأفكار والوساوس المتطفلة خارج الموضوع وهو من القوانين المهمة للذاكرة.

الثاني: أنه يولد روابط صوتية سمعية تعين على تثبيت الحفظ، ألا تلاحظ أن بعضهم حين يعجز عن تذكر معلومة فإنه يحاول أن ينطقها بلحن معين فتجده يتذكرها.

وكلما كانت القراءة مشدودة قوية كان الحفظ أقوى وأسرع.

إن القراءة الخاملة الرخوة لا توجد إلا حفظًا يشبهها.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة على حلقات تحفيظ القرآن في المساجد عدم جهر الطلاب بالقراءة وهذا يُضيِّع مفتاح الجهر وأثره المهم في سرعة وقوة الحفظ، وحين تناقش بعض المعلمين في هذه القضية يعتذر بأن الجهر يسبب تشويش بعضهم على بعض، هذا صحيح إذا كان الذي يجهر بالقراءة بعضهم دون الآخر وبطبقات صوت متباينة لكن إذا جهر الجميع وبطبقة صوت متقاربة فإن هذا التشويش لا يوجد ومثاله قراءة المنتظرين لصلاة الجمعة فإنه يوجد جهر متناسق والكل يستفيد من مفتاح الجهر لزيادة الحفظ أو زيادة التدبر والفهم، لقد كانت الحلقات القرآنية إلى وقت قريب تطبق مفتاح الجهر حتى إن المعلم ليدرك انشغال الطلاب وانصرافهم عن القراءة بذهاب صوتهم فيعيدهم إلى الجهر مرة أخرى.

۞ المفتاح السابع: الأناة وعدم الاستعجال:

من المشاهد أثناء القراءة حفظًا أن بعضهم حين يتعثر في القراءة تجده يكرر آخر آية قرأها أو يرجع إلى الوراء بضع آيات ثم يتذكر ما نسيه ويستمر في القراءة، ما سبب هذا التذكر؟ السبب أن الذاكرة كانت بحاجة إلى شيء من الوقت للتذكر وهذا الرجوع والتكرار يعطيها هذه الفرصة.

بعض الطلاب يقول: لابد أن أسرع حتى لا أخطئ.

هذا سببه ضعف الحفظ فيعالجه بالسرعة ليزيد من قوة التركيز فهو علاج لضعف بضعف آخر.

لابد من الأناة والتمهل والترسل فالعجلة هي السبب في عدم الحفظ خاصة إذا اجتمع معها عدم التركيز.

ومن تطبيقات هذا المفتاح تقليل الحفظ وكثرة تكراره والصبر والتأني حتى يثبت تمامًا ويمضي على ثبوته وقت فهذا أفضل طريق للحفظ القوي المكين.

۞ المفتاح الثامن: حسن الظن بالله واليقين:

دائمًا ثق بفضل الله تعالى وتأييده وأنه يعطيك ما تريد وبلا حدود، كن حسن الظن بربك، تذكر أنه أكرم الأكرمين وأنه أرحم الراحمين، دائمًا توقع حصول الخير، وثق أنك ستحفظ، وأنك تتذكر، إذ هو سبحانه المعين، وهذا خير من اليأس من رحمة الله، وتوقع النقص في كل وقت، واتهام نفسك بضعف الحفظ، وضعف الذاكرة، احرص دائمًا أن تسأل الله ﷻ زيادة العلم والإعانة على الذكر من خلال

الأدعية المأثورة الواردة في هذا المعنى.

وأنبه في هذا المقام إلى عدم نسبة الفضل إلى النفس وأحذر مما يقوله بعض المدربين: ثق بنفسك، أو أنا قادر ونحو هذا بل دائمًا تيقن أن الله يعطيك وأن الله سبحانه وتعالى عند ظن عبده به فإن ظننت به خيرًا أعطاك، أخرج أحمد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»**(١٨).

۞ المفتاح التاسع: أدومه وإن قل:

هذا المفتاح نحتاج إليه في مشاريع الحفظ الطويلة مثل حفظ القرآن الكريم، وفي هذا المعنى قولهم: «الناقوط يخرق الحجر» وهو إشارة إلى القليل المستمر فإنه مهما كان يعطي قوة وصلابة مع الوقت فهذا الماء القليل على لطافته وضعفه فإنه اكتسب قوة بسبب الاستمرار والتتابع حتى استطاع أن يخرق الحجر.

وبناء عليه فيجب الاستمرار في تكرار ما يراد تثبيته وعدم تركه إطلاقًا ومما يساعد على الاستمرار كونه قليلًا إذ يصبح سهلا خفيفا تتحمس النفس للقيام به أما إذا كان كثيرًا فهذا مدعاة إلى التعثر والتوقف كما جاء في الأثر: «كالمنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»، وكقولهم: «من كبر اللقمة غص» فمن أجل تحسين الذاكرة وحفظ قوي متين يجب تطبيق هذا المفتاح.

---

(١٨) الصحيحة (٤/ ٢٢٤)، «صحيح الجامع» (١٩٠٥، ٤٣١٥).

معي بعض المواقف من قبل الطلاب الذي يشتركون في المسابقات أو في المقابلات يحفظ لكن لا يدري في أي سورة يقرأ.

۞ المفتاح الحادي عشر: التحدي:

التحدي المسبق لحفظ ما يراد من أهم المنشطات الذهنية، والتحدي قد يكون من الإنسان لنفسه أو من غيره وقد يكون من طرف واحد أو منافسة بين مجموعات فاستفد من هذا المعنى النفسي في تنشيط ذاكرتك.

ومن صور التحدي أن تعد أحدًا بوعد كلما حصل منك حفظ وتحقيق لما تريد، وقد سبق هذا المبدأ في مفاتح حفظ القرآن ضمن المفتاح الخامس «عقب».

۞ المفتاح الثاني عشر: الرسم:

ومن التجارب القيمة ولا زال يعمل بها حتى الآن: الحفظ بطريقة اللوح وهو في بعض بلاد أفريقيا مثل موريتانيا والصومال والسودان حيث يكتب الأستاذ للطالب الآيات بالرسم العثماني على اللوح ثم يقرئها للطالب لفظًا وخطًا وبعد حفظها يقوم الطالب بمحوها ثم كتابتها من حفظه مرة أخرى.

ويمكن في الوقت الحاضر استعمال السبورة البيضاء ذات الأقلام الملونة وذلك للقيام برسم ما تم حفظه من المصحف لأجل الاختبار وتقوية الحفظ بواسطة الرسم حيث إن هذه الطريقة تعطي الحفظ قوة ومتانة.

يكون الرسم مطابقًا تمامًا للمصحف من حيث جهة الصفحة وبداية

۞ المفتاح العاشر: الترتيب:

بلا ريب أن حفظ المرتب أسهل بمرات كثيرة من حفظ غير المرتب فلو طلب منك حفظ عشرة أسماء أو أرقام وكانت مبعثرة فاستطعت ترتيبها بأي شكل ستجد أن حفظها بعد ترتيبها وترقيمها برقم مسلسل يختصر الوقت اللازم لحفظها ويكسب الحفظ ثباتًا وقوة.

وكذلك حفظ موجودات مكان معين إن كانت مرتبة أمكن حفظها ومثله الكتاب والمجلة والجريدة كلما كا الترتيب فيها أقوى كان حفظ واستحضار ما فيها أسهل.

وتطبيق هذا المفتاح على حفظ القرآن أن يكون الحفظ على ترتيب السور فإنه يعطي سهولة في حفظ الترتيب العام ويساعد بعد الحفظ على الاستفادة من هذا الترتيب في الاستشهاد والقراءة في الصلاة أو خارجها المهم أن حفظ ترتيب السور بأسمائها إذا كان هو الخط المرسوم للحفظ فإنه يحصل حفظه تلقائيًا خاصة مع تطبيق نظام الحفظ الأسبوعي وهذا يعطي دعامة قوية جدًّا للحفظ، فهو يمثل حفظ الخط العام أو الإطار الكلي لما يراد حفظه فهذه من قواعد الحفظ المهمة.

ولعلك تلاحظ أن عددًا ممن يحفظون القرآن أو بعضه لا يحفظ ترتيب السور وهذا نقص في تطبيق مفاتيح الذاكرة لأن حفظ ترتيب السور يعين جدًّا على الحفظ، والسبب في هذا هو عدم الحفظ التربوي المبني على التكرار المنظم،وثمت سبب آخر هو الحفظ على الأجزاء والأثمان إذ إن التركيز على الأثمان يصرف الذهن عن السور وينسب الآيات إليها بدل نسبتها إلى سورها فترى بعضهم يقول آية كذا في الثمن الأول من الجزء الرابع ولو سألته في أي سورة ربما لا يعرف وقد مر

معي بعض المواقف من قبل الطلاب الذي يشتركون في المسابقات أو في المقابلات يحفظ لكن لا يدري في أي سورة يقرأ.

۞ المفتاح الحادي عشر: التحدي:

التحدي المسبق لحفظ ما يراد من أهم المنشطات الذهنية، والتحدي قد يكون من الإنسان لنفسه أو من غيره وقد يكون من طرف واحد أو منافسة بين مجموعات فاستفد من هذا المعنى النفسي في تنشيط ذاكرتك.

ومن صور التحدي أن تعد أحدًا بوعد كلما حصل منك حفظ وتحقيق لما تريد، وقد سبق هذا المبدأ في مفاتح حفظ القرآن ضمن المفتاح الخامس «عقب».

۞ المفتاح الثاني عشر: الرسم:

ومن التجارب القيمة ولا زال يعمل بها حتى الآن: الحفظ بطريقة اللوح وهو في بعض بلاد أفريقيا مثل موريتانيا والصومال والسودان حيث يكتب الأستاذ للطالب الآيات بالرسم العثماني على اللوح ثم يُقرئها للطالب لفظًا وخطًّا وبعد حفظها يقوم الطالب بمحوها ثم كتابتها من حفظه مرة أخرى.

ويمكن في الوقت الحاضر استعمال السبورة البيضاء ذات الأقلام الملونة وذلك للقيام برسم ما تم حفظه من المصحف لأجل الاختبار وتقوية الحفظ بواسطة الرسم حيث إن هذه الطريقة تعطي الحفظ قوة ومتانة.

يكون الرسم مطابقًا تمامًا للمصحف من حيث جهة الصفحة وبداية

السطر ونهايته ومكان فواصل الآيات من السطر، وطريقة رسم الأحرف والكلمات بالرسم العثماني.

صحيح أن هذه الطريقة تأخذ وقتًا لكنها مفيدة جدًّا وخاصة مع الصغار إذ ترغبهم في كثرة المراجعة.

إن تطبيق مفتاح الرسم يفيد جدًّا في تحسين الخط وقوة الإملاء، لأن صحة الإملاء يقوم على حفظ الرسم الصحيح للكلمة وهو الحل العملي للبناء اللغوي للمتعلم، أما دراسة القواعد فهي تيسر هذا الحفظ وتقويه.

تجد الكثير منا يكتب إملاء صحيحًا لكن لو سألته عن القاعدة لم يعرف وأكثر ما يتبين هذا الأمر في كتابة الهمزة.

۞ المفتاح الثالث عشر: الإعلام والإعلان والإلقاء:

إن التحديث بما حفظت وإعلام الآخرين به يعد من مفاتيح الحفظ الفعالة وقد ورد عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا رجع من مجلس الحديث فإنه يوقظ جاريته ويحدثها بما حفظ فتقول له: لا أفقه شيئًا مما تقول، فيجيبها بقوله: إنما أريد الحفظ.

ومن تطبيقات هذا المفتاح الإمامة بما تحفظ في الصلوات الجهرية ويعتبر شهر رمضان من أهم المواسم لتطبيق هذا المفتاح.

وقد تتبنى حلقات تحفيظ القرآن مثل هذا العمل حيث يتناوب الطلاب الإمامة بزملائهم، ويمكن تطبيقه في الأسرة.

ومن تطبيقات هذا المفتاح أيضًا أن يقوم الحافظ بتفسير الآيات حفظًا في درس خاص أو عام.

ومن تطبيقاته في الفوائد والقصص والأخبار أن تقرأ أو تستمع بنية من

سيحدث الآخرين بذلك فالملاحظ أن وجود هذه النية لها أثر كبير في التركيز والانتباه وضبط ما يقرأ أو يسمع.

۞ المفتاح الرابع عشر: التصوير:

نعني به أن يتم التركيز على تصوير ما يراد حفظه فيتم النظر والتأمل طويلًا في الصفحة ثم تغميض العينين ومحاولة التذكر ثم النظر مرة أخرى واكتشاف جوانب النقص وتكرار هذه العملية عدة مرات حتى يحصل التصوير الدقيق للصفحة.

ومن تطبيقات هذا المفتاح ما نسمع عنه من حفظ أرقام الآيات ومكان الآية من الصفحة كل هذا ليس معجزًا إنما يحتاج إلى تشغيل هذا المفتاح ومن ثم يعطي الحفظ قوة ومتانة.

تجد الشخص - وأنت تُسمِّع له - يقفز من سورة إلى سورة ومن وجه إلى آخر دون وعي والسبب في هذا عدم التصوير أثناء الحفظ، فحفظ موقع ومكان ما يراد حفظه له أثر قوي في سرعة الحفظ وتثبيته.

قام بعضهم بلعبة تصوير أثاث غرفته يقول: في البداية كانت اللعبة تستغرق دقيقة أو دقيقتين ولكن في كل مرة أعيد فيها التجربة تستغرق وقتًا أطول، لقد حاولت رؤية كل قطع الأثاث وأي شيء عليها ثم تفاصيل أي شيء وأخيرًا تفاصيل التفاصيل مثل سن صغيرة جدًّا أو قشرة خشبية أو حافة مكسورة أو نقطة طلاء، لقد وجدت أنه كلما فكرت أكثر أحصل على تفاصيل، أكثر نصفها شبه منسي أو غير ملاحظ اهـ[(١٩)].

هذا مثل ذكرته لأبين أن تكرار التصوير يفيد في اكتشاف أشياء جديدة

---

(١٩) «كيف تضاعف قدرتك على الدراسة والنجاح» (٤٥).

في كل مرة ويستفاد منه هنا في التصوير الدقيق للصفحة التي تحفظها وأن ذلك يحصل مرة بعد مرة ولا يتصور أن يكتمل من أول مرة بل في كل مرة تكتشف شيئًا جديدًا لم تلاحظه من قبل.

لماذا ننسى الأسماء ولا ننسى صورة الوجه أو مكان العمل؟ السبب أن هذه ملموسة لها معان محسوسة بينما الاسم ما زال مجرد كلمات فمن أجل حفظه يجب تحويله بواسطة التصوير إلى شيء له معنى ملموس فيتم ربطه بشيء في شخصيته.

۞ المفتاح الخامس عشر: المذاكرة:

والمذاكرة تعني المناقشة بين اثنين فأكثر، فالأسئلة لها أثر مفيد ونافع في تثبيت المعلومات إذا كانت بين طرفين اثنين أو مجموعتين.

ومن أمثلة ذلك في حفظ ألفاظ القرآن:

س: هل ذكر حرف كذا في آية كذا.

س: كم مرة وردت كلمة كذا في سورة... أو في صفحة...؟

س: كم مرة ورد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في هذه السورة؟

س: كم مرة ورد ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ في سورة الزخرف مثلًا؟

س: قارن بين الآيات الواردة في قصة لوط في القرآن.

س: كم مرة ورد ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وأين؟

س: من هم الأنبياء والأمم الذين ورد ذكرهم في سورة «ص»؟

س: قارن بين الآيات الواردة في بسط الرزق.

س: «غساقا»، «غساق» أين ورد كل من الكلمتين.

س: اذكر ما ورد في البحر، السماء، الأرض.

ونحو هذا من الأسئلة كثير جدًّا وهي تفيد في زيادة قوة الحفظ وفي تنشيط الذهن وتدريب قوة الملاحظة حين القراءة، وفيها إثارة ومتعة يمكن شغل وقت فراغ الطلاب بها وخاصة في الدورات المكثفة في الأوقات المخصصة للراحة.

۞ المفتاح السادس عشر: النوم:

الحفظ قبيل النوم أو بعد الاستيقاظ من أفضل الأوقات هذا إن كان النوم كافيًا وكان ليلًا وكونه بعد الاستيقاظ أقوى لأنه يضاف إليه قوة ونشاط البدن.

والنوم يريح النفس والروح ويعيد إليها نشاطها حيث تمسك عن الحركة فترة ثم تعود إلى نشاطها.

والنوم إذا كان وفق هدي النبي ﷺ كان عونًا للذاكرة لتعمل بشكل صحيح، ويتلخص في أمرين:

الأول: النوم المبكر بعد العشاء مباشرة.

الثاني: الاستيقاظ قبل الفجر ثم الوضوء والصلاة.

هذان أمران مهمان لنشاط الذاكرة وعملها بشكل صحيح.

إن عجزت عن الأولى فلا يصح أبدًا أن تعجز عن الثانية، يجب أن تستيقظ قبل الفجر ولو بدقائق بقدر ما تتطهر وتصلي ركعتين خفيفتين، إنه عمل يستحق الاهتمام بل هو كنز عظيم لا ينفد، واظب على هذه العادة وسترى أثرها على حياتك اليومية.

وقد جاء بيان هذين الأمرين وأهميتهما في عدد من الأحاديث وليس هذا موطن تفصيل الكلام عنها.

۞ المفتاح السابع عشر: التنفس:

هناك علاقة متينة بين التنفس والقلب[٢٠]، والقلب: هو آلة الحفظ.

ومما يحقق تقوية القلب بالتنفس أمران مهمان:

الأول: الجهر بالقرآن فهو من أقوى تمارين التنفس وخاصة إن كان الجهر بدرجة كافية.

الثاني: الصلاة فحركات الصلاة وأوضاعها تعين جدًّا على التنفس الإرادي وهو الشهيق والزفير العميق وكلما طالت مدته كان أثره على الصحة أعلى وأفضل، جاء في كتاب «وفي الصلاة صحة» (ص ١٢٩): عند السجود يكون الرأس أخفض من الجذع وهذا يسمح لعضلة الحجاب الحاجز أن تدفع الهواء باتجاه جوف الصدر مدعومة بضغط الأحشاء عليها، وتتقلص عضلات جدار البطن وهذا يساعد على نفث معظم الهواء خلال الزفير... الجهر بالتسبيح والدعاء يجعل الهواء يخرج عن آخره أثناء الزفير، وكلما زاد التسبيح طال الزفير القسري وبلغ أوجه، وكلما كان الدعاء بنفس واحد كان أقوى. اهـ.

يطالب بعضهم بالتنفس العميق مع حفظ كل آية وهذا لا حاجة له بل ربما صرف التركيز من الحفظ إلى التنفس وأشغل القارئ.

أثر التنفس العميق على قوة الحفظ يحصل بصورة بطيئة من خلال الجهر بالقراءة ومن خلال حركات الصلاة وهذا كاف جدًّا لتحصيل

---

(٢٠) انظر: كتاب «التنفس أسلوب لحياة جديدة» للدكتورة/ جوديث كرافيتز.

المقصود.

هناك العديد من الكتب التي تخصصت في الحديث عن التنفس أو خصصت له فصولًا وتؤكد على أهميته وتذكر بعض التمارين الخاصة به، ولست بحاجة إلى مثل هذه الكتب إن استفدت من تدريبات التنفس التي تحققها الصلاة ويحققها الجهر بقراءة القرآن.

۞ المفتاح الثامن عشر: اتخاذ القرار:

هناك علاقة طردية بين القدرة على الحفظ وبين قوة العزيمة واتخاذ القرار فلا شيء يعيق الحفظ ويعيق التذكر مثل التردد، فإذا كنت تريد الحفظ فاعزم وقرر واقطع التردد.

وبإمكانك تجربة أثر هذا المفتاح على سرعة وقوة الحفظ في تجربتين منفصلتين:

الأولى: أن تعزم وتقرر حفظ مقطع محدد من القرآن في وقت محدد.

الثانية: أن تحاول حفظ هذا المقطع وتتمنى لو تيسر لك ذلك في أقرب فرصة ممكنة.

ينبغي ألا تضيع أعمارنا في الأماني بل نكون أصحاب قرار حاسم في كل أمورنا ونتربى على هذه العادة المفيدة جدًّا في جميع أمور الحياة ومنها حفظ القرآن الكريم.

۞ المفتاح التاسع عشر: الفهم:

الفهم: هو صديق الذاكرة الحميم، وهو المرشد والناصح الأمين، يختصر عليها كثيرًا من الجهود، ويختصر كثيرًا من المسافات، فافهم لتحفظ.

كون الفهم من أهم مفاتيح الذاكرة لا يختلف عليه اثنان ولا يجادل فيه إنسان، لكن تبقى المسألة متى نحتاج هذا المفتاح؟ وكيف نطبقه؟

الحاجة إليه مستمرة مع كل ما يراد تذكره، وأحيانًا نحتاج الفهم لمضمون ما نريد تذكره دون تفصيل، وأحيانًا لما يحيط به من أمور.

وهذا تمرين لتجريب أثر الفهم على الحفظ:

جرب حفظ هذا الرقم مستخدمًا مفتاح الفهم: (٢٤٨١٦٣٢٦٤).

حاول إيجاد علاقة بين الأرقام المكونة لهذا الرقم ليسهل حفظه.

۞ المفتاح العشرون: التبكير والمبادرة:

هذا المفتاح يعني التحضير المبكر لكل ما يراد تذكره قبل وقته بمدة كافية سواء كانت مواعيد أو أشياء يراد اصطحابها أو كان اختبارًا تحريريًّا أو شفهيًّا أو كانت خطبة أو خطابًا أو تحضيرًا لاجتماع، كل هذا ونحوه يجب الاستعداد المبكر له ليكون للذاكرة فرصة للتحضير والتجهيز فالذاكرة لا ينفع معها التسويف ثم الاستعجال، إنها ترتبك في مثل هذه الحال وبسببه يحصل الحرج والنقص فمتى فقهت هذا الدرس وفهمت هذا المعنى فعليك التطبيق والعمل وعندها تجد النتائج المشجعة وتسر بما تحصل عليه.

إن من لا يبكر يفوته مكاسب كثيرة كان بإمكانه الحصول عليها وفرص مهمة تطير من بين يديه كل هذا بسبب عدم إعطاء الذاكرة الوقت الكافي لتعمل على مهل، فيا ترى من المقصر أنت أم ذاكرتك التي لم تتح لها الفرصة لتعمل؟

ومن تطبيقات هذا المفتاح في الحياة المبادرة إلى صيد الخواطر

وتدوينها لحظة ورودها قبل أن تطير أو تضعف.

هذه العادة تربي القدرة على التفكير والإبداع في أي مسألة يراد علاجها ودراستها وبهذه الطريقة تتاح الفرصة للأفكار الإبداعية أن تتوارد والحلول المبتكرة أن تتوالد، فالمبدعون ما هم إلا أناس رحبوا بأفكارهم وقدموا لها واجب الضيافة فصارت تزورهم باستمرار أما من يعرض عنها ولا يأبه بها فإنها تهجره وتتركه، فإن أردت أن تكون مبدعًا في المجال الذي أنت فيه فعليك بهذه العملية المهمة على أصول صحيحة.

إن الأفكار الإبداعية تحلق في سمائك فإن أمسكت بها استفدت منها وإلا ذهبت وتركتك.

كل الناس تمر بهم هذه الخواطر والأفكار لكنهم يختلفون في الاهتمام بها وصيدها، فكم من الخواطر الإيمانية، خواطر التوبة والإصلاح والتغيير والتطوير تزور الإنسان فإن لم يأبه بها رحلت وتركته يعيش في نقصه وضعفه.

۞ المفتاح الحادي والعشرون: التقسيم:

وهذا المفتاح يفيد في حفظ الكتب أو النصوص أو القوائم أو الأرقام الطويلة فيتم تقسيمها وتجزئتها.

وينبغي أن تكون هذه التجزئة موضوعية قدر الإمكان فهذا أسهل من كون هذا التقسيم لا معنى له أو كونه قائمًا على الموضع مثل تقسيم الصفحات.

والحفظ على السور نوع من التقسيم الموضوعي الإجمالي لأن كل

سورة تمثل وحدة موضوعية، وكل سورة مقسمة إلى آيات، ويمكن تقسيم السورة الطويلة إلى مقاطع حسب الموضوع، فإن وافق التقسيم الموضوعي نهاية الوجه كان هذا مفيدًا وإلا فلا ينبغي أن تتحكم الأوجه في التقسيم.

التقسيم الموضوعي يحقق الفهم وتكوين الروابط وتقوية الحفظ، وإلا لو تم التقسيم على الأوجه فإنه يحقق تسهيل الحفظ لكن يفوت معه هذه المزية وهما طريقان مؤديان للغرض.

هذا التقسيم نحتاج إليه عند البداية في الحفظ ثم تتلاشى الحاجة إليه كلما زاد ضبط السورة وعند حصوله يمكن للحافظ أن ينظر إلى السورة نظرة كلية مهما كانت طويلة.

۞ المفتاح الثاني والعشرون: المكان «لا صوت ولا صورة»:

الذاكرة مثل آلة التصوير كلما كان المكان الذي يراد التصوير فيه خاليًا من الأصوات والمناظر الملهية كان الحفظ أسهل وأقوى، فالعين هي عدسة الكاميرا والأذن هي اللاقط، فوجود صور وأصوات كثيرة في المكان يؤدي إلى انطباع ضعيف لما يراد تصويره خاصة إن كان تطبيق المفاتيح الأخرى ضعيفًا، فمثلا لو تصورنا طالبًا يحاول الحفظ وبجواره من يتكلم وهو يجاهد نفسه على الحفظ ولم يجهر بصوته وهناك مناظر تشغل تفكيره فكيف يحفظ مثل هذا؟!

۞ المفتاح الثالث والعشرون: التلخيص:

التلخيص مفتاح مهم من مفاتيح الذاكرة يفيد جدًّا في ربط المعلومات الكثيرة بكلمات قليلة لكن هذا الربط يحتاج إلى جهد.

التلخيص مهارة قوية من يتقنها ويتدرب عليها يستثمرها في مهمات كثيرة مثل كتابة الخواطر، تلخيص المقررات الدراسية، استماع المحاضرات والبرامج.

هذا المفتاح يحقق الربط أي ربط الكلمات الكثيرة بكلمات قليلة ومن تطبيقاته في الحياة موجز الأخبار، ومنه أن يلخص الخطيب أو المدرس أو الواعظ ما يريد من المستمع أن يحفظه.

بعضهم يرى أن يكون التلخيص بالصور ويستبعد الكلمات ويقلل من شأنها[٢١]، وهذا قد يصح في حفظ المواعيد والأسماء ونحوها لكنه لا يصح في مجال النصوص الطويلة والمعلومات الكثيرة.

۞ المفتاح الرابع والعشرون: الزمان:

أثر الزمان على الذاكرة له جهتان:

الأولى: مراحل حياة الإنسان.

من المعلوم أن مرحلة الطفولة وزمن الصبا يعتبر أقوى وأفضل الأوقات للحفظ والبعض يجعله كل شيء فتجده قد يئس من الحفظ في الكبر ويقول: فات علينا الحفظ في الصغر ولم ينظر للمفاتيح الأخرى وكم من كبير في السن فاق في قوة حفظه الصغار لما اجتمعت له المفاتيح الأخرى للذاكرة.

الثانية: الوقت:

وقت السحر أو بعد الفجر يعتبر أقوى الأوقات للحفظ لمن كان متبعًا

(٢١) طوني بوزان في معظم كتبه ومنها: «قوة الذكاء الإبداعي»

لهدي النبي ﷺ في النوم والاستيقاظ، أما من لا ينام أول الليل ولو ساعات معدودة فليبحث عن وقت آخر يناسبه، والمراد أن وقت السحر أو بعد الفجر يجتمع فيه ميزات مهمة منها: صفاء الذهن، ونشاط البدن، والهدوء لانقطاع حركة الناس في هذا الوقت فلا أصوات ولا مقاطعات.

حقيقة هذا المفتاح ليس مستقلًّا إنما هو مبني على مفاتيح أخرى فبعضهم حين يسمع أن أجود أوقات الحفظ الأسحار يلزم نفسه به ويكابد على تحصيله وهو ليس من أهله إذ إنه سهر معظم الليل ومنهك البدن فصرف نشاطه في أمور أخرى فينبغي فقه المقصود وتحقيقه.

۞ المفتاح الخامس والعشرون: اللغة «الثروة اللغوية»:

اللغة: هي الأصل الذي نعبر به عن المعاني، فالإثراء اللغوي هو الطريق إلى التعبير عن الأفكار واقتناصها وحفظها ثم استرجاعها في الوقت المناسب فمن هنا تبرز أهمية اللغة في تنشيط الذاكرة فمن كان عنده ثروة لغوية يمكنه ربط ما يريد من المعاني بأشكال مختلفة ومن ليس كذلك فليس لديه العدة الكافية ليقوم بهذه العملية المهمة.

عندما تضيف إلى مفرداتك اللغوية كلمة واحدة كل يوم فسوف تزيد حصيلتك اللغوية على ثلاثمائة وخمسين كلمة جديدة كل عام وهذا يعني أنك ستحصل على أكثر من ثلاثمائة وخمسين مستودعًا للمعاني وهذا يعني زيادة مساحة ذاكرتك وترقيتها.

اعلم أن السبيل الصحيح إلى توسيع الذاكرة وترقيتها هو زيادة الثروة اللغوية على أسس صحيحة.

تذكر دائمًا أن تضيف إلى ذاكرتك كل يوم ألفاظًا جديدة تحمل معاني جديدة فهذا معناه اتساع عقلك وزيادة مساحة تفكيرك ورفع درجة إبداعك، وأقولها - وحقًّا أقولها - من أراد قوة الذاكرة وقوة التفكير فعليه بالحفظ التربوي للقرآن والسنة، ومن اختار المضي في هذا الطريق فأمامه عمل واضح وكثير لا يبقي وقتًا للهو واللعب بل هو المتعة واللهو واللذة، قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟

قال: أسمع بالحرف - أي الكلمة - مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به ما تنعمت الأذنان[٢٢].

وقال أيضا:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية وطيب عناق

وصرير أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقي

وتمايلي طربًا لحل عويصة ... في الدرس أشهى من مدامة ساق

وأبيت سهران الدجى وتبيته ... نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي؟[٢٣]

إن أفضل وسيلة لزيادة ثروتك اللغوية وفي الوقت نفسه الثروة الإيمانية هو تدبر القرآن وتدبر السنة هذا هو الطريق الصحيح للبرمجة اللغوية النفسية للإنسان، فهل يصح بعد هذا البيان أن يقول أحد كيف

---

(٢٢) «إيقاظ الهمة لطلب علم الكتاب والسنة» عادل السعيدان (ص ١٨).
(٢٣) «ديوان الشافعي» (ص٦٣).

أقوي إيماني؟ كيف أطور ذاتي وأغير من حالي؟ كيف أحل مشاكلي وأصلح أحوالي؟

۞ المفتاح السادس والعشرون: ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٤].

قال ابن كثير:

ويحتمل في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه الشيطان كما قال فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان. فذكر الله تعالى سبب للذكر اهـ(٢٤).

فذكر الله تعالى أهم مفتاح من مفاتيح الذاكرة، فمن كان ذاكرًا لله تعالى بلسانه وقلبه فهو بعيد كل البعد عن النسيان.

وقد سبق في مفتاح حسن الظن بالله بيان أهمية تعلق القلب بالله تعالى واعتماده عليه سبحانه ورجاء رحمته وفضله.

۞ المفتاح السابع والعشرون: الاستعاذة:

أي الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم، فهو من مفاتيح الذاكرة العظيمة التي لا غنى للإنسان عنها أبدًا مهما كان، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٨].

---

(٢٤) «تفسير ابن كثير» (٣/١٠٨).

وقال الله تعالى مخبرًا عن فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤٢].

لا يشك مسلم في العلاقة القوية جدًّا بين النسيان وبين الشيطان، أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ الأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ**»(٢٥).

فهذه طريقة الشيطان في إضعاف ذاكرة الإنسان، إنها تتلخص في إشغال تفكيره بأمور تصرفه عما يريد وتنسيه ما ينفعه وتذكره بما يضره أو على الأقل بما لا ينفعه.

فالشيطان يعمل على محورين ينسيك مصالحك ويذكرك ما يضرك فكيده قائم على هذين المحورين على مدار الساعة يلهيك بأي طريقة ليس له نظام محدد أو طريق واحدة، بل هدفه الوحيد أن يشتت تفكيرك ويعيقك عن كل شيء ينفعك، والعلاج - والحمد لله تعالى - سهل ميسور، إنه في الاتصال بمصدر القوة في هذا العالم، إنه في اللجوء إلى الملك القدير القوي العزيز فهو الكفيل بصد أذاه عنك.

---

(٢٥) صحيح البخاري (٢/ ٤٧١)، ومسلم (٣/ ٢٠٠).

والمتأمل في أذكار وأدعية اليوم والليلة يجد مشروعية الاستعاذة عند كل انتقال من مكان إلى مكان، ومن وقت إلى وقت، ومن حال إلى حال، وتطبيق هذه الأذكار والأدعية يفيد جدًّا في قوة الذاكرة، ويعصم من النسيان الذي يضر بالإنسان في أمور دينه أو دنياه.

۞ المفتاح الثامن والعشرون: التسميع:

التسميع نوعان: تسميع ذاتي وتسميع على الغير، وهو مهم جدًّا في تثبيت الحفظ، والتسميع على الغير يفوق التسميع الذاتي بدرجات كبيرة، ومن منهج التسميع: **التصحيح الفوري أو التصحيح المتراخي**، الأول: يفيد جدًّا في جعل الطالب يتأكد من حفظه قبل مجيئه ويوفر الوقت، والثاني: يفيد في ترسيخ بعض نواقص الحفظ حيث يعطي فرصة للتذكر والمحاولة.

وأيضًا من يقوم بالتسميع لغيره حفظًا يستفيد من هذا المفتاح في ترسيخ حفظه، فالتسميع يعتبر مدارسة للحفظ، ويمكن تنظيمه بين الحافظين بطرق وأشكال مختلفة تحقق ثباتًا للحفظ وحماسًا للمراجعة وتنافسًا في الضبط والإتقان.

ومن تطبيقات التسميع الاستماع إلى الأشرطة المسجلة بنية التسميع للقارئ، أي تستمع إلى التسجيل وتمثل أنك مطالب بالتصحيح له متى أخطأ فتمثيل هذا الهدف عند الاستماع للأشرطة يجعلك متحفزًا ومتيقظًا ومدققًا في الاستماع للقراءة، ومثل هذا الاستماع يفيد جدًّا في كشف أخطائك.

۞ المفتاح التاسع والعشرون: نشاط البدن:

العلاقة بين النفس والبدن وتأثر أحدهما بالآخر أوضح من أن تبين إذ

يلاحظ هذا الأمر على نفسه كل إنسان، فسلامة البدن وعافيته وأخذه لراحته من أهم القوانين التي يحتاج مراعاتها للحفظ؛ وعليه فيجب أن يختار لحفظ القرآن الكريم أجود هذه الأوقات وأصفاها.

۞ المفتاح الثلاثون: الصيام:

ليس هناك طعام محدد يقوي الحفظ وآخر يؤدي إلى النسيان بل القاعدة في هذا هي الصيام على هدي النبي ﷺ مع مراعاة اجتناب كل طعام فاسد والحرص على الأطعمة التي لم يصلها الإفساد الصناعي بأي شكل أو لون فمتى استطعت أن تحافظ على قلبك من سموم الأطعمة تكون قمت بتقوية ذاكرتك.

لاحظت معظم المشاهير من خلال سيرهم الذاتية أو المقابلات الإعلامية معهم أو السماع عن حياتهم أنهم يكتفون بأقل القليل من الطعام وهذا متواتر على مر العصور واقرأ سير علمائنا وما نقل عنهم من التحذير من كثرة الطعام وأنها لا تجتمع مع النجاح في الحياة أبدًا واقرأ أيضًا ما قاله الأطباء من القدامى والمعاصرين في هذه القضية المهمة[٢٦].

۞ المفتاح الحادي والثلاثون: تدريب وتمرين ورياضة:

هذا المفتاح يعني تقوية القلب وتمرينه على الحفظ والتذكر المستمر بحيث لا ينقطع عن الحفظ أبدًا بل يوميًا تحفظ ولو كان قليلًا فهذا مما يحافظ على لياقة القلب ويجعله مستعدًّا للحفظ باستمرار.

كل نشاط ذهني تقوم به يعتبر تدريبًا للذاكرة ورفعًا من مستواها

---

(٢٦) وأحيل هنا على ما كتبته في مفاتح تدبر القرآن في ملحق الصيام.

وترقية لها، وفي مقدمة ذلك يأتي تطبيق مفاتح تدبر القرآن العشرة فهي بحق تعتبر من أقوى التمارين لتقوية الذاكرة؛ ذلك لأنها تعالج القلب وتصلحه، ومتى صلح القلب قويت الذاكرة وقوي الحفظ.



محتويات تدبر القرآن



محتويات تدبر السنة



محتويات الحفظ التربوي للقرآن

